
تأملات
نور الدين قوطيط



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي النبي الكريم–صلي الله عليه وسلم–وعلي آله صحبه أجمعين..

أما بعد..يسر موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية والنشر الإلكتروني تقديم هذا الكتاب القيم للقاريء المسلم ليعينه للتأمل والتفكر كما فعل الأستاذ "نور الدين قوطيط" –حفظه الله ،وبأسلوبه السلس كعادتة.

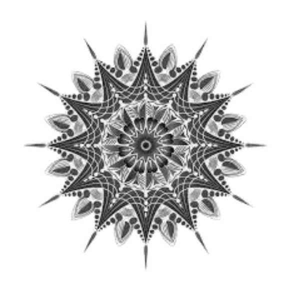
وقد طرح العديد من رؤيته دين ودنيا ، لنحيط بما حولنا لنفهم ونتدبر العديد من المؤثرات والموانع التي تصدنا عن سبيل الله تعالي للحذر منها.

..أنها دعوة للتدبر والتأمل حسب حالك والذي اتحفنا به فضيلته هو وغيره للنشر الدعوي في موسوعاتنا، وقامت الموسوعة بتصميم غلافة تليق به ونشره علي صفحاتها المختلفة بالتحميل بروابط مباشر لمن شاء.

ونسأل الله القبول والإخلاص أنه ولي ذلك والقادر عليه، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية





تأملات

نورالدين قوطيط

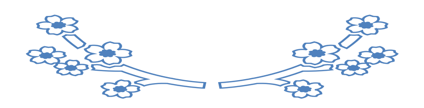
إبرازة **1445** هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيدنا محمد صفوته من خلقه، وعلى آله وصحبه الطيبين، والتابعين لهم بصلاح وإحسان، أما بعد:

فهذه مجموعة من التأملات في دروب الدين والفكر والحياة، دونتها خلال مدة زمنية طويلة ومتباعدة، فلا تعتب إذا وجدت جمهرة من التأملات متشابهة المضمون.

أسأل الله تعالى أن يتقبّل هذا العمل بقبول حسن، إنه ولي ذلك، وهو البر الكريم.



001. مدخلات العقل

العقل مثل المعدة، فإذا كانت المعدة تطحن كل ما تلقيه فيها، ثم إن كان طعاماً طيباً أعطتك الصحة والعافية، وإن كان طعاماً خبيثاً أعطتك المرض والشكوى، فكذلك العقل، إن أعطيته العلم الحق، أعطاك الإصابة والرشاد والنور، وإن أعطيته العلم الزائف، أعطاك الخطأ والشبهات والظلمات. والعلم الحق هو القرآن والسنة ومقالات السلف رضوان الله عليهم، إذ هم تراجمة الوحي، والعلم الزائف هو البدع والأهواء وزبالات أفكار المنحرفين حتى وإن فخّمهم الناس ومنحوهم لقب المفكر والفيلسوف. واعلم أن هذه الخاصية في العقل، مرتبطة بالتكليف، فالله سبحانه منح العبد الإرادة والحرية والقدرة على الاختيار، إذ بهذا تتحقق معاني الحكمة الإلهية من خلق الإنسان في عالم الدنيا وتكليفه، وربط مصيره الأبدي بعد الموت في الجنة أو النار بطبيعة ما اختاره لنفسه، الحق أو الباطل، التوحيد أو الشرك، الإيمان أو الإلحاد. فانظر يا عبد الله ما تحشو به عقلك، فإنه يرجع إليك في صورة أفكار وقناعات وتصورات وخواطر، وهذا ينعكس ولابد على السلوك والأعمال والنشاطات.

002. كان الله ولم يكن غيره

كان الله سبحانه قبل خلق الأشياء، له الكمال والجلال والجمال، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿كان الله ولم يكن شيء غيره﴾ [صحيح البخاري]. ثم بدأ خلق الأشياء حين شاء، وكيف شاء، ولما شاء، وأول ذلك العرش أو القلم، كما هو قول جمهور أهل العلم. إن خلق الأشياء لم يزد الله تعالى كمالاً، ولا منحه عظمة، فهو لم يزل سبحانه بصفاته العليا وأسمائه الحسنى، ونعوته المقدسة. أما هذا الخلق، بما فيه من أشياء وكائنات وعناصر وعوالم، فليس إلا مظاهر لبعض أسمائه وتجليات لبعض صفاته. ولذا، فلو شاء سبحانه ألا يخلق شيئاً لفعل، ولما نقص ذلك من كمال وعظمته من مثقال ذرة، إذ إن الخلق فعل، والفعل مرتبط بإرادة الفاعل متى ينشئه وكيف ينشئه، وعدم إنشائه لا ينفي عنه صفة الفاعلية. وهذا مقتضى الوحي، وحكم العقل، وما كان عليه سلف الأمة الأخيار الأبرار والذين يتبعون سبيلهم في مسائل الاعتقاد. وإن العقل ليمتلئ دهشة، وإن النفس لتفيض روعة، حين يتأمل المرء هذه الحقيقة الكبرى، حقيقة وجود الله تعالى الأزلي بكماله وعظمته، ثم خلقه هذا العالم الهائل بهذا الإبداع والدقة والنظام!

003. معركة الحق والباطل

ما زالت نيران المعركة بين الحق والباطل، بين الإيمان والكفر، ملتهبة منذ اللحظة التي حكم الله تعالى فيها على إبليس باللعنة الأبدية بعد أن أبى السجود لآدم عليه السلام! خلال تاريخ البشرية الطويل، بقي الصراع هو هو، لا تزيده القرون إلا احتداماً واشتداداً، بالرغم من اختلاف أشكال المعركة، وتعددت مظاهر الصراع! فما زال إبليس وجنوده من الجن والإنس يطورون أساليب مختلفة، ويبتكرون طرقاً شتى لتحقيق النصر في المعركة، النصر على الحق وأتباعه: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ. قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ. قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ. قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ. إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ. قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر/32-40]. وها نحن أولاء اليوم نشهد جولة جديدة من جولات هذه المعركة الخالدة، وهي جولة تمكن فيها الباطل من اكتساب مقدرة كبيرة على التخفي تحت كَمٍّ هائل من الزيوف والشعارات والأسماء والإغراءات الشديدة التأثير والغواية للعقول بهدوء وبلا ضجيج، فيصير المرء أحد جنوده وهو لا يدري!

004. تجديد الحياة الزوجية

أنت مقبل على الزواج، اسمع مني هاتين النصيحتين عسى أن تحمد عاقبتهما: **(الأولى)** من أول يوم ضع نظاماً واضحاً بينك وبين زوجك، ولا تقل سأفعل فيما بعد، أو ستفهم هي بنفسها، وهذا مثل: المنزل ليس حديقة عمومية، بل لا يدخل إلا أهل الثقة. ومثل: الطعام واللباس يكونان ملتزمين ببرنامج شغلك، ومثل: العناية بمظهرِكِ ورائحتك ضرورة قصوى. ومثل: أسرار البيت ممنوع منعاً قاطعاً أن تخرج إلى أهلك فضلا عن صديقاتك. **(الثانية)** راقب شخصية زوجتك، ادرس طباعها، وحدد أنماط تعاملها معك، المفترض أنك خلال ستة أشهر إلى عام ستكون قد رسمت صورة واضحة جداً عنها، وحينها، إن وجدت الأمر مناسباً لك: زوجة تحترمك وتقدرك، لا تحاول أن تمارس معك دور السلطة، لا تعاملك معاملة الند للند أو رجل مع رجل، واعية بطبيعة ومتطلبات الحياة الزوجية، هنا احمد ربك وحافظ عليها. أما إن وجدتها عنيدة، متسلطة، لامبالية، تقلل من احترامك وقيمتك، تنسى أنها المرأة والزوجة وأنك الرجل والزوج، وحرصت على تنبيهها وتقويم عوجها، لكنها بقيت مصرة على نمط تعاملها، فهنا لابد أن تفكر

ملياً في التوقف وعدم الاستمرار معها، فالاستمرار مغامرة خطرة جداً، ولا تخدع نفسك بالقول غداً تكون الأمور بخير، فبعيد جداً أن تكون بخير، لأن المشكلة هنا ليست فرعية مثل كونها لا تحسن الطبخ، أو لا تهتم بزينتها، فهذه يمكن إصلاحها، المشكلة هنا أصيلة ومركزية وهي طبيعة شخصيتها، وتغيير الشخصية ليس سهلاً، وأنت لست مؤسسة إصلاحية، ولن تعيش مائة عام، ولست خالياً لا شغل لك إلا إصلاح شخصيتها المنحرفة.

005. ضبط أفراد المجتمع

شاء الله سبحانه أن تكون حياة الأفراد داخل المجتمعات متشابكة، بعضهم يؤثر في بعض، وبعضهم يتأثر ببعض. ولهذا كانت الحريات المطلقة فساداً عظيماً للفرد والمجتمع، كما يؤكد ذلك تاريخ الأمم والمجتمعات قديماً وحديثاً! والذي يقول حريتي فوق كل اعتبار، هذا إما جهول وإما خبيث، إذ لا خيار أمامك، فإما أن تلتزم بالضوابط فتسلم ويسلم الجميع، وإما ألا تلتزم بالضوابط فينتشر الفساد والاضطراب، وتهلك ويهلك الجميع! ولهذا لابد للحاكم أن يكون حازماً وعادلاً، لضبط حركة الأفراد على منهاج الحق ولأطرهم على سلوك سبيل الرشاد، وإلا خرب العمران وفسد الإنسان، كما هو مشاهد لهذا الأوان! وضبط الأفراد والمجتمعات بأحكام الحق هو أحد أسمى مقاصد النبوات. لأن الإنسان مخلوق للتكليف والابتلاء، ولابد لهذا من اختلاف الإرادات والغايات، وتباين الدوافع والأهداف، وهي تختلف بحسب التجارب والخبرات، والعادات والثقافة والبيئة وغير ذلك، فإذا تُركوا لما هم عليه من ذلك، كان النزاع بلا حد، والشقاق بلا غاية، فتكون النتيجة الانشغال عن مقصد التكليف، والغفلة عن غاية الوجود، وهي عبادة الله تعالى والخضوع له، ليكون العبد عبداً لمولاه لا عبداً لهواه، فمن أجل ذلك جاءت النبوات بمنظومة أحكم وقوانين لتنظيم علاقات الأفراد وضبط نشاطاته.

006. مذهب السلف العقدي

نعتقد أن مذهب السلف (أسلم وأعلم وأحكم)، ونعتقد أن هذا الاعتقاد من لوازم الإيمان ومقتضيات العقيدة الصحيحة، كما نعتقد أن مَن ظن غير ذلك، فهو مبتدع ضال، لأنّه أساء الظن بالصحابة ﷺ تلاميذ الرسول صلى الله عليه وسلم والتابعين تلاميذ الصحابة، وزعم أن عقله أهدى منهم سبيلاً! هذه العقيدة تتأسس على فكرة مهمة، وهي أن الصحابة الكرام ﷺ، شهدوا الوحي، وفقهوا معانيه

بحكم أنه نزل بلغتهم الطبيعية، وبحكم مباشرتهم للرسول صلى الله عليه وسلم الذي هو الترجمان الأكبر للقرآن. وإذ كان الأمر كذلك، فهؤلاء الصحابة والتابعون، إما أن يكونوا قد بلغوا لنا معاني التنزيل والسنة، وهذه عقيدتنا، وغير ذلك أباطيل ليست من القرآن والسنة في شيء، وإما أن يكونوا أحجموا عن التبليغ والبيان، رغم وجود الضرورة لذلك وقيام الحاجة إليه، إذ معرفة الله سبحانه لُباب النبوات وغاية إنزال الشرائع، وإما أن يكونوا جهلوا عن الله ورسوله ما فهمه الخلف، وهذه قاصمة الظهر! على أن من خداع النفس وزخرف القول الترويج لفكرة أن مذهب الخلف ليس سوى تفاصيل ومبرهنات لعقيدة السلف! وذلك أن من يطالع مقالات السلف في الاعتقاد، ثم يطالع مقالات هؤلاء الخلف، يجزم جزماً يقيناً بأن المذهبين بينهما بون شاسع، وأحدهما حق والآخر باطل بالضرورة!

007. حقيقة العلمانية

العلمانية لا تعني استعمال العلم في تنمية الحياة، كما يروج لذلك العلمانيون، فهذا المعنى لا يعدو في أحسن الأحوال أن يكون جزءاً صغيراً من حقيقة العلمانية. وإنما العلمانية في جوهرها تعبيد الخلق لغير الخالق، بل للإنسان المخلوق، سواء تمثل في شخص الزعيم أو الحزب أو الدولة أو الدستور أو غير ذلك! وما من شك في أن هذا المقصد النهائي للعلمانية ظلم عظيم، لأن الخلق في الأصل مخلوقون للتعبّد لخالقهم، على مستوى العقيدة والعبادة، وعلى مستوى نشاطات الحياة الخاصة والعامة، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات/56]. وبهذا؛ فإن العلمانية تعمل على إخراج العبد من حالة التعبّد الأصلي (اتّباع الوحي) إلى حالة التسيّد الوهمي (اتّباع الهوى)، وذلك بالعمل على الفصل بين العبد وخالقه، والأصل أن يكون العمل على الوصل بينهما كما هي وظيفة النبوات الإلهية، ومن ثم، فالعلمانية منازعة لله تعالى في خصائصه، فهي تحرص على نزع سلطة الحكم من الخالق ومنحها للمخلوق. لا جرم ــإذنــ أن نقرر بأنّ الإلحاد الصامت في شكل العلمانية والحداثة والليبرالية، أشرس بكثير وأخبث بكثير من الإلحاد الظاهر المعلن!

008. دلالة التبرج

كل ما تراه من تبرج الفتيات والنساء، في الشوارع والأسواق، وفي المدارس والجامعات، وفي المكاتب والإدارات، لا تعده من باب الارتقاء والتحضر، بل أدخله في خانة التخلف والحيوانية، إذ لا نعلم أمة من الأمم لا تعرف شيئاً عن الحياء، سوى أمم الحيوان أو بعضها، بل أدخله في باب الفسوق والجاهلية، فربك سبحانه قال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب/33]. وبهذا يمكنك أن تقرر بأنه ما تبرجت فتاة أو زوجة، إلا لأنها لا تشعر برجولة أبيها أو زوجها، فكأن التبرج بقدر ما هو في أصل معناه يعكس الرغبة في إبراز مواطن الإثارة في الجسد، هو احتجاج على انعدام الرجولة في هؤلاء الذكور، من الآباء والأزواج! وبأنه ما تبرجت فتاة أو زوجة، إلا لأن صلتها بالله تعالى واهية، وحضور الآخرة في حسها خافت، فكأن التبرج بقدر ما هو في دلالته يعكس الرغبة في الانطلاق والتحرر، هو احتجاج على حق الله سبحانه في وضع ضوابط لسلوك المرأة في واقع الحياة ونشاطاتها المختلفة!

009. اختبار القناعات

من المفيد لصحتك الإيمانية وصحتك العقلية وصحتك النفسية أن تتوقف أحياناً وتسأل نفسك: (وماذا بعد؟!)، فهذا السؤال ــحين تكون واضحاً وصريحاً مع نفسكــ سيساعدك على تبصّر الحقيقة.. حقيقة قناعاتك، وحقيقة اختياراتك، وحقيقة مواقفك، وحقيقة طموحاتك، وحقيقة غاياتك. والنتيجة هي أن إيمانك سيتجدد، وكذا وعيك وفكره، وأيضاً تترسخ مبادئك وقيمك، وستتجدد حياتك وتتعمّق نشاطاتك. ولهذا اجعل (وماذا بعد؟!) محطة رئيسة في مسيرك ومسارك. والأمر يكتسب أهمية قصوى في عصر كعصرنا الراهن، هذا العصر الذي شاعت فيه المغريات، وانتشرت فيها الشهوات، وعمت فيه الشبهات، واختلط فيه الحق بالباطل، والصواب بالخطأ. إن محاسبة النفس عنصر جوهري للنجاح والفلاح، ولذلك كان من السمات المركزية في المنهج الإسلامي. ومن لا يتوقف خلال مسيرة حياته لتقويمها، فكراً وسلوكاً، نظراً وعملاً، فلا شك أنه سيظل يخبط على غير هدى، وسيفوّت على نفسه فرصاً كان يمكنه استغلالها لمزيد من الخير والسعادة والاستقرار والنجاح.

010. كتابة المقادير

لو لم تخبرنا النبوات بكتابة الله تعالى مقادير الخلائق قبل خلقهم، وأن كل شيء مدون تفصيلاً في اللوح المحفوظ، لما علمنا عن ذلك شيئاً، لأن الأمر غيب، والغيب لا مدخل فيه للإدراك البشري، بل لابد

فيه من مصدر موثوق معصوم. وهنا يمكن أن نتساءل: ما قيمة الاحتجاج بالقدر؟ الجواب هو: لا قيمة لهذا الاحتجاج! وقد أثبت القرآن صحة هذا النفي بقوله: ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف:20]. والحقيقة أن الإنسان يريد من الاحتجاج بالقدر تبرير أخطائه وجرائمه، وتحليل كسله وعجزه، وإجازة كفره وشركه! غير أن الإنسان بطبعه يدرك ويشعر أنه حر ومختار، وأنه مريد وفاعل، وآية ذلك أنك تراه حريصاً على جلب ما ينفعه ودرء ما يضره، بل إن البشرية بأممها ومجتمعاتها ما زالت منذ قديم الدهر تسن القوانين لتنظيم علاقات الأفراد وسير حياة المجتمع، لعلم الجميع أن الجميع يتمتع بالحرية والإرادة، ومن ثم فالجميع مسؤول عن تصرفاته وأفعاله ومواقفه وقناعات. ولذلك كان من أبرز سمات النبوات إثبات مسؤولية الإنسان، وأنه محاسب يوم القيامة، لأن الله سبحانه وهبه الحرية والإرادة والقدة على الاختيار، ومن ثم، فهو فاعل حقيقي، وليس مجبراً في صورة مختار، كما تعتقد بعض الفرق والمذاهب!

011. مسؤولية العلماء

تتعرض الأمة منذ عقود لهجمات شرسة جداً تستهدف سلخها عن عقيدتها ومبادئها وشريعتها. هذه الهجمة تركز على الشباب أكثر من غيرهم، ولذلك تستعمل شتى الوسائل ومختلف الخطط، لتزييف عقولهم، وتفسيق نفوسهم، وتوهين صلتهم بإسلامهم، مستغلة في ذلك الكثير من العوامل، كشيوع الجهل بأبجديات الإسلام، وعلو سلطان التقاليد المهترئة، وضغط الأوضاع الاقتصادية، وتغلو الاستبداد السياسي، وخفوق رايات المادية الغربية. من أجل ذلك، فإن أهل العلم والمنضوين تحت رايته، مطالبون بالنزول إلى ساحة المعركة التي يتم فيها اصطياد شبابنا وبناتنا بسهولة ويسر، لكي يوضحوا لهؤلاء الشباب مبادئ العقيدة التي ينتمون إليها، وليترجموا لهم معاني الإسلام الذي ينتسبون إليه، ودلالاته وأهدافه ومتطلباته في الفكر والشعور والواقع والحياة، إذ ليس مقبولاً _من أية ناحية ناظرنا_ أن يعيش المسلم في عصر الإنترنت والفضاءات المفتوحة وهو لا يعرف أبجديات عقيدته ومجمل أصول ديانته! إن هؤلاء المنافقين والملاحدة والزنادقة الجدد، بمختلف أسمائهم واتجاهاتهم وشعاراتهم لم يساعدهم شيء في تحقيق الكثير من النصر في المعركة مثل جهل الشباب الإسلام، وبقاء العلماء خارج ساحة المعركة!

012. من أخطاء الأزواج

من أوهام بل أخطاء بعض الأزواج الشباب، أنك تجده حريصاً على الزواج بالفتاة الطيبة، التي لم يكن لها شأن بالعلاقات الغرامية قبل الزواج، لكنه بعد الزواج بها يريدها من أول يوم أو أول أسبوع أن تتعامل معه بأسلوب الخبيرة في الشؤون الرومانسية والجنسية، وبطريقة الماهرة في تثوير المشاعر والرغبات والأشواق!! إنه ينسى أو يجهل أن ذلك يتطلّب شرطين اثنين، أولهما الوقت لاكتساب تلك المهارة، وثانيهما أن تجد هذه الزوجة المجال لنماء وتطور تلك المهارة. وهذا يعني، أن الزوج إذا كان هو نفسه لا يحسن ذلك معها، فكيف ينتظر منها ما هو أصلاً لا يحسنه؟! أو إذا كان لا يساعدها ولا يوفر لها أجواء تفتّح ونماء مهارتها وخبرتها، فكيف يريد منها ما لا يقوم به هو أصلاً؟!

013. تدوين الأفكار

التدوين في مواقع التواصل الاجتماعي، ليس من مبتكرات العصر الحديث، بل قد عرفه القدماء، وخلدوا لنا فيه دواوين كثيرة جدّاً، جمعوا فيها شتات أفكارهم، وخلاصات خواطرهم، وكثيراً من انطباعاتهم، ودرراً من توجيهاتهم، ومنثورات من كلام الصالحين والحكماء والمفكرين من أممهم وأمم العالم من غيرهم، بحيث يمكنك أن تصادف فيها أفكاراً وأخباراً وقصصاً وفوائد وفرائد لا تكاد تجدها في مظانها المعهودة. حتى كان منهم مَن لا يفارقه القلم والورقة خشية نسيان الفكرة وضياع الخاطرة وفوات الفائدة. وهذه المدونات وهذا التدوين له فوائد جمة ومنافع شتى، فكم من فكرة رائعة، أو رأي رشيد، أو فائدة فريدة، تأتي عفو الخاطر، وعلى سبيل الإلماع والإشارة. ولو تكلف هؤلاء الاحتفاظ بتلك الفوائد والفرائد إلى أن يجمعوها مع أخواتها في نسق واحد في كتاب مفرد لكان يكون في ذلك قبر لكثير من المعاني، واغتيال لحشد من الآراء، على أن الناس ليسوا كلهم يمتلكون القدرة على الكتابة وطول النَّفس للتأليف.

014. الإنسان الرباني

كثرة ورود أسماء الله تعالى وصفاته في القرآن، وفي سياقات مختلفة: في التشريع والتاريخ والنفس والكون والحياة والدنيا والآخرة، وقصص الأنبياء والصالحين وأخبار المجرمين والمفسدين، هذه الكثرة البارزة واللافتة للنظر أحد أهم مقاصدها وغاياتها هو ربط كينونة المؤمن، نفسياً وعقلياً، بالله سبحانه، من أجل أن يمارس نشاطاته المختلفة وفي شتى المجالات في أفق الشهود لكمال الله وعظمته وحكمته ورحمته وفاعليته الطليقة، أو لنقل ليكون إنساناً ربانياً. ذلك لأن هذا الشهود هو وحده الكفيل بتحقيق إنسانية الإنسان في

أبعادها المختلفة، وفي مقدمتها الدور الوجودي العظيم الذي خُلق له في هذه الدنيا. أما حين لا يصل الإنسان إلى ذلك الأفق الشفيف، فهنا لا يمكن إلا أن يمارس حياته في مرتبة أدنى من الأنعام أو منزلة أعنف من الوحوش المفترسة، لأنه يكون بلا قيم عليا، ولا مرجعية شاملة ومتكاملة، وبلا غايات شريفة، بل يكون متقوقعاً في حدود نفسه وزمانه ومكانه، وفي حدود أوهامه وأهوائه وتقاليده!

015. منطلق المنافقين الجدد

من أبرز منطلقات المنافقين الجدد من بني جلدتنا (علمانيين، ليبراليين، حداثيين، نسويات)، اعتقادهم أن التاريخ الأوروبي هو النموذج الذي يجب أن يحتذى، والمثال الذي ينبغي أن يقتدى، والمعيار الذي يحق التحاكم إليه، والمرجعية العليا التي لابد من الخضوع لها! واعتقادهم أن كل من يريد أن يتقدم في مسار التطور والحضارة، ويذهب مذهب الارتقاء إلى آفاقها، يجب أن يسلك مسلك الغرب! ومن ثم، يحرص هؤلاء القوم على القيام بنفس الدور، دور الاجتهاد والتنوير والثورة على الدين والتراث، كالذي قام به المفكرون والفلاسفة والعلماء والباحثون الغربيون في سياق تاريخهم، ضد الكنيسة ودينها وتراثها! غير أن أكثرهم يجهلون بأن الإسلام ليس كالنصرانية المحرفة، فالإسلام دين كامل بقواعده وأصوله وضوابطه، أنزله رب العالمين ليكون دين البشرية إلى قيام الساعة، ولذلك يوم التزمه المسلمون في الدهر الغابر كانوا سادة العالم وقادة الأمم والشعوب، ويوم تركوه صاروا إلى ما هو معلوم، من التخلف والتشرذم والفقر والتفكك والهوان!

016. هجران الزوجة البيت

لا أعجب عجبي لامرأة خاصمت زوجها، فأتاها الشيطان بوسوسته، فظل يزين لها هجرانه إلى بيت أهلها ومجافاته، حتى استجابت له، كأنها _ويحها_ ما علمت أنها بفعلتها الخرقاء وتصرفها الأهوج قد عرّضت بيتها للخراب، وزواجها للسقوط، وأحلامها للموت! وإنما تفعل ذلك، لجهلها بطبيعة النفس وما جُبلت عليه، فكم من رجل أَبِيّ النفس، حُرِّ الطوية، سامي الرجولة، يرى في فعلة زوجه تحدياً لكرامته، وطعناً في قيمته واعتباره، فتمتلئ رأسه رغبة في رد التقدير لنفسه، فينصرف عنها انصراف القلب الذي يمتلئ نفوراً بعد إقبال، وكرهاً بعد مودة، فإما طلقها، كرامة لنفسه وتأديباً لها على طيش عقلها، وإما عادت فلا يراها بعدُ إلا كشيء من أشياء البيت المهملة! عسى أن تعلم أن الحياة الزوجية لا تستقيم مع السفه،

ولا تدوم مع الطيش! أما الحرة العاقلة فلا تهجر بيتها مهما حدث، ولا تبادر إلى أهلها إلا أن يبلغ الألم أساس القلب، وتصير الحياة معه كأنها حفر قبر مظلم كئيب!

017. المغالطات المنطقية

هناك دعوات تعظم كثيراً القراءة في مؤلفات المغالطات المنطقية، بدعوى أن هذا الاطلاع يعصم العقل من السقوط في فخاخها! والحقيقة عندي، أن التفكير السليم واكتشاف مغالطات الاستدلال يعتمدان أساساً على سعة الاطلاع والتنوع المعرفي والثراء الثقافي، كما يعتمدان على طبيعة الأصول التي يبني المرء عليها أدلته وكلامه ومذهبه، وكذلك على التزكية النفسية الصحيحة، لأن اتّباع الهوى الخفي والتخوض في الشهوات من موانع إدراك الحق وقبوله. ولهذا؛ جدير بالعاقل أن يكون اهتمامه منصبّا على هذه المعالم الثلاثة. أما القراءة في المغالطات المنطقية يجعلها مجرد جزء ضمن قراءاته، إذ قد يكون الرجال حافظاً عن ظهر قلب قائمة المغالطات المنطقية، لكن ذلك لا يمنع أن يكون تفكيره فيه الكثير من المغالطات، كما لا يمنع أن يغفل عن اكتشاف الأخطاء الاستدلالية في كلام محاوره، وهذا موجود في كلام هؤلاء المؤلفين وآرائهم، فكيف بغيرهم! وخير دليل، أنك تجد جمهوراً عريضاً من الفلاسفة والمناطقة، فضلاً عن غيرهم، مؤثرون للباطل على الحق، وللضلال على الهدى، وللكفر والإلحاد على الإيمان والتوحيد، رغم اطلاعهم الواسع على المنطق وفنونه، ومن ضمن ذلك طبعاً المغالطات المنطقية!

018. نعمة الإيمان

لو لم يكن للإيمان بالله تعالى وبالقضاء والقدر إلا فائدته النفسية والذهنية والعصبية لكفى! لقد رأيت أقواماً قد يسر الله سبحانه لهم ظروفهم المادية، غير أنهم يعيشون في هَمٍّ وقلق، وفي ترقب وتوجس، وفي ضغط واختناق، لأنهم يخافون من الموت، أو يخافون من المجهول، أو يخافون من المستقبل، أو يخافون من الفقر! وإن في هذا لعبرة لأولي الألباب، كما أن فيه حجة ساطعة على أن الإنسان ليس هذا الشبح المادي الشاخص، بل هناك عنصر آخر، هو حقيقته وجوهره، يتجاوز حدود الحس والمادة، متطلعاً إلى عالم أفضل وحال أسعدّ لأنه يضيق بواقعه وحاله. وكذلك فيه برهان وثيق على أن الإنسان كائن هزيل ضئيل، لا يمكن أن يقوم وحده وإن ملك من أسباب القوة الشيء الكثير، بل لابد له من مصدر آخر، يمنحه القوة والمقاومة، ويجد لديه العزاء والطمأنينة. والإنسان الغربي اليوم خير دليل، فلقد بلغ من أسباب القوة التقنية

والمادية، وتيسر له من أسباب الرفاه ورغد العيش، ما لم يعرفه الإنسان خلال القرون الطويلة، ومع ذلك، لا توجد أمة انتشر فيها الشقاء والأمراض والآلام والمأساة، كما انتشر في الأمة الغربية، ذلك لأنهم رفضوا الإيمان بالله والآخرة، وظنوا أنهم قادرون على تحقيق الفردوس الأرضي بعيداً عن الله سبحانه!

019. البحث عن الإله

بقدر ما يهاجم الملحد الإله الذي صنعه خياله ورسمه وهمه، يذهب يبحث عن إله لا يعرف كيف ينبغي أن يكون!! ذلك لأن الإلحاد ليس إنكاراً لوجود الإله، بل بحث عن إله غير موجود ولا يمكن أن يكون موجوداً!! أليس قد ابتدع الملحد لنفسه آلهة أخرى من دون الله، فهناك الصدفة المقدسة التي أبدعت هذا الكون!! وهناك العلم التجريبي المؤله فلا حق إلا ما أحقه ولا باطل إلا ما أبطله!! وبعد ذلك، هناك الهوى الشخصي المعظَّم، فالأنا هي المقدس والمطلق، وهي المركز والمرجعية والمعيار!! أليس كل هذا آلهة جديدة وضعها الملحد موضع الإله الحق!! وما من شك في أن هذا البحث عن إله بديل، والعجز في آن واحد عن التحرر من فكرة الإله، لدليل ساطع على أن وجود الإله لا يحتل جانباً هامشياً في التكوين النفسي والعقلي للإنسان، كما يتوهم ذلك الملحد ويروج له، بل بالحري أن وجود الإله مطلب فطري راسخ وحاجة عقلية أصيلة، كما أنه مقتضى وجود الكون والحياة وما فيهما من إتقان وإبداع، ولذلك سيظل الإنسان في مختلف أطواره وثيق الصلة بعقيدة الإله، رغم ما قد يحيط بهذه العقيدة من الضباب والزيف والوهم والركام!!

020. تبادل الشكر بين الزوجين

من الأشياء "الصغيرة" التي يغفل عنها كثير من الأزواج، رغم أن لها مفعولاً قوياً في توطيد العلاقة الثنائية، كلمة "شكراً" _أو ما قام مقامها_ على ما يقدمه الطرفان لبعضهما!! كثيرون يعتبرون أن هذا الأدب الجميل يدخل في باب الشكليات الباردة، وأنهم ليسوا بحاجة إليها! لكن الواقع أن هذا ظن ناتج عن تبلّد نفوسهم وتحجر مشاعرهم، وجهلهم بطبيعة الأسباب الموجبة لمتانة العلاقة الزوجية!! حين تقول لشريكك "شكراً" لأنه اشترى لك شيئاً، أو لأنها حضرت لك طعاماً شهياً، أو لأنه حقق لك لذة ماتعة، أو لأنها قدمت لك مساعدة، أو غير ذلك، فهنا يشعر بالقيمة والتقدير، يشعر بأن جهوده مثمرة ولم

تذهب باطلاً، ويشعر بأن شريكه ممتن له وسعيد به وفخور به، فيجد لذلك داعية قوية من نفسه لبذل مزيد من الجهد لتحقيق مزيد من العطاء.

021. حاجة الجمهور للقائد

رغم دغدغة كثيرين للجماهير، مدحاً وتعظيماً، إلا أن الحقيقة التي لا جدال حولها، هي أن الجماهير بطبيعتها لا تستطيع البناء، بل بالحري أنها أدنى إلى الهدم والتدمير، ولذلك فهي تحتاج أبداً إلى الموجه والمرشد والمؤطر، في الخير أو في الشر! ذلك لأن التغيير لابد أن تسبقه الفكرة التي تتصور أوله وآخره، ومقدماته وآثاره، وبدايته ومآلاته، كما أن الفكرة الخلاقة والمثوّرة والبانية لابد أن تكون فوق مستوى أفكار الجماهير وطموحاتهم وأنظارهم، لأن ذلك ليس من شأنهم ولا هو في طاقتهم، بل أمرهم هو الدعم والتأييد، ودورهم هو تكثير السواد. هذه هي الحقيقة التي يثبتها التاريخ ويؤكدها الواقع، في أي زمان ومكان، وبين أي شعب ومجتمع. وبسبب هذه السمة في الجماهير، يحرص دائماً أصحاب المذاهب وأرباب الأيديولوجيات على السيطرة على العقول والنفوس، وينفقون في سبيل ذلك الأموال الطائلة، كما هو شأن الإعلام في عصرنا، لعلمهم أن فكرة بلا جمهور، ومبدأ بلا حشود، سريع الأفول، وشيك الاندثار.

022. الاستجابة للدعاء

من الأخطاء التي تُوقع كثيرين في الحيرة والشكوك، ربط الدعاء بالاستجابة، بدعوى أن الله سبحانه ربط بينهما في قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر/60]، متجاهلين بعض الحقائق المهمة في الموضوع! فمما يغفل عنه هؤلاء هو أن الاستجابة لا تنحصر بالضرورة في تحقيق نفس الدعاء، إذ هي شأن إلهي، والشؤون الإلهية أوسع وأكبر من أن تحيط بها العقول والأوهام. وأيضاً فهؤلاء يغفلون عن أن نفس الدعاء عبادة وعمل صالح يؤجر عليه العبد المسلم، كما هو واضح في الشطر الثاني للآية الآنفة الذكر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾. ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة﴾ [سنن الترمذي]. وكذلك فهؤلاء يغفلون عن الاستجابة الإلهية للدعاء ليست مطلقة بل هي مشروطة بشروط، منها عدم التعدي في الدعاء، ومنها إتيان الواجبات الشرعية

واجتناب المحظورات، وغير ذلك. حين يدرك المسلم هذه المعطيات، لا شك أنه سيطمئن إلى وعد الله تعالى، سواء تحقق نفس دعائه أم لم يتحقق، فهو رابح أبداً.

023. مسؤولية الجميع

ما تراه من أحوال الأمة المزرية في هذا العصر، من الظلم والطغيان، ومن الفساد والانحلال، ومن البدع والضلال، ومن الجرأة على الله ورسوله، كل ذلك، تقع مسؤوليته على الجميع، حسب مواقعهم وإمكانياتهم وسلطاتهم المادية والمعنوية. أما ما تسمعه من بعض القادة المعنويين، كالمشايخ والدعاة والأكاديميين، حين يلقون بالتهمة على الحكومات وعوام الناس، ويبرؤون أنفسهم، لمجرد كتابة بعض المنشورات والمقالات والمحاضرات واللقاءات، فهو مخادعة للنفس! فما علمنا _ولا علم التاريخ_ أن أمة خاضت عملية تغيير ناجحة بمجرد عموم الشعب، بل دائماً يكون هناك قادة يناضلون معهم، ويضحون معهم، ويموتون معهم، كما ينظّرون لهم، ويقررون لهم المبادئ والمنطلقات، والأهداف والمطالب والغايات. أما هذه الأمة في هذا العصر فقد تخلى كثير جدّاً من العلماء والأكاديميين عن عموم شعوبها ورفضوا النزول معهم إلى ساحة معركة التحرير والتغيير، فليت شعري أنى يمكن تحقيق شيء ذي بال!

024. احتواء المشاكل الزوجية

منهج احتواء المشاكل الزوجية: **(1)** أن تتذكر أن الطرف الآخر شريك حياتك وليس عدوك. **(2)** أن تتذكر بأن الطرف الآخر بشر غير معصوم، فطبيعي أن يخطئ. **(3)** أن تتذكر أن قداسة ميثاق الزواج أعلى من كل الوساوس الشخصية. **(4)** أن تتذكر أنك أنت شخصياً لابد أنك ارتكبت معه أخطاء وفيك عيوب. **(5)** أن تتذكر أن التعاون على احتواء المشاكل دليل شرف النفس ونضج العقل. **(6)** أن تتذكر أن الطلاق بسبب مشكلة حادثة، لن يأتيك بشخص بلا مشاكل. ولهذا، فحين تجد شريكك يسارع لطلب الفراق بسبب خطأ اقترفته حقاً أو توهماً منه، فاعلم أن هذا الشريك إما سفيه العقل طائش الرأي يلهث وراء الأوهام، وإما أنه كان منذ مدة يتحيّن الفرص لنشوب أدنى خلاف معك ليتخذه مبرراً للفراق والطلاق! وعلى كل حال، لا خير لك فيه، بل دعه يذهب غير مأسوف عليه.

025. ممارسة النقد

عملية النقد عمل صالح، يكفي أن نعلم أحد أبرز ممارسات الأنبياء والصالحين عبر التاريخ المديد، لأن النقد واقعاً هو أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، إذ لهما مراتب وصور ومظاهر. ولكن حين يجمع بين (المعايير العلمية)، و(اللغة الأخلاقية)، و(الدوافع الربانية). حين يكون كذلك، لا جرم أن النقد يكون له قيمة، ويكون عنصر بناء لا معول هدم، وسبب محبة لا داعية نفور، لأن الناقد لن يدع مواقفه من المنقود تؤثر على نظرته لأفكاره، ولن يدع لأناه أن تتضخم على حساب المنقود بتقزيمه، ولن يدع لهواه يجره للتشبه بالذباب الذي لا يقع إلا على القاذورات. ومن ثم، سيحرص شديد الحرص _لأنه يتعامل مع الله تعالى في ممارسة فعل النقد_ على أن ينظر إلى طرح المنقود وأفكاره من زاوية الإيجابيات والسلبيات، فيشيد بالإيجابيات ويشدد عليها ويدعو لتطويرها، وينبّه على السلبيات ويدعو لتقليلها وتجاوزها. وبهذا كله، سينجو الناقد من هوس النقد وإدمانه، وسيعتصم من آفة العجب والكبر والرياء.

026. مرجعية الوحي

عجبت لمن أنزل الله تعالى له كتاب اليقين والمعرفة والطمأنينة، كتاباً يعرض له الحقيقة بأسهل عبارة وأوضح بيان وأعمق دليل، كتاباً يكشف له حقيقة أصله، وطبيعة دوره في الحياة، وما ينتظره بعد الموت، ومع ذلك تركه وراءه وذهب يلهث في صحاري الحيرة والشكوك والعبث، لمجرد أنه سمع أن ذلك هو الفكر والفلسفة والمعرفة والذكاء! وليس يفعل ذلك إلا مَن في إيمانه خلل، وفي يقينه ضعف، وفي دينه وهن، وفي عقله لوثة، إذ محال جدّاً أن يتجاوز المؤمن الصادق الإيمان الوحي إلى أهواء البشر وأوهامهم، ليأخذ منهم تصوراته ومعارفه، وليتلقى عنهم معايير ما يصح وما لا يصح من الآراء والاعتقاد! إن أول مراتب تعظيم الوحي أن يعتقد المسلم أنه حق نزل بالحق، ويستحيل أن يخرج الحق عنه، سواء في المسائل الاعتقادية أو في المسائل العملية، وهذا الاعتقاد هو مقتضى الإيمان بالله سبحانه إلهاً له الكمال والعظمة، وبمحمد نبياً ورسولاً، جاء بالحق والهدى والفرقان. وما من شك في أن العبد بقدر ما يتعامل مع الوحي على أنه مرجعيته العليا والنهائية، يكون قربه من الحق، اعتقاداً وسلوكاً، وبذلك فقط يتحقق بمعاني العبودية والقيام بحقوق الألوهية.

027. كهنة التنمية البشرية

كهنة التنمية البشرية يستغلون جهل الشباب وسذاجة عقولهم، وكذلك الواقع الاقتصادي المزري، الذين يئنون تحت نيره، وأيضاً الآفاق الحالكة المسدودة في وجوههم، يستغلون كل ذلك ليشحنوا نفوسهم بالأحلام الوردية والخيالات الجامحة! ومن ثم، يعيش هؤلاء الشباب المخدوعيو في أوهام ضخمة، أوهام النجاح والسعادة، وأوهام تحقق الذات والإزدهار، فيكون ذلك بمثابة أفيوناً لعقولهم ومخدراً لنفوسهم! وأنت مهما نظرت في هذه القضية ستذهب إلى أن الجهل بالعقيدة الإسلامية ومبادئها وأسسها هو السبب الأعلى في تقبل هؤلاء الشباب البائس للكثير من الأفكار المناقضة لا لسنن الله تعالى في حياة البشرية وطبيعة حركة التاريخ فحسب، بل أيضاً للأسس العقدية في الإسلام التي ينتمون إليها! ذلك لأن مصادر التنمية البشرية في أصلها وثنية شركية، إلا أن دجاجلة التنمية البشرية في البلدان الإسلامية يحاولون إضفاء لمسات إسلامية عليها ليتقبلها المسلم دونما التفات لأصولها الكفرية التي تأسست عليها!

028. كمال الحب بالزواج

الإعجاب والانجذاب نحو شخص من الجنس الآخر لا شيء فيه، فذلك غريزة نفسية، ومن النادر أن تجد شخصاً لم يشعر بالإعجاب والانجذاب خلال مرحلة من مراحل عمره، بل حتى من لم يقع له ذلك تجده يرسم في ذهنه وخياله صورة الشخص المنشود. لكن، حين تتحول هذه النزعة الفطرية الجميلة إلى سبب للانحراف والفتنة قبل الزواج، فهنا تفقد معناها وقيمتها وقداستها! الحب معنى جميل، لكن كماله بالزواج، ثم يستمر عبر مراحل العمر في التطور والارتقاء، بحسب نضج الزوجين وسمو النفس فيهما، ورحابة الوعي بمقاصد الزواج والحياة. ولهذا؛ فالحب بدون زواج زهرة ذابلة، بل مأساة رهيبة، لا يزال المحب يعاني المأساة، ويقاسي الاختناق، ويكابد الأشواق! ولهذا دائماً أقول للشباب لا تلعبوا لعبة الحب قبل الزواج فهي لعبة خطرة، ستدفعون ثمنها من أعصابكم وأحلامكم وأعماركم!

029. لذة العلم وتضخم الذات

للطلب العلمي والبحث والتفتيش لذة ماتعة، لا يتذوقها ولا يعرفها إلا مَن خاض هذا المجال، تحصيلاً وتفتيشاً وتأليفاً. ولهذا، فمن لم يحفظه الله تعالى، خضع ولابد لتلك اللذة الباطنة واسترسل معها، فهي آخذة بزمامه، مالكة لمقاده، لكن النفس تخدعه بأنه يطلب ويبحث لله، خصوصاً حين يتعلق التحصيل والتأليف بما له صلة بالإيمان والوحي، تأسيساً أو بياناً أو دفاعاً! ذلك لأن النفس شديدة الحرص

ألا يُنتبه لدوافعها الخفية وغاياتها المستترة، بل دائماً تعرض لك مراميها في صورة مقاصد نبيلة، صادقة ومتجردة من الهوى الخفي! ونكتة أخرى، وهي أن النفس قد تتنازل عن طلب الشهرة والمنزلة بين الناس، إذا وجدت مجاهدة قوية من صاحبها للتحرر من آفة الشهرة، وهنا ينخدع كثيرون، إذ يصرفهم هذا التحرر من الالتفات إلى آفة اللذة الخفية في التحصيل والبحث والتأليف، فيكون عاملاً لحظ نفسه وهو يظن أنه عامل لله! وهذا من مداخل الشيطان الغامضة! نسأل الله العصمة والتوفيق.

030. تحقيق الذات

صار مفهوم تحقيق الذات المحرك الأساسي والدافع المركزي لدى جمهور عريضة من "الملتزمين والملتزمات"، جاهلين _أو متجاهلين_ أن هذا المفهوم في الأصل مفهوم علماني، بدأت نشأته في السياق الاجتماعي الغربي، ثم انتقل إلى العالم الإسلامي ضمن المستوردَات المفاهيمية التي تم استيرادها. فبعد "موت الإله" في الوعي والشعور الغربي، كان لابد من التمركز حول الذات للشعور بالقدرة على القيام بدون إله، ومن ثم، سيكون تحقيق هذه الذات مرتبطاً بمدى "النجاح المادي" المتحقق في الواقع العملي. ومع هذا؛ فيمكن أن نقول للمسلم: إذا آمنت أن الله تعالى قد خلقك للعبادة، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، [الذاريات:56]. والعبادة مفهوم شامل ومتكامل، فالضرورة العقلية بل والشرعية توجب عليك أن تؤمن أن (تحقيق الذات) في الرؤية الإسلامية مرتبط بهذه الغاية العظيمة التي خُلقت لأجلها، بحيث يصير الأمر أنك بقدر ما تقوم بواجبات العبودية لله تشعر بتحقق ذاتك. لكن؛ حين تربط تحقيق الذات بشيء من الأشياء المادية كالحصول على شهادة جامعية أو دبلوم عالي أو الحصول على وظيفة مرموقة أو الزواج، وبالجملة كل ما يدخل في إطار النجاح الدنيوي، بدون سؤال الوحي عن قيمة ما تقوم به = حين يكون هذا هو تصورك لمعنى تحقيق الذات، فهنا أول ما يجب عليك هو أن تعيد النظر في عقيدتك، وطبيعة تصورك وتذوقك لمعانيها، لأنك بهذا الربط أنت واقع عملياً في تبني مفهوم علماني مادي بامتياز، وهذا تناقض صارخ مع مرتكزات عقيدتك الإسلامية.

031. تكامل الدعاة

من المفيد أن نتذكر أنّه في المعارك لا يُشترط أن يكون الجنود كلهم في مرتبة واحدة من حيث المهارة القتالية لتحقيق النصر، بل إن هذا الشرط من الناحية العمليّة غير ممكن التحقق، ولا هو مطلوب ومرغوب، وهو شيء لم يكن من قبل ولا يكون مستقبلاً. ولهذا؛ نقول قياساً بأنه في معركة الأفكار وحرب

تغيير القناعات لا يُشترط أن يكون كل جنود الإسلام ودعاته وحرّاسه في مرتبة واحدة من حيث الاطلاع والمهارة الجدلية والمقدرة الحجاجية، فهذا غير ممكن من الناحية العملية ولا هو مطلوب وواجب، ذلك لأن العقول مختلفة، والمواهب متباينة، والظروف شتى، والاستعدادات متنوعة. وإذا كانت هذه حقيقة لا يمكن تجاوزها، فإن التعاون بين دعاة الإسلام في ساحات المعارك الفكرية ممكن جداً، ومدّ المساعدة لبعضهم واجب ومهم، خصوصاً في مثل عصرنا الذي انفجرت فيه الشبهات من كل حدب وصوب، مع هيمنة الاختلاف والتشرذم بين أفراد الأمة. على أن كل المطلب النبيل والفريضة الواجبة لا يكون قبل أن تخلص النيات لله تعالى، ويصفو العمل للإسلام وحده.

032. الدعم بين الزوجين

من أبرز ما يغفل عنه الأزواج؛ سواء فيما بينهم أو مع أبناءهم، هو استحضار الجانب النفسي ضمن أساليب التعامل والتواصل، سواء ما يتعلق بالكلمات أو ما يخص التصرفات. فمثلاً؛ في الحالة الطبيعية والعلاقة المستقرة يحرص الزوج على أن يغرس في زوجته بأنها جميلة، ورائعة، وحبيبة، وأنه سعيد معها، وهذا يحملها على أن تتصرف فعلاً على أنها جميلة ورائعة وحبيبة، كما يحملها على أن تعمل وتضاعف جهودها لتوفير أجواء السعادة والانسجام معه. والشيء نفسه مع الزوجة تجاه زوجها، فإنها تحرص على أن تغرس فيه بأنه رائع، وبطل، وحبيب، وأنه سعيدة معه وفخورة به وتعتمد عليه، وهذا يحمله ذلك فعلاً على أن يكون كذلك ويتعامل معها على هذا الأساس. ولا يمكن أن يكون الزواج ناجحاً بدون مراعاة هذا المعنى، وإلا فهل سمعتم بطلاق من زوجين كان كلاهما حريصاً على تشجيع الآخر ومدحه ودعمه وتحسيسه بأنه ذو قيمة جميلة، ثم فجأة خطرت لهما فكرة الطلاق!

033. سؤال القراءة

نحن أمة اقرأ، لكن، ليس معنى ذلك أن تقرأ لمجرد القراءة، وأن تقرأ كل شيء! بل جدير بك أن تضع الأسئلة التالية نصب عينيك: (1) لماذا أقرأ؟ (2) ماذا أقرأ؟ (3) كيف أقرأ؟ فمَن يقول لك المهم أن تقرأ، شبيه بمن يقول لك المهم أن تأكل! وإذا كان لا يصح أن تأكل أي شيء، ففي الطعام ما يضر بالصحة، أو لا نفع كبير فيه، فكذلك في القراءة، هناك مقروءات مضرة بالعقل والقلب، وهناك مقروءات لا نفع كبير لها، فهي من باب (علم لا ينفع وجهل لا يضر). واعلم أنه عندما يكون دافعك للقراءة

وغايتك منها هو معرفة القرآن الكريم بشتى أبعاده ومجالاته، كمعرفة الله تعالى، معرفة سننه في الحياة، معرفة عالم الغيب، معرفة مبادئ التفكير السليم، معرفة طبيعة المعركة ضد الأشرار والمفسدين في الأرض، عندما يكون هذا دافعك، حين ستحرص على انتقاء ما تقرأ، وعلى طريقة القراءة.

034. نعمة حفظ القرآن

حفظ القرآن حفظاً متقناً نعمة كبيرة، فالقرآن كلام الله تعالى، أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من فوق سبع سماوات، على مدى عشرين عاماً. وهو كتاب جمع الله تعالى فيه كليات معارف الدين والحياة، والدنيا والآخرة، ففيه العلم بما يتعلق بوجود الله تعالى ذاتاً وأسماء وصفات، وطبيعة علاقته سبحانه بالإنسان والكون والحياة. وبما يتعلق بوجود الإنسان من حيث أصله ودوره ومصيره، وبما يتعلق بالطريق إلى السعادة الدنيوية والأخروية، وغير ذلك من فنون العلوم والحكمة، مما لا يزال العلماء والباحثون يستنبطون درره وجواهره، فلا تزال أنواره تتوهج عبر الزمان، وعجائبه تتجلى باطراد واستمرار. على أن العبد ليس مطالباً أن يقوم بحقوق القرآن كافة، فذلك ليس في قوة البشر، وإنما هو مطالب ببذل الجهد باستمرار لمعرفة أسرار القرآن ودلالاته المعرفية وأحكامه التشريعية، وتفعيل ذلك في مختلف نشاطاته وعلاقاته، وهنا يتفاضل الصالحون تفاضلاً لا يحيط به إلا الله وحده. أما اليوم في واقعنا المعاصر، فمما يؤسف له أن صار الحرص على استظهار القرآن أعظم من الحرص على فهمه وتثويره، وعلى تفعيله في الواقع العملي!

035. أساليب الدعوة

لا يحسن بمن يشتغل على ملف معيّن ذبّاً عن الإسلام وبياناً لحقائقه وكشفاً لتهافت أعدائه في موضوعه، لا يحسن به أن يعيب أخاه المسلم الذي يشتغل على نفس الموضوع لأجل مخالفته في أسلوب العرض وطريقة المحاججة والبيان. لأن مفاتيح العقول مختلفة ومداخل النفوس شتى، والأسلوب الذي يصادف قبولاً عند زيد، قد لا يصادف موافقة عند عمرو. فقد يكون الداعية الفلاني مهتمّاً بالطرح العلمي أو الفلسفي، لكن نتائج جهده بين الشباب بسيطة للغاية، عكس شخص يتناول الموضوع بأسلوب سهل وقريب، تكون نتائج عمله بينهم كبيرة جدّاً. وهذا شيء مجرّب ومشاهد، أما ما نراه اليوم من بعض هؤلاء فشيء يدعو للأسى! وهو من بقايا الأهواء وظلمة النفوس! إن الدعوة إلى الله تعالى يجب أن تكون خالصة لله تعالى، لإخراج الناس من البدعة إلى السنة، أو من الإلحاد إلى الإيمان، أو من الجهالة والظلمات إلى

العلم والنور، وهي حين تكون كذلك، لا جرم أن جميع المشتغلين بها بقدر ما يستشعرون من المسؤولية الملقاة عليهم، يستشعرون معاني الأخوة وضرورة التعاون.

036. التعدد للمرأة في الجنة

حين يقال: (إذا كان الرجل ستكون له أكثر من زوجة في الجنة، فلماذا لا يكون لنا نحن النساء أكثر من رجل؟!)، وهذا الكلمة رغم فجورها فهي منتشرة في وسائل التواصل! حين يقال هذا؛ فلا بد أن نقول بأن هذا قول لا يصدر إلا عن عاهرة في تفكيرها وشعورها، أما المسلمة النظيفة في تفكيرها وشعورها وسلوكها فلا تلم ببالها أساساً هذه الخاطرة الماجنة، فضلاً عن أن تتساءل عن علة المنع! المسلمة النظيفة تؤمن أنها إذا دخلت الجنة فلها فيها السعادة الأبدية أكثر بكثير جداً مما يمكن أن تتخيل، كما قال ربها تعالى: ﴿وَفيها ما تَشتَهيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعيُنُ وَأَنتُم فيها خالِدونَ﴾ [الزخرف: 71]. أما هؤلاء الفاسقات الماجنات فيتصورن أن الجنة حانة زنا ومسرح إباحية! ولولا هذا الفسوق والمجون فيهن لعلمن أن الله سبحانه الذي حرّم التعدد على المرأة في الدنيا، كيف يمكن أن يبيحه لها في عالم الجنة وجواره المقدس!

037. مخاوف الإنسان

مخاوف الإنسان مرتبطة بـ (الموت)، (الرزق)، (المستقبل). والمنهج الإسلامي عالج هذه المخاوف في إطار مركب من عناصر هي: **(أولاً)** الله سبحانه هو الذي بيده مقاليد كل شيء، فلا يكون في الوجود إلا ما شاء. **(ثانياً)** الله سبحانه كتب القدر قبل خلق الخلق بخمسين ألف سنة، فلا يزاد ولا يُنقص. **(ثالثاً)** الإنسان موجود في عالم الدنيا لأداء مهمة محددة، إلى أجل معين. **(رابعاً)** الإنسان مخلوق لعالم الأبدية بعد الموت، إما الجنة أو النار. انطلاقاً من هذه الأسس الأربعة، عالج الإسلام الخوف من الموت بأن أجل كل إنسان مكتوب، لن يتقدم دقيقة ولن يتأخر دقيقة. وعالج الخوف من الرزق بأن رزق كل إنسان مُقدّر، فما كُتب له يأتيه ولن يأخذه غيره. وعالج الخوف من المستقبل بأنه لا يعلم الغيب إلا الله، وهو سبحانه قد قدّر كل شيء. بهذا يعيش المسلم متوازن النفس، مرتاح الضمير، مطمئن الروح، ناضج العقل.

038. مسرّات الجنة

في الدنيا، فإن أقصى ما يتمناه المرء بيت فخم واسع، وسيارة فاخرة، وزواج مستقر وسعيد، ومال عظيم لاقتناء ما يشاء! أما أدنى أهل الجنة منزلة، فلديه مثل الدنيا كلها وعشرة أمثالها، فلك أن تتخيل فقط الصورة الأولى، وسترى كيف أنك تشعر بالبهجة والسرور، فكيف لو استطعت أن تتخيل أن لذات الدنيا وشهواتها وحلاوتها ومتعها، منذ كانت وإلى أن تفنى، بين يديك، بل وعشرة أضعافها!! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ؛ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا –أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا–﴾ [صحيح البخاري]. ولا تفهم من هذا أن ذلك مثل لذات وشهوات الدنيا، بل المقصود ــإن شاء اللهــ جنس الشهوات والملذات، إذ إن شهوات الجنة وسرورها ومتعها وملذاتها تختلف اختلافا جذرياً عن شهوات وملذات الدنيا، بسبب اختلاف طبيعة عالم الجنة عن طبيعة عالم الدنيا.

039. القيم إلحادياً

إذا لم يكن الله موجوداً، فكل المعاني النبيلة كالحب، التضحية، الحرية، العدل، هراء سخيف! بل وحتى المطالبة بها والبحث عنها والسعي إليها وبذل الجهد في سبيلها، لن يكون له أدنى قيمة! فهذه المعاني تستند في جوهرها على قيمة الإنسان وقداسة الحياة وثبات المعنى، وكل هذا، في عالم مادي، محدود، مسطح، بلا أبعاد ولا غايات، كما يعتقد الملحد، لا يمكن أن يكون مفهوماً! إن شعور الملحد بالحب، وبحثه عن الحرية والعدل، ومطالبته بالمساواة، كل هذا خيانة للإلحاد! ومن هنا، فالملحد حين يدعي أنه لا إله، فعلى أي أساس يستند لإضفاء القيمة والمعنى على تلك القيم السامية والبحث عنه والمطالبة بها! إن الإلحاد لا يمكن أن يقدم منظومة قيم فاضلة تضبط حياة الفرد والمجتمع، لأن القيم غير المادية وفق الرؤية الإلحادي معطى عبثي ولوثة إيمانية ومهزلة سخيفة! ومن هنا؛ فإن وجود الله سبحانه هو الضمان الوحيد والجوهري ليكون للقيم معناها، وقداستها، وسموها، وجمالها.

040. حماية الزواج

كلما تقدمت العلاقة الزوجية في الزمن، استوجب ذلك من الزوجين بذل جهود مضاعفة للحفاظ عليها من الجفاف أو التفكك! الأمر هنا، متعلق بالألفة وبالملل، كما أنه متعلق بطبيعة النفس التي تنزع إلى الجديد دائماً، بالإضافة إلى تغير الشخصية بفعل تطور العمر وتأثير الأحداث والظروف المختلفة عليها.

ولهذا تجد بعض الأزواج عاشوا علاقة ظاهرها الاستقرار والثبات، حتى إذا بلغ الزوج التقاعد، واضطر للتواجد أكثر في البيت، اندلعت الخلافات والصراعات، وربما وصل الأمر إلى الطلاق! وسبب ذلك أن أسباب الطلاق كانت موجودة بين هذين الزوجين، وإنما غطّى عليها عمل الزوج وتواجده في الخارج، فكان الاتصال بينه وبين زوجته أقل، فلما اضطر للبقاء في البيت أكثر صار الاحتكاك أكثر، فكان ذلك عود ثقاب تلك أسباب الطلاق المكنونة.

041. الموظف المهمل

أبشر أيها الموظف الإداري المهمل بما يسوؤك بسبب لامبالاتك بمعاملات الناس الإدارية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ﴾، [صحيح مسلم]. فوظيفتك من الولايات وهي مسؤولية، وحين تتعمد تأخير إنهاء وثيقة إدارية لمن اضطر للمجيء إليك، بلا عذر شرعي مقبول، فلا شك أنك داخل في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم. ولهذا نجد كثيراً من الموظفين يعيشون في هموم وقلق ونكد وعسر، ولا شك أن من أعظم أسباب ذلك، العقوبة من الله تعالى لهم على ما يسببونه للناس من المشقة والتعب والضغط! ونحن في عالمنا العربي والإسلامي اجتمعت ثلاثة أمور هي سبب إهمال الموظفين لأعمال المواطنين: **(1)** قلة التقوى وضع الإيمان في نفوسهم، **(2)** عدم المراقبة والمحاسبة الحكومية، **(3)** سوء التنشئة الأسرية التي شبّوا عليها.

042. خُلق الإنسان للبقاء

الإنسان لم يُخلق للدنيا الفانية، بل هو مخلوق للخلود الأبدي في عالم الجنة أو النار، كما قرّر ذلك ربنا تعالى بقوله: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن/3]. وذلك لأن الله تبارك وتعالى هو الحق، فكان خلق الإنسان للدنيا وتركه سدى مهملاً بلا حساب ولا ثواب ولا عقاب، بل يكون مصيره بعد مدة قصيرة يقضيها في هذا العالم الفاني الزائل الفناء والعدم، كان هذا بلا شك يناقض معنى الحق والكمال والعظمة لله تعالى، لأنه يتضمن معنى العبث والخلق سدى، وهذا شيء تشمئز منه النفوس الفاضلة وتأباه العقول الواعية، فكيف بالخالق المتصف بالكمال والجلال! ومن هنا، فإن الرجوع إلى الله والمصير إليه للحساب والجزاء على ما مدى استجابة العبد لتعاليم الوحي المقدس، ضرورة حتميّة، توجبها حكمة الله تعالى وعظمته الفائقة.

043. الشدة مع المخالف

من عجائب هذا العصر، أن البعض له من الهمة والنشاط والاجتهاد والمتابعة في الرد على إخوانه المسلمين المخالفين له في المذهب العقدي، أكثر بكثير جدّاً من الرد على المناوئين للإسلام، والمفسدين في نفوس وعقول الشباب المسلم، والمروجين للأفكار الفاسدة والقناعات الزائفة، والمزيّنين للشهوات المنفلتة والمغريات الشاردة، كالإلحاد الصريح، والعلمانية والنسوية!! ولذلك تراه لا يترك منشوراً في وسائل التواصل أو تعليقاً يراه لأخيه المسلم المخالف له إلا وهو يشن هجومه عليه وينهال عليه بضرباته التي أعدها لذلك مسبقاً، وقد يتجاوزه إلى مشايخ أجلاّء قد شبعوا موتاً في قبورهم لمجرد عدم الانتماء لنفس المذهب!! وقد رأينا والله بعض هؤلاء: رفيق رحيم ولين هين في الخطاب مع العدو الحقيقي، كالملحد والنصراني والعلماني، غير أنه شديد عنيف مزمجر في الخطاب مع أخيه المسلم!! فليت شعري، من أين أُتي هؤلاء، أمن قِبل الأهواء أم من جهة الشيطان أم من جانب السذاجة، أم من هذه كلها!!

044. الحب والزواج

من الممكن أن يكون الحب قبل الزواج، لكن، من المؤكد أن كمال الحب لا يمكن إلا بالزواج. فالإنسان بطبيعة تكوينه لا يتذوق مشاعره تذوقاً كاملاً إلا أن يعيشها واقعاً عمليّاً، وينتقل بها من عالم الشعور إلى عالم الحس، ومن فضاء الوجدان إلى فضاء الفعل. ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿لم يُر للمتحابين مثل النكاح﴾، لأنه لما كان الحب بين الحبيبين تماهيّاً معنوياً، فإنهما يطلبان التماهي الحس والجسدي، وذلك عبر العناق والقبلة والجماع، وعبر اللمسة والحركة والكلمة، وهذا لا يحل إلا بالزواج. ولهذا دعا الإسلام وحثّ على تيسير وتعجيل الزواج بين الشباب، لأنه يفسح لهم المجال لإرواء العاطفة وإشباع الغريزة. لكن، في هذا العصر، ها نحن أولاء نشهد كيف يتساقط الشباب والبنات في مهاوي الرذيلة تحت ذريعة الحب لعجزهم عن الزواج، وأهل التدين والصلاح يقاسون بصمت كئيب!

045. بين يدي الساعة

حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يحدثنا عن أمور وأحداث متنوعة، تقع بين يدي الساعة، منها ما تحقق وانتهى، ومنها ما هو قائم الآن، ومنها ما سيتحقق مستقبلاً. في الواقع، فإنّ

الحديث عن أحاديث الفتن والملاحم في عصرنا وبيانها، لا يعني إعفاء المسلم من تحصيل العلم والمعرفة، والدعوة إلى الله تعالى وإقامة الحجة على الآخرين، والعمل الجاد في الالتزام الشخصي وفي دائرة الاستطاعة. لأن المسلم في كل هذا إنما يقوم بواجبه الشرعي؛ ولا يعنيه كثيراً أن تظهر نتائج مجهوداته وثمراتها في حياته، لأنّه يتعامل مع الله تعالى، ومن ثم فهو ضامن لأجره وثوابه عنده هناك في الآخرة. هذا التصور الواضح يشحن المسلم بالإيجابية والفاعلية مهما ضغطت الظروف وادْلَهَمَّت الخطوب، لأنه موصول بالله ﷻ، وليس الأمر كما يُصوّره البعض من أن التكلم في هذا الموضوع يغرس في النفوس السلبية والعجز والتواكل!

046. حقيقة التوحيد

حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل وأُنزلت لأجله الكتب وأقيمه له الجنة والنار، ليس اعتقاد وجود الله تعالى وأنه خالق الكون والإنسان والحياة، فهذا الاعتقاد هو بديهة من بديهيات الفطرة، وهو مجرد جزء واحد من منظومة التوحيد. بل حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل وأنزلت لأجله الشرائع، بالإضافة لتوكيد فطرة ربوبية الله تعالى الراسخة في عقل ووجدان الإنسان، هو التوحيد الخاص باعتقاد أن الله سبحانه هو وحده المستحق للعبادة والمحبة والتوكل والتعظيم، وهو وحده المستحق للتشريع ووضع الأحكام الضابطة لحركة الحياة وتفاعلات أفراد المجتمع. ومن عجب، أن كثيرين يركزون على التوحيد الأول وليس مقصد النبوات، ويهملون قسم توحيد الألوهية وتوحيد الحاكمية وهما مقصد النبوات!

047. النجاح العلماني

حين تقول الفتاة (حلمي أن أكمل دراستي)، فالسؤال هو: لماذا؟ فهبي أنك حصلت على أعلى الشهادات، وماذا بعد؟ أليس ذلك يعني أنك بلغت آخر الشوط، أم أن هناك طموحاً آخر بعد هذه الشهادة! ترد عليك، الحصول على الشهادة يعني أنني خضت تحدياً وانتصرت، يعني حققت ذاتي! لكن، يمكن أن نقول: بعد هذا الانتصار الموهوم ماذا يكون؟ لا شيء، بل سيكون بداية سلسلة من المتتاليات الواهمة بلا توقف.. سيكون الطموح للوظيفة، المرتب الضخم، المظاهر المنتفخة، اللهاث وراء الترقيات واللقاءات هنا وهناك، أليس ذلك يقتضي أن يكون على حساب قيم أكثر قداسة ونبلاً! تقول: تحقيق الذات! جميل، لكن أختنا لا تدرك أن هذا مفهوم مشحون بالدلالات العقدية والمضامين الفلسفية! أختنا لا تريد أن تسأل نفسها ما معيار تحقيق الذات؟ ما مرجعية هذا التحقيق؟ ما الآثار اللازمة لهذا التحقيق!

وما هي منطلقات هذا السعي لتحقيق الذات! وهل حقاً الشهادة والوظيفة يتيحان تحقيق الذات بأبعادها الوجودية! تحقيق الذات لا يمكن إلا في إطار رؤية ومرجعية شاملة، للذات، وللحياة، وللقيم، وللمصير بعد الموت! فما هو الإطار المرجعي الذي تنطلق منه أختنا لتحقيق الذات من خلال الدراسة ثم الوظيفة؟! هناك مرجعيتان لا ثالث لهما، المرجعية الإيمانية والمرجعية العلمانية. فهل سألت أختنا نفسها في أية مرجعية تتحرك؟

048. الرجولة والأنوثة

فضيلة الأنثى أن تكون أنثى، كما أن فضيلة الرجل أن يكون رجلاً، إذ كلاهما مخلوق لدور محدد، بطبيعة معينة وتكوين خاص، لكنه دور متكامل مع دور الطرف الآخر. حين يدرك الطرفان هذه الحقيقة ويلتزمان بها ويعيشان بهديها، هنا تستقر البيوت وتستقيم الحياة وترفرف رايات السعادة. أما حين يجهلان _أو أحدهما_ هذه الحقيقة ويتمردان على هذه الفطرة، حينها تضطرب البيوت وتتضعضع الحياة وتخفق رايات الشقاء. والذي يجري اليوم بوسائل مختلفة وبإمكانيات هائلة، بل حتى عبر مقرر الدراسة وترسانة القوانين، هو تشويه الرجولة في الرجل، وتشويه الأنوثة في المرأة، والعمل على إنشاء حالة توتر وصراع بين الرجل والمرأة، وتخويف رهيب من الزواج والأسرة! هؤلاء المفسدون والمفسدات يدركون تماماً أن النجاح في هذا المسعى يعني تلقائياً النجاح في تفكيك المجتمعات الإسلامية كما تنشد ذلك المنظمات والأجندات الغربية التي لا يترددون في التصريح بها والإعلان عنها!

049. انهزامية المسلم

لقد جاءت النبوات للتفريق بين الحق والباطل، وبين التوحيد والشرك والإلحاد، بين اتّباع الوحي ورفضه، وبذل الأنبياء والرسل في سبيل ذلك أعمارهم وحياتهم، لأن ذلك من أعظم الغايات من بعثة الرسل عليهم السلام. ثم يجيء هؤلاء النابتة في عصرنا الحاضر ليدافعوا عن الزنادقة والمنافقين تحت شعار (لا نريد إدخال المجتمع في التكفير والتكفير المتبادل، وأن الأمة أحوج للوحدة لمواجهة التحديات!)، وليت شعري أي خير يُرتجى من مسلم لا يغار على دينه، بل يرى دينه يُنتهك ويُحرّف ويُشوه، ومع ذلك لا يجد حرجاً في تقديره والتنويه بمن يقوم بذلك، لأنّه من باب الاجتهاد والرأي والرأي الآخر! لقد بلغ شعور الهزيمة والهوان ببعض المسلمين أن صاروا يخجلون من دينهم وعقيدتهم!

050. التسليم للنص الشرعي

نتائج التسليم للوحي الرباني (القرآن والسنة)، وثمراته اليانعة تشمل الدنيا والآخرة معاً. أما في الدنيا، هناك السلامة من الشقاء والضلال، والفوز بالسلام والتوازن والانسجام، فكريّاً ونفسيّاً واجتماعيّاً. وأما في الآخرة، فهناك السلامة من غضب الله تعالى وعذاب الرهيب في جهنم. والفوز بالسلام والسعادة والنعيم الأبدي في الجنة ورضوان الله سبحانه. ولهذا، فالتسليم لله تعالى ضرورة عقلية فطرية قبل أن تكون ضرورة شرعية إيمانية، فالله سبحانه متصف بالكمال اللانهائي، وهو خالق الإنسان والكون والحياة، ومن ثم، فهو تعالى أعلم بمن خلق، ولأنه تبارك شأنه الحق، فلا يكون في شرعه إلا الحق، سواء علمه العبد أم جهله، كما قال جل مجده: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك/14]. وقال سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة/120]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء/170]. فخرج من هذا، أن عدم التسليم للوحي والشرع مناقض للإيمان وللعقل الذي قرر هذا الإيمان.

051. خطأ تبرير الأحكام الشرعية

من الأخطاء المنهجية التي يقع فيها بعض محاوري الملحدين، أنهم يحرصون على تبرير الأحكام الشرعية كقتل المرتد، السبي، الحدود، الجهاد، وغير ذلك! والأصل أن المسلم لا ينبغي أن يسلك هذا المذهب مع الملحد، بل عليه أن يطالبه بتبيين الأسس المادية والمبررات الإلحادية لرفضه لهذه الأحكام الشرعية والتشنيع عليها؟ ببساطة، داخل الرؤية المادية الإلحادية لا يوجد شيء يمنع من أي شيء، ليس فقط قتل المرتد بل قتل كل الناس، وليس فقط السبي، بل اغتصاب كل النساء حتى الأم والأخت والبنت، وليس فقط جهاد الطلب والهجوم، بل احتلال كل الشعوب الضعيفة وسحقها ونهبها وإبادتها! ففي إطار رؤية الإلحاد للإنسان على أنه مجرد وسخ مادي متطور وحثالة سخيفة وُجدت صدفة في هذه الذرة السابحة في الفضاء الشاسع، ورؤيته للحياة على أنها مجرد مسرحية مملة وعبثية، بلا معنى ولا هدف ولا مسؤولية، ورؤيته للموت على أنه نهاية الرحلة وعودة إلى العدم والظلمات! في هذا الإطار كيف يحق للملحد التشنيع على الأحكام الشرعية، وهو أساساً يفتقد لمرجعية معيارية واضحة وثابتة؟! أجل لست ملزماً بتبرير الأحكام الشرعية للملحد، بل ناقشه حولها وفق معتقداته الإلحادية، وهنا سينتهي الأمر!

052. معنى الحب

حين يكون معنى الحب بأنّه شعور وتطبيق، وإحساس وسلوك، فلابد أن يتضمن قيم التعاون والصبر والتضحية، وكذا الحرص على تطوير الإيجابيات وتكثيرها، ودرء السلبيات وتقليلها. وبهذا تبدو فكرة التي يروجها البعض بأن الحياة الزوجية لا تقوم على الحب مجانبة للصواب واعتداء على الحقيقة، وفوق هذا هي فكرة لا علاقة لها بالديانة! ولهذا؛ فبدل أن يقال للشباب الزواج لا يقوم على الحب فقط، من المهم أن يقال لهم بأن معنى الحب الذي يتطلبه الزواج هو ليس مجرد مشاعر دافئة تمتع الوجدان، بل هو وعي ناضج وإدراك عميق لمعنى العلاقة الزوجية وقداستها، التي تقتضي التعاون والتضحية والحوار، وتجنب العناد وتضخم الذات، وأن تكون فوق كل الأوهام والشعارات.

053. تغيير الشخصية

كوننا نشأنا في إطار أسري واجتماعي معين أثر سلباً على شخصيتنا، وأن هذا تم رغماً عنا وخارج إرادتنا، فهو لا يبرر لنا ــحين نكبر وندرك بأن مسار شخصيتنا غير مستقيمــ الاستمرار في هذا المسار السلبي، أفكاراً وسلوكيات! بل هذا خطأ بالغ لأن هذا الاستمرار يتم بإرادتنا! إذن فدورك هو بذل جهودك للخروج من هذه القوقعة التي حُبست فيها شخصيتك خلال الأعوام الماضية رغما عنك، وأن تحرص على إعادة تكوين شخصيتك وتربيتها وتهذيبها. ولست معذوراً بالقول هكذا طبعي وهكذا نشأت! فتغيير الشخصية من نمط إلى نمط آخر أمر ممكن، لكن، حسب إرادة صاحبها وهمته ومدى وضوح رؤيته للنمط الجديد الذي يريد أن ينتقل إليه. لقد الله سبحانه أعطى العبد القدرة على الانتقال من الإيمان إلى الكفر والعكس، فكيف بالتنقل بين أنماط الشخصية!

054. وجود الله إسلامياً

العقيدة الإسلاميّة تعتبر وجود الله سبحانه وجوداً حقيقيّاً، له استقلاليّة وانفصال عن الخلق جميعاً، ومباينة كاملة للعالم كله. وهذه الحقيقة، حقيقة أن الله تعالى حقيقة وجودية، يؤكدها ذلك الشعور الفطري العميق في كينونة الإنسان، سواء حين يقلب نظره في ملكوت الكون، أم حين يسرح بوجدانه في فضاءات الحياة، أم حين تضغط عليه ظروف الحياة وشدائد الواقع. كما يؤكدها ذلك الاقتضاء العقلي لوجوده ليكون البناء النسقي متماسكاً ومنطقيّاً عقليّاً، سواء تعلّق الأمر بنظام الكون وضرورة ارتباطه بسبب أول

عنه صدر وبمشيئته وُجد، أم بنظام الأخلاق وحتميّة ارتباطه بمقدس متعالي يكتسب منه قيمته ومعناه وسموه. فوجود إله مباين للعالم ضرورة عقلية، وفطرية، وأخلاقية، وكونية، قبل أن تكون ضرورة شرعية، كما تظاهرت على ذلك النصوص الكثيرة جداً في القرآن والسنة.

055. منهج معالجة الشر

المسلم يجعل الشر في العالم موضوعاً للتفكير، أما الملحد فيجعله مصدراً للتفكير، وهذا من الفروق الجوهرية بين المسلم والملحد. فأن تجعل الشر موضوعاً للتفكير، فذلك يعني أنك تقوم بعملية اجتهادية عالية وعميقة جدّاً، ومن ثم، تستطيع تجاوز الظاهر الملتبس إلى أن تتبصّر تلك الخيوط الناظمة لأبعاد وجود الشر وصلته بوجود الخير، فتنظر للأمر نظرة شمولية، تجمع بين محاولة التفقه في معاني الحكمة الإلهية، وبين محاولة فهم المسؤولية الإنسانية في إطار عالم الدنيا وصلته بالمصير الأبدي بعد الموت. وأما حين تجعل الشر مصدراً للتفكير، فهذا يعني أنك تقوم باختزال شديد للقضية والتعامل معها بسطحية مثيرة، وذلك ما يسهم في حصر تفكيرك في مستوى ضيق وساذج. ومن ثم، لا تستطيع أن تنظر لوجود الشر في العالم من زوايا متعددة، ولا أن تعالجه معالجة مركبة، وهذا ما يؤدي بك لإصدار أحكام قاصرة، أهمها إلقاء التبعة على الإله، وتبرئة الإنسان من المسؤولية، وهذا ينتج عنه النظر إلى وجودك والحياة والعالم نظرة التفاهة والعبثية وعدم المعنى!

056. رفع سقف التوقعات

حين تتزوج، لا ترفع سقف توقعاتك جداً، بل خفضه جداً، إذ ضغط الصدمة إنما ينتج عن رفع سقف التوقعات من شريك الزواج. وكن طيباً جداً مع زوجتك، لكن كن حازماً صارماً جداً، فبالطيبوبة تضفي لمسات الجمال على علاقتك الزوجية، وبالصرامة تضبط إطارها. وأيضاً ابذل كثيراً لزوجتك، لكن كرامتك ضعهاً فوق كل اعتبار، واحذر أن تقبل الذلة بدعوى الحفاظ على الزواج، فإنك ستعيش ذليلاً عمرك كله. وكذلك، من البداية ضع قواعد واضحة تؤطر علاقتكما الزوجية، فإن اللامبالاة والإهمال لذلك في البداية دلالة قوية على أن العلاقة الزوجية ستسير سيراً معوجاً.

057. الإنسان ليس مادة

إذا جربت أن تعيش حياتك على أساس أنك بعد شهر واحد ستموت، فمن المؤكد أنك لن تهدر وقتك في التفاهات، ولا في المعارك الهامشية، كما أنك لن تهتم إلا بما هو مهم وواجب، وأيضاً ستكون حريصاً للغاية على أن تكون شخصاً رائعاً مع المحطين بك لتكون نجمة متلألئة في ذاكرتهم، وأعظم من كل هذا، ستكون شديد الحرص على الصدق والإخلاص والطاعة واجتناب المعصية، لأنك تدرك أنه لا نجاة ولا سعادة لك بعد لحظة الموت إلا بذلك. إن إهدارنا للوقت، واشتغالنا بالتفاهات، وخوضنا للمعاركة الصغيرة، وحرصنا على الانتقام الخفي من مناوئينا، وسوء معاملتنا للمحيطين بنا، وتضخيمنا للدنيا وشهواتها، كل هذا، هو نتيجة منطقية لغفلتنا عن الموت، وتوهمنا أن لدينا فرصة واسعة لتدارك ما يفوتنا!! ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أكثِرُوا ذكرَ هادِمِ اللذَّاتِ﴾ [سنن الترمذي].

058. صلاح العمل

إذا كان العمل الصالح وحده يكفي لدخول الجنة، ولا اعتبار بالعقيدة كما يقول دعاة وحدة الأديان المعاصرون، فهذا يعني أن الآيات التي تنص على أن محمداً صلى الله عليه وسلم مبعوث للناس جميعاً لا معنى لها وبدون قيمة موضوعية! لأنهم إن قالوا النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليس مبعوثاً إلى هؤلاء من يهود ونصارى وغيرهم، بل يكفيهم العمل الصالح، فقد كفروا بالقرآن! وإن قالوا النبي محمد صلى الله عليه وسلم مبعوث إليهم جميعاً، فقد نقضوا قولهم، وظهر أنه لن يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، قد آمنت بالله رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً، كما ورد في الحديث. وظهر أن العمل الصالح الذي قد يفعله غير المسلم ساقط الاعتبار، بل فقط قد يُخفف الله تعالى به عنه العذاب مقارنة بغيره من الكفار والملاحدة والوثنيين. على أن صلاح العمل في الإسلام لا ينفك عن التوحيد والإيمان وشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

059. عجز الملحد

من الإشكاليات العويصة التي يواجهها الملحد، أننا إذا قلنا بأن الإلحاد (دعوى/ قضية)، فكيف يمكن للملحد أن يقنعني بصحة هذه الدعوى/ القضية؟ من المؤكد أنه لا يستطيع أن يحيلني على مصدر معتبر إلحادياً يمكن أن أتحقق في إطاره من صدق دعواه/ قضيته!! وقد يحيلني على الواقع والتاريخ والعلم، لكن هذه كلها تتطلب مرجعية معيارية تتسم بالثبات والاستقرار والاطراد، وبهذا وحده يمكن أن أثق فيها،

وإلا فما يحملني على الثقة بالواقع مثلاً؟! وإذ كان الأمر كذلك، فإن كل دعوى/ قضية لا يمكن التحقق من صدقها فهي بلا قيمة. فليت شعري كيف قبل الملحد أن يتبنى قناعة لها آثار خطيرة جدّاً على تفكيره وسلوكه ومختلف نشاطاته، بل وعلى مصيره الأبدي بعد الموت، وليس لها أدنى سند معتبر، سوى ما يتوهمه ويتخيّله! وانتفاء السند المعتبر هو نتيجة حتمية للرؤية المادية للإنسان والعالم في الإلحاد، ففي هذه الرؤية لا ثبات ولا استقرار ولا مقدسات ولا ثنائيات ولا معايير، بل النسبية والسيولة والهلامية والعبثية!

060. الحب والسعادة

الحب جزء من السعادة، وليس كل السعادة، فإذا لم تجده، فتذكر أن السعادة أوسع مدى وأرحب معنى من الحب. في عصر مثل عصرنا، حيث التبست المفاهيم واختلطت المعاني، وحيث تتدخل عوامل شتى في تشكيل الرؤى والتصورات، وتكوين الشخصية والذاتية، لا عجب أن يكون الوعي بالحب، من حيث هو إدراك وشعور وسلوك، مبهماً وضبابياً في كثير من العقول والنفوس، وإن رفعوا شعاره، وتغنوا بأشعاره! إذا فهمت هذا المعنى، هان عليك كثيراً شعورك بالحرمان منه مع شريك الزواج، ومن ثم، يكون الحرص على أدنى ما تستمر به ومعه العلاقة الزوجية واجب، ولا عيش إلا عيش الآخرة، ولك في الجنة ــإن شاء اللهــ من عذوبة الحب وجماله وثرائه فوق ما تتمنى النفس وتشتاق إليه الروح.

061. سقوط الخلافة الإسلامية

سقوط الخلافة الإسلامية رسمياً قبل مائة عام، كان من دلائل النبوة المحمدية، إذ ما زال النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن هذا السقوط وآثاره، وكيف ينبغي أن يتعاطى معه المسلم، فتحقق ذلك بعد أكثر من ألف وثلاثمائة عام. كما أن هذا السقوط من دلائل عظمة القرآن الكريم، فما فتئ يحدثنا عن سنن الله تعالى في حياة البشرية، في صعودها وسقوطها، وما زال يضرب لنا الأمثال، ويحذرنا أن نصنع صنيع الذين خلوا من قبل لكيلا يكون مآلنا مثل مآلهم، ذلك لأن الله سبحانه لا يحابي أحداً في سننه الضابطة لحركة التاريخ والوجود، ولو حابى أحداً لكان هذه الأمة التي اصطفاها لتكون موضع أعظم كتبه ورسله. على أننا على يقين من وعد الله ورسوله بأن الخلافة الراشدة ستعود مهما طال غيابها، ومهما بذل الأعداء من الجهود لتأخيرها، وإنما المسألة مسألة وقت لا أقل ولا أكثر، وذلك عندما تبلغ الجاهلية المعاصرة أفق السقوط الحتمي بحسب سنن الله تعالى وإرادته وحكمته.

062. أين الله من المعاناة!

الذي يسأل أين الله مما تعانيه الشعوب من الظلم والبغي؟ كان الأولى في قانون العقل أن يسأل لماذا تنازلت الشعوب عن حريتها وكرامتها! وذلك لأن الحق سبحانه يترك المستبد الطاغية يفعل في شعبه ما شاء من الفساد والإذلال، وما هوى من التفسيق والانحلال، عقوبة لهذا الشعب الذي استعبد نفسه لمخلوق ضئيل مثله يخشاه ويخضع له، وقد خلقه الله حرّاً كريماً! ورضي بمكابدة الطغيان وتحمل الاستبداد رغبة في الحياة ولو في مرتبة الدناءة، وقد فضله جل جلاله على كثير مما خلق تفضيلاً! ورفض الاستجابة له سبحانه في مواجهة الباطل مجاهدته لتكون كلمة الحق هي العليا! لقد شاء الله تعالى _لما يعلم من الحكمة_ أن يكون نظام الدنيا رهيناً بالإنسان، في الخير والشر، والصلاح والفساد، والعدل والظلم، لأنه مخلوق للتكليف، وموعود بالحساب والجزاء يوم القيامة بعد الموت على ما قدّم وعمل.

063. موسوعية النبي صلى الله عليه وسلم

يريدك الملحد والصليبي أن تصدق أن الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم كان متمكناً من اللغات والعلوم والفلسفات ودساتير الأمم وتواريخ الأديان وعقائدها وشرائعها وعاداتها وتقاليدها، وأنه نقل منها أشياء كثيرة إلى القرآن والسنة!! طيب، دعنا نتنازل عن عقولنا ونصدق هذا التهريج والمجون، ونسأل: معلوم أنه لا توجد فلسفة ولا دين ولا مذهب ولا علم مما وصلنا من التاريخ القديم إلا وقد تم بيان الكثير مما فيها من الأخطاء والثغرات، إلا هذا الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يزال الزمان يزيده تألقاً وتوهجاً وأدلة وبراهين على صحته وصدقه، فكيف استطاع إذن هذا النبي صلى الله عليه وسلم أن ينتقي من كل ذلك الخليط الهائل (أديان، فلسفات، علوم، آداب، قوانين، تواريخ) فقط ما عجز الزمان منذ أربعة عشر قرناً عن نقضه والبرهنة على خطئه؟!

064. النساء ثلاثة أصناف

النساء ثلاثة أصناف: صنف تعرف معنى كونها أنثى، ومعنى كونها زوجة، فهي شديدة الحرص على القيام بدورها باعتبارها أنثى وباعتبارها زوجة، ولا تنتظر تنبيهاً ولا شدة من الزوج إلا نادراً. وهذه هي متعة الدنيا وجنة الرجل قبل جنة الآخرة. وصنف تعرف معنى كونها أنثى، ومعنى كونها زوجة، إلا أنها تحتاج

لمستوى من الحزم والصرامة من الزوج، فذلك ما يضبطها ويحملها على القيام بواجباتها باعتبارها أنثى وباعتبارها زوجة. فإذا غفل الزوج انحرفت عن الجادة. وصنف نعوذ بالله منهن، لا تعرف معنى كونها أنثى ولا معنى كونها زوجة، وليس لها هم إلا الأكل والنوم وأن تفعل ما تشاء، ولوك الشعارات الزائفة، فنفسها نفس بهيمية، ولا ينفع معها حزم ولا شدة، بل لا حل معها إلا طلاقها، وإلا عاش زوجها في ذل وعذاب. فاعرف أي صنف تنتمي إليه زوجك، ولا تخدع نفسك بالوهم!

065. الكمال في التأليف

أحد معوقات الإنتاج والتأليف هو (معوق الكمال)، والمقصود به أن تسيطر عليك فكرة (لابد أن أكتب كتاباً كاملاً، بحيث لا يستطيع النقاد أن يجدوا فيه ثغرة واحدة)، المشكلة هنا هو أن هذه الفكرة مجرد وهم شارد، مبناه غرور متضخم أو سذاجة حالمة! ذلك لأنه لا يوجد معيار ثابت للكمال في التأليف، إذ تقويمات القرّاء تتدخل فيها عوامل متشابكة، كمستوى الثقافة، وانسجام المضمون مع اهتمامات القارئ، والمعرفة الشخصية بالكاتب، والموقف المسبق من الكاتب، وغير ذلك. ولهذا إذا كنت تستطيع الكتابة، اكتب، فعلك تكتب كلمة تكون طريقك إلى الجنة، وإن كان في العمر بقية، صحيح أخطاءك وطوّر مهارتك. ولو أن السابقين لم يكتبوا إلا بعد بلوغ مرتبة الكمال لما كتبوا حرفاً واحداً! ولو أنهم لم ينشروا إلا بعد تحقيق الكمال في العرض لبقيت كتبهم حبيسة الأدراج!

066. الأسماء والصفات في القرآن

كثرة ذكر أسماء وصفات الله تعالى في القرآن لا يراد منها فقط بيان كماله وتقرير عظمته سبحانه، بل يراد منها أيضاً بيان استحقاقه للعبادة، وبيان استحقاقه للتشريع. وهذه الثلاثة (الكمال، العبادة، التشريع)، هي شُعب التوحيد ومدار الوحي ودعوة النبوات. فبتقرير استحقاق الكمال رد القرآن على أهل التعطيل والتشبيه لذات الله وصفاته، وبتقرير استحقاق العبادة رد على المشركين والقبوريين، وبتقرير التشريع رد على العلمانيين. وهذه الحقيقة لها صلة وثيقة بالمقصد الأعلى من وجود الإنسان في عالم الدنيا، ألا وهو العبودية لله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:16]، وحقيقة العبودية لله تعالى هي تلك الشعب الثلاثة، ولذلك ما زال الأنبياء عليهم السلام يجاهدون في سبيل بيانها وتقريرها وتوكيدها.

067. مأساة الداروينية

لا يمكن أن تتبنى فكرة تطور الإنسان عن كائنات أدنى، كما تدعو لذلك الداروينية، دون أن تفقد احترامك لنفسك! ودون أن تفقد شعور القداسة في ذاتك! ودون أن تزيل المعنى والغاية عن الحياة والكون! حين تتبنى فكرة تطور الإنسان فأنت بذلك تكون قد قرّرت أن تعيش في عالم بلا ضوابط، وبلا معايير، وبلا مسؤولية! في عالم هلامي، وضبابي، ومفكك، عالم كل شيء فيه سائل، وكل شيء فيه متغير، بلا ثوابت ولا مقدسات وركائز! وليت شعري كيف يمكن في هذا الإطار أن تكون إنساناً أخلاقيّاً، نبيلاً وفاضلاً، لا تظلم، ولا تسرق، ولا تزني، ولا تقتل، فالإيمان بالتطور يعني أن كل شيء مباح! وفوق هذا، كيف يمكن أن تقوم بالمهمة المقدسة التي خلقك الله تعالى لها وربط بها مصيرك الأبدي في عالم الخلود! يمكن إلقاء نظرة عابرة على الجاهلية المعاصرة وقد تبنّت الرؤية الداروينية، لنرى حجم المآسي التي تعاني منها! وهول الأزمات التي تدفع أثمانها! ولنكتشف أن الداروينية إعلان موت الإنسان!

068. الطلاق في الإسلام

جعل الإسلام الطلاق رحمة للزوجين أو لأحدهما، وذلك حين يصير الاستمرار متعذراً بينهما، فكم من زوج طلّق فكأنما خرج من السجن وعوضه الله خيراً، وكم من امرأة طُلقت فكأنما بُعثت من القبر وعوضها الله خيراً. ولم يعتبر الإسلام الطلاق دليل إدانة للطرفين أو لأحدهما، فالإسلام يدرك جيداً طبيعة النفس البشرية، في نزعاتها ورغباتها وطباعها وأشواقها، وليس كل امرأة يمكن أن تتناغم مع نفسية أي رجل، ولا كل رجل يمكن أن يحتوي نفسية أي امرأة، ولذلك أجاز الإسلام الفراق ووضع حد لهذه العلاقة المتدهورة. أما اليوم، فالطلاق يعني دليل إدانة للرجل أو المرأة، وأنهما غير صالحين، فكأنه يلزم الاستمرار رغم الخلافات الحادة ورغم الاختلافات الجوهرية بينهما لكي ينالا المصادقة من المجتمع أنهما عاقلان، صالحان، وهذا تجده حتى بين المتدينين، فتجد أحدهم أو إحداهن يعيش فعلاً مأساة مرعبة، فاقداً فيها الإحساس بأي معنى جميل، ومع ذلك يخاف من الطلاق لكيلا يُتهم في تديّنه والتزامه!!

069. الخلافة القادمة

لا يوجد مسلم يقول (لن أقوم بالفرائض الشرعية لأنني أنتظر الخلافة القادمة) أو (لن أحرص على أن أكون صالحاً لأنني أنتظر الخلافة) أو يقول (لن أكتب كتاباً لبيان الإسلام أو دفاعاً عنه لأنني أنتظر

الخلافة القادمة)، بل كثير من المسلمين يحرصون على الفرائض وعلى أن يكونوا صالحين، وكل مسلم له استطاعة على الكتابة والتأليف والكلام يبادر إلى بيان الإسلام والدفاع عنه والدعوة إليه. وإذ كان الأمر كذلك، فهؤلاء الذين يروجون لفكرة أن نشر خبر الخلافة الموعودة في آخر الزمان، يخدر المسلمين عن العمل والاجتهاد، والعيش في الأحلام والأوهام، هم أولاً يتهمون الله ورسوله بذلك، إذ هما مَن أخبرانا بذلك، وكفى به إثماً مبيناً وجرأة على الله ورسوله! وهم ثانياً غرضهم نقل مدار تفكير المسلم ومركز انطلاقه من الإسلام والاهتداء بهديه وأنبائه إلى مدار التفكير المادي والمنطلقات العلمانية!

070. لوازم الصفات

قاعدة في معرفة الله تعالى: (لوازم صفات المخلوق لا تلزم صفات الخالق)، ولهذا لا تخدع نفسك بنفي ما أثبته الله ورسوله لنفسه عبر التأويل بدعوى التنزيه لأن الإثبات يلزم عنه التجسيم والتشبيه، فربك ليس كمثله شيء، وهو أعلم بنفسه منك، وأعلم باللفظة العربية التي تترجم المعنى الذي يريده، وقد تلقى ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة ﷺ ثم أهل العلم بالخضوع والتسليم، ولو كان فيها ما توهمته لكانوا أحق الناس بالتنبيه والبيان، إذ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز. فأثبت ما أثبته سبحانه وانف ما نفاه، ولا تكن من الجاهلين. وإنما لم تلزم لوازم صفات المخلوق صفات الخالق، لأنّه لما كانت ذات الله تعالى مختلفة عن ذات الإنسان، لزم أن تختلف صفاته سبحانه عن صفات الإنسان، فلزم أن تختلف لوازم صفاته عن لوازم صفات الإنسان، وهذا يرجع إلى أن الصفات تبع للذات. وهذه ـ كما ترى ـ حقيقة شرعية فطرية، لكن في غمرة الصراعات المذهبية تحولت إلى مشكلات عويصة!

071. أشكال العلمانية

العلمانية إيديولوجيا كلية تتجلى في مجالات شتى، فهناك (العلمانية السياسية)، و(العلمانية الفكرية)، و(العلمانية السلوكية)، و(العلمانية الاجتماعية). هذه العلمانيات لا يمكن أن ينفصل بعضها عن بعض، بل بعضها يدفع لبعض، وبعضها مرتبط ببعض، لأنها كلها ليست في الحقيقة سوى مظاهر وتجليات لعقيدة واحدة هي لب العلمانية، وهي تتلخص في الفكرة التالية: لا يهم إن كان الله موجوداً أم لا، ففي جميع الاحتمالات الواجب هو ألا نسمح له بالتدخل في حياتنا بمختلف شعبها: السياسية والفكرية

والسلوكية والاجتماعية والاقتصادية، بل علينا أن ننظم نحن هذه المجالات من خلال رصيد التجارب والخبرات، ومن خلال العلوم والمعارف والاكتشافات. وبهذا تكون العلمانية في حقيقتها تعني الفصل بين الإنسان والله سبحانه!

072. قلب المرأة

قلب المرأة في أذنها، هذه الكلمة رغم شيوعها خصوصاً بين الرجال؛ إلا أنها ليست صحيحة بشكل مطلق كما يروج لذلك كثيرون وكثيرات، وكما يتوهم كثيرون وكثيرات! نعم؛ المرأة تحب الغزل والمدح والإطراء والملاطفة، لكنها تحب أيضاً أن تشعر بكرامتها واحترامها وقيمتها من طرف زوجها. فلو كان الزوج في قمة الرومانسية القوليّة مع زوجته، لكنها تشعر بأنه إنّما يفعل ذلك فقط عندما يريدها لحاجته وقضاء وطره منها، فلا شك أن تلك الرومانسية العذبة النديّة لن يكون لها رصيد معتبر في قلبها، ولا مفعول واضح في أنوثتها! بل الذي سيحدث هو أنّه مع مرور الأيام سيخبو وهج حبها له، ومن ثم تفقد احترامها له، بعد أن تمزّقت تلك الروابط العاطفية التي تجمعها به!

073. اتهامات متبادلة

من معضلات هذا العصر، أن العوام يتهمون المشايخ والدعاة بالتخاذل والجبن وعدم مناصرة قضايا الأمة بشكل جدي، كما يتهمونهم برفض النزول معهم إلى ساحة المناصرة لحقوقهم وحقوق أمتهم، ليكونوا قادة لهم، توجيهاً وسلوكاً! والمشايخ والدعاة يتهمون العوام بخذلانهم إذا تم القبض عليهم وأودعوا السجون وتجرّعوا أليم العذاب، بالإضافة إلى ضياع أبنائهم وتفكك أسرهم! اتهامات متبادلة، العلماء يعجبون من تخاذل العوام وتفاهتهم، والعوام يعجبون لجبن العلماء وتخاذلهم! العلماء يتهمون العوام بالتخلي عنهم إذا وقعوا في الأسر، والعوام يتهمون العلماء بالخوف وحب الدنيا! وخلال هذه الاتهامات المتبادلة يستمر أعداء هذه الأمة من الحكام والمسؤولين وصناع الرأي العام في تحقيق مزيد من الانتصارات لأهدافهم ومخططاتهم، وتنفيذ مزيد من التقدم في فصل المسلمين عن إسلامهم!

074. خطيئة المتكلمين

تسمع أن المتكلمين أفنوا أوقاتهم وأعمارهم، وأسالوا مداداً كثيراً عبر القرون في تقرير مباحثهم والانتصار لأصولهم من أجل الدفاع عن العقيدة ضد الملاحدة والزنادقة، فتظن أن المجتمعات المسلمة خلال القرون كانت طافحة بالملاحدة، فياضة بالزنادقة! ولا شك أنه كان شيء من ذلك، لكن، الحقيقة على غير ذلك! فإن ما تراه حين تطالع بعض دواوينهم هو أن المعركة في كثير من جوانبها كانت بين أفراد البيت المسلم، أي بين المعتزلة والأشاعرة والماتريدية ضد بعضهم بعضاً، وضد أهل السنة والأثر!! لقد اقترف المتكلمون في حق العقيدة الإسلامية جرماً عظيماً، وخطأً شنيعاً، حتى إن من ينظر في العقيدة الكلامية والعقيدة الإسلامية يجزم جزماً قاطعاً أن إحداهما حق والأخرى باطل، ويستحيل أن يكونا شيئاً واحداً!

075. نشوء الشبهات

تتسلط الشبهات عليك لأسباب: **(1)** لقلة علمك بالأسس الشرعية ومبادئها ومقاصدها. **(2)** لغفلتك عن أن الله تعالى وضع في الدنيا سنناً حتمية لا تحابي أحداً. **(3)** لعدم تنبهك أن الإنسان أُعطي الحرية والإرادة، فهو كامل المسؤولية. **(4)** أن الدنيا كلها مجرد فصل من فصول رواية كبرى، خاتمتها في الآخرة. **(5)** أن الأمة تُشن عليها حرب أفكار وقناعات شرسة وبوسائل وأساليب متنوعة. **(6)** أن التدين الجاهل في هذا العصر قنطرة واسعة إلى الشك والإلحاد. **(7)** أن طبيعة العالم الدنيوي تمنع تحقق الفردوس الهانئ بشكل نهائي. **(8)** نسيانك أنك مخلوق وأن كل مخلوق محدود، ولذلك مستحيل أن تحيط علما بالأبعاد النهائية للحكمة الإلهية. **(9)** أن الانغماس في المعاصي واللامبالاة بالطاعات يهيئ العقل والنفس للسقوط في الحيرة والشكوك والشبهات. **(10)** أنك ترفض أن تفهم أنّ العبرة ليست برفع شعار البحث عن الحقيقة، بل بكيفية البحث، ومعايير البحث.

076. وجدان الشهوة

ليس عيباً أن يكون الشاب _ذكراً أم أنثى_ ممتلئاً بالشهوة الجنسية؛ كما أنه ليس عيباً أن يشعر بضغطها القوي والمزعج، فذلك أمارة الصحة والفتوة، وأن جهازه الجنسي والعصبي يعمل بشكل جيّد. وما من شك في أن غريزةً لم تفارق الأنبياء والمصلحين ولا المفكرين والزهاد، من الواضح أنها بالأولى لن تترك الشباب ينعمون بالسلام والهدوء النفسي! لكن؛ من المؤكد جدّاً أن الشاب الذي يلزم خُلق العفة وينأى بنفسه عن تلبية هذه الغريزة الضاغطة بطريقة غير نظيفة في ميزان الشرع، هذا الشاب واضح أنّه لا يزال

يشعر بالقيمة والتقدير الذاتي، كما الشعور بالحرية والسمو والقداسة. إن التزام العفة يعكس نظرة سامية للذات، ومن ثم قدرتها على اختراق وتجاوز ضغط الغريزة.

077. استحالة التغيير

ما يجري في هذا الوقت في بلدان العالم العربي من المظاهرات المطالبة بالتغيير لا يمكن أن تؤتي أكُلها، لأن الدوافع والمنطلقات، ولأن الأهداف والغايات، مادية أو قل علمانية في جوهرها، فهي تدور في فلك الحريات والرفاه المعيشي والحقوق المختلفة، وليس الله سبحانه محورها ومركزها وغايتها، والله سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك. والإسلام يوم جاء ليحقق التغيير لم تكن تلك المنطلقات والغايات سبيله لمواجهة الجاهلية في ذلك العصر، بل قد حدد من البداية الهدف الذي جاء لأجله، والوسيلة لتحقيق هذا الهدف، وذلك بأن يدخل الناس في التوحيد والطاعة لله سبحانه في الشعائر والشرائع، وفي سبيل ذلك لن يقبل بأنصاف الحلول مع الجاهلية القائمة، بل هي المفاصلة التامة معها. ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، كما قال الإمام مالك.

078. قيمة العقل إسلامياً

الله سبحانه في القرآن كله لم يذم العقل أبداً، بل ما زال يمدحه ويرفع من شأنه ويعلي من قيمته، حتى إنه لم يذم الكفار بشيء ذمه لهم عدم استعمال عقولهم. وإذا ما تأملتَ هذه المسألة، وأعطيتها حقها من النظر، اهتديتَ إلى أن العقل مبني على الحق ومعجون بالحق، ومن ثم، فأسسه ومبادئه صادقة في ذاتها صدقاً مطلقاً، ولهذا تجد اللهَ تعالى يحتج على عباده بالعقل، ويحاكمهم إليه. وأصل هذا المعنى، أن الله سبحانه هو الحق ذو الكمال والعظمة اللامتناهية، وقد خلق الإنسان لمعرفته وعبادته. هذه الغاية المقدسة تقتضي ولابد أن يكون بناء الفطرة في الإنسان بناء ينسجم مع تلك الغاية، أو قل لإدراك الحق. وإذ قد فهمتَ هذا، فافهم أنها سر حث الله تعالى العبدَ على إطالة النظر وتقليب الفكر في آفاق الكون والحياة، أي في ملكوت السماء والأرض، فهذا العالم كله مخلوق خلقة منسجمة غاية الانسجام مع طبيعة العقل. وذلك لأن المعطيات الوجودية تعمل على تثوير دفائن العقل وكوامن الشعور، أي إن وظيفة الوجود بالنسبة للإدراك والشعور ليست إنشائية بل تنبيهية أو قل تثويرية، فلا بد من الوجود المادي (الدنيا، الجنة) للعقل، ليترقى أبداً في معارج المعرفة، ففي قوة العقل إدراك ما لا يتناهى من المعلومات.

079. تساؤلات حول السببية

إذا كانت السببية مجرد عادة ذهنية، كما يدعي الملحد وأنصار المادية، ويتخذونها من مبرراتهم لإنكار وجود الإله الخالق، فلماذا إذن يوجد هذا الاستعداد لها في الذهن؟ ولماذا الذهن مبرمج على السببية وليس على الفوضى مثلاً؟ ولماذا العالم يعمل في إطار السببية وليس الفوضى؟ ولماذا لا يستطيع الناس ــومنهم الملحدــ الانفكاك عن التعامل بمبدأ السببية في نشاطات حياتهم اليومية؟ ولماذا لا تستقيم حياة الأفراد والمجتمعات إلا بالانضباط بمبدأ السببية في حياتهم وعلاقاتهم؟ وإذا كان الأمر مجرد عادة، فلماذا العلم كله قائم على مبدأ السببية؟ هذه التساؤلات وغيرها لا يستطيع أنصار الإلحاد والرؤية المادية الإجابة عنها، وعجزهم دليل واضح عن السببية مبدأ فطري وقاعدة عقلية راسخة يولد بها الإنسان وليست عادة يكتسبها خلال حياته.

080. قصور عالم الدنيا

يقول الملحد: إذا كان الله كاملاً كما تعتقدون فكيف خلق عالماً ناقصاً، مليئاً بالشرور، فهذا يدل على أنه ليس كاملاً! قلنا: ولماذا يلزم إذا كان الله تعالى كاملاً أن يخلق عالماً كاملاً؟! ثم نحن لا نسلم لكم هذا الربط (العالم ناقص إذن الإله غير موجود) لأن عقيدتنا تقرر معنى لم تستوعبوه وهو الحكمة، أي إن الله خلق العالم الدنيوي ناقصاً لحكمة، وجهلنا بها لا ينفي وجودها. ثم أنت ذكرت مفهوم الكمال، الإشكال هنا هو: إذا كان العقل مادة متطورة كما تؤمنون بذلك، فكيف استوعب هذا العقل المادي المتطور مفهوم الكمال؟ ثم، لم لا يقال العالم الدنيوي كامل بالقصد الإلهي للكمال في إطار الحكمة الكلية للوجود، وليس بالمفهوم البشري، بحكم محدودية إدراك العقل البشري؟! ثم نحن لا نسلم لكم أن العالم مليء بالنقص والشرور، بل عند التحقيق نجد كفة الكمال والخير أرجح.

081. معايير الزواج

كثيرون ــمن الجنسينــ يفكرون طويلاً في شريك العمر المستقبلي، وبعضهم يضيف كل مرة معايير جديدة ومواصفات جديدة إلى قائمة الشروط الواجب توفرها في الشريك! وهذا إلى حدود معيّنة لا عيب فيه ولا تثريب فيه على صاحبه، ولكن؛ قلة قليلة جدّاً ــمن الجنسينــ يفكرون كيف يمكن الحفاظ على

علاقة جميلة ومستقرة ومنسجمة مع هذا الشريك عند لقائه والزواج به! إن المعايير النظرية قبل الزواج شيء يختلف تماماً عن الممارسة العملية في واقع الزواج، ولهذا فئة قليلة من الجنسين مَن يكون اهتماماً بطرق الحفاظ على العلاقة الزوجية جميلة راقية أكثر من اهتمامها كيف ينبغي أن يكون شريكها!

082. حقيقة السعادة

الإنسان بطبعه ينشد السعادة؛ غير أن كثيرين يحرمون أنفسهم منها! فهم لا يدركون أنّ السعادة ليست محطة، عندما نصل إليها نتوقف فيها لأنّنا نكون قد حققنا السعادة الكاملة! بل من الجدير أن نفهم بأنّ السعادة رحلة ممتدة بلا نهاية، ولا يمكن أن تتوقف عند حد معين. ذلك لأنّ السعادة بما أنها شوق من أشواق الروح، فإنّها لا تتجلى في الواقع إلا بشكل جزئي، أي إنّ الإنسان مهما حصّل من السعادة فإنّه يشعر دائماً بأنّ هناك سعادات أخرى أفضل وأنبل وأجمل ينبغي أن يحرص عليها. فمشكلة التعساء هي جهلهم وغفلتهم عن هذه الحقيقة، وكذلك حصرهم لها في الأشياء المادية، فيُعلّقون السعادة على مقدار ما يحوزون من الماديات! وهذا غلط بيّن، فالماديات مهما كثرت وتنوعت ليست سوى وسائل جزئيّة مساعدة على السعادة، وكم من فقير في قمة السعادة، وكم من غني في منتهى البؤس والشقاء!

083. مصدر القيمة للمسلمة

لا نريد للمسلمة أن تنخدع للعلمانيين والنسويات بأن بقاءها في البيت وعنايتها بزواجها وأسرتها وأطفالها حط من كرامتها وقيمتها، وأن خروجها وهجرانها لتلك المهمة المقدسة، هو الذي يمنحها القيمة والتقدير والاحترام! فهذا الانخداع يعود بالتوتر والضياع والاضطراب على أنوثتها ودينها وزواجها وأسرتها. ومن هنا، نحن نحب لها أن تفهم أن تحقيق الذات والقيمة والإنجاز مرتبط بمدى قيامها بمهمتها التي حددها لها الإسلام. أي إننا ننظر لهذه القضية في إطار متعدد الأبعاد: العقدي والنفسي والأسري والاجتماعي، ولا نعيش أوهام العلمانية لنقول بأن كل شيء على ما يرام لمجرد حصول الزوجة على مرتب مالي تساعد به في رفع مستوى المعيشة المادي للأسرة. وانظر للأمم الجاهلية في هذا العصر، تجد أن من أبرز أسباب التحرش الجنسي والتفكك الأسري والتوتر الاجتماعي، هو خروج المرأة للعمل.

084. أدلة وجود الله ﷻ

من رحمة الله سبحانه وحكمته، أنه نوّع الأدلة على وجوده بل ضرورة وجوده، فهناك الأدلة العقلية، وهناك الأدلة العلمية، وهناك الأدلة التاريخية، وهناك الأدلة الأخلاقية، وهناك الأدلة النبوية، وغير ذلك. وسر هذا التنوع والكثرة والمجانية في الأدلة ليقطع بذلك عذر الناس جميعاً بمختلف طبقاتهم، من عالم وجاهل، وذكي وبليد، وشيخ وشاب، ورجل وامرأة، في كل زمان ومكان، وكيفما كان مستواهم من الحضارة والبداوة، والتقدم والتخلف. وكذلك لأنه سبحانه إنما خلق الخلق ليعرفوه معرفة صحيحة فيعبدوه عبادة صحيحة، فلما كان سبحانه يحب أن يعرفه العباد نصب لهم من الأدلة وأنواعها الشيء الكثير، إذ مضت حكمة الله تعالى أن العباد كلما كانوا أحوج لشيء في حياتهم الوجودية والعقلية والروحية جاد به أكثر ونّوع مصادره أكثر، فلله الحجة البالغة. ولهذا؛ عندما يذهب الملحد إلى القول بأنه لا توجد أدلة أو إن الأدلة غير كافية، فهو إنما يسخر من نفسه متّبعاً هواه بغير علم ولا هدى ولا سلطان مبين!

085. الزوجة طالبة العلم

لتعلم طالبة العلم أنها يوم تتزوج، فإن زوجها لن يفرح بموسوعيتها العلمية وثقافتها المعرفية، ولن يكون حريصاً على خوض نقاشات شرعية أو معارك فكرية معها. فليس لهذا تزوجها، ولا لهذا رغب فيها، ولا هي غايته من الاقتران بها، بل بالحري أنّه ينتظر منها رقة أنوثتها، وحلاوة زينتها، ومهارة طهيها، وحسن تدبيرها، ورعاية أطفالها، كما أنّه يريدها لتكون له ملاذاً يجد فيه الهدوء والسكينة والمتعة من ضغوط الواقع وشدائد الحياة وتزاحم التحديات. فهذا فقط ما يفرحه بها وينشده منها. فكوني على ذكر من هذه الحقيقة، فإنّ كل علاقة لها متطلّبات لابد منها، تثبت بوجودها وتهتز بانعدامها. وحين تتجاهلين هذه الحقيقة، فلا شك أنّ حياتك الزوجيّة ستكون جحيماً كئيباً، تكونين أنت نفسك أول وأبرز ضحاياها.

086. خدمة المسلمة للمجتمع

كثير من الملتزمات يقلن (نريد العمل لتحقيق الذات والشعور بأننا قدمنا شيئاً للمجتمع). وهذه فكرة ظاهره حسن وباطنها سيئ! ومع ذلك، لماذا يحصرن ذلك في العمل خارج البيت! ثم من الذي أوجب عليهن أو طالبهن بضرورة تقديم شيء للمجتمع! ومن الذي له حق تحديد طبيعة ما يجب على المرأة المسلمة أن تقدمه للمجتمع! وعلى كل حال، فلا يلزم من مبدأ نفع المجتمع ألا يتأتّى إلا بالعمل خارج البيت، خصوصاً حين نستحضر حقيقة أن خروج المرأة للعمل ضرره أكثر بكثير من نفعه، وقاعدة

الشريعة وحكمة العقل تذهبان إلى أن ما غلب شره خيره، وفاق ضرره منفعته، وجب اطّراحه وإلغاؤه وعدم اعتباره. لقد رأينا كثيرات خرجن للعمل، وكانت البداية نية طيبة، ثم صارت النتائج مرعبة، بسبب ضعف القيام بواجب تربية الأبناء، والعلاقة بالزوج، وتدبير شؤون البيت، فكثرة المشاغل داخل البيت وخارجه، لابد أن تصيب المرأة مع مرور الوقت بالإرهاق، بل وجدنا عاملات لا يُشك في أخلاقهن والتزامهن، لكن بسبب الاختلاط، اضطربت حياتهن العاطفية، فتأثرت حياتهن الزوجية، ومنهن من سقطت!

087. النجاح الحق

الإنسان بفطرته يبحث عن النجاح، لأنه يمنحه شعور القيمة والتقدير، ولهذا حرص الإسلام على ضبط هذه النزعة العميقة في الإنسان، فحدثه عن أصله وأنه مخلوق كريم، وحدثه عن مهمته وأنها عبادة الله بالمفهوم الشامل للعبادة، وحدثه بأنه مخلوق للأبدية وليس للفناء وما وجوده في الدنيا إلا مرحلة عابرة، ومن ثم ضبط مسار النجاح الأسنى في: رضوان الله تعالى ودخول الجنة بعد الموت، وربط كل نشاطاته اليومية وطموحاته للنجاح بطاعة الله والالتزام بمنهج شريعته، أحكاماً وآداباً. مفهوم النجاح إذن في تصور المسلم يتجاوز حدود الدنيا وضيقها إلى آفاق الأبدية ورحابتها، وهذا من شأنه أن يجعل معنى النجاح مختلفاً في منطلقاته وغاياته ومذاقه بين المسلم وغيره، بسبب اختلاف الرؤية الوجودية للذات والعالم والمصير. وهذا ما ينبغي على الشباب المسلم أن يكونوا على وعي به، بعد أن أخذ كثير من رواد ما يسمى بالتنمية البشرية ترسيخ مفهوم النجاح مادياً مع إضفاء لمسات إسلامية لتحقيق ترويجه وتقبله!

088. الإنسان بين الإسلام والعلمانية

الإسلام يحرص على تنمية الروح باعتبار الإنسان كائناً سماوياً، والعلمانية تحرص على تنمية النفس باعتبار الإنسان كائناً أرضياً! القضية هنا وهناك لها صلة وثيقة بطبيعة العقيدة والرؤية الوجودية بين الإسلام والعلمانية، فالإسلام يرى الإنسان كائناً له قيمة وجودية مركزية، وهو مسؤول ومكلف، ولذا فهو محاسب ومجازى يوم القيامة على أفعاله ونشاطاته وحياته، والعلمانية ترى الإنسان كائناً بلا قيمة وجودية مركزية، بل مثله مثل أي كائن آخر في هذا العالم، وليست عليه مسؤولية إلهية ولا هو مكلف إلهياً، ولا مصيره بعد الموت مرتبط بمدى قيامه بواجبات الله تعالى عليه. ولهذا؛ لما اختلفت هذه العقيدة والرؤية بينهما وكانت في غاية التناقض، لا عجب إذن أن يسعى كلٌّ دين منهما في الإنسان من منطلق عقيدته ورؤيته الوجودية.

وهذا أحد الأسباب الجوهرية في استحالة التوافق بين الإسلام والعلمانية، لأنهما متناقضان في الأصول والمبادئ والأهداف والغايات.

089. خطأ في التربية

من أبرز أخطاء التربية التي يقع فيه كثير من الآباء اليوم: إطلاق العنان للطفل ليفعل ما يشاء بدعوى أنه طفل محتاج لذلك؛ يغرس فيه الأنانيّة واللامبالاة، وكلاهما له عواقب خطيرة عليه في المستقبل. فنمو الطفل وهو لا يعرف معنى الانضباط والجدية والمسؤولية، يجعله عرضة للانكسار بسهولة تحت مطارق الواقع وظروفه المتقلّبة، وهذا ما يدفع به للانسحاب والتقوقع على الذات، أو يجعله فريسة للدعوات المنحرفة والأفكار الهدامة، وهذا ما يدفع به للثورة والتمرد الجموح على القيم والمبادئ! وهاتان الآفتان تعاني منهما في عصرنا المعاصر الكثير من الأسر والمجتمعات العربية والإسلامية!

090. تراث الأمم

تراث الأمم مثل ذاكرة الأفراد، فكما لا يمكن أن يعيش الفرد منفصلاً عن ذاكرته إذ هي جزء من تكوينه الذاتي، كذلك لا يمكن أن تعيش أمة منفصلة عن تراثها إذ هو جزء من تكوينها الذاتي. ومن هنا، فالذي يطالب الأمة بالانفصال عن تراثها كالذي يطالب الفرد بالانفصال عن ذاكرته، فإذا صح أن مطالب الفرد بالتخلي عن ذاكرته، لا يمكن أن يكون ناصحاً صادقاً، فكذلك من يطالب الأمة بالانفصال عن تراثها، لا يمكن أن يكون ناصحا أميناً، بل لا بد أن يكون ساعياً في ربطها بتراث أمة أخرى، بما فيه من أفكار وتصورات وثقافة، إذ كان لابد للأمة من الذاكرة وإلا اضطرب نظامها، كما لابد للفرد من الذاكرة، وإلا اختلت شخصيته.

091. الترحم على الكافر

يقترف المسلم السفيه بترحمه على الكافر "كالملحد، الصليبي، العلماني" ثلاث جرائم: **الأولى،** يستدرك على الله تعالى حكمه ويرد عليه قضاءه، فالإسلام واضح في الكثير من الآيات والأحاديث بأن من مات على غير الإسلام فهو في النار خالداً فيها أبداً. **الثانية،** يفرغ النبوات من مضامينها، فأحد أهم مقاصد النبوات تحقيق الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، والتمييز بين الناس على مقتضى التوحيد والاتباع. والحساب الأخروي وثيق الصلة بهذا. **الثالثة،** فرض مآل ختامي على غير ما توجبه عقيدة أولئك

الكفار، فالسفيه يناقض عقيدة هؤلاء رغماً عنهم ليدخلهم الجنة التي هم أصلاً لا يؤمنون بها حسب الشروط التي قررها وحددها الإسلام. والمنافقون في وسائل التواصل يخدعون الغوغاء من المراهقين والشباب بأن الله رحيم وكريم، ويتغافلون عن أن الله تعالى شديد العقاب، وأنه عدل، ومن العدل عدم التسوية بين المؤمن والكافر. أي إنهم يفرضون على الله طريقة التعامل مع البشر!

092. جوهر العلمانية

العلمانية في جوهرها تعني نزع حق السيادة التدبيرية عن الله تعالى، ومنحها للإنسان، متجليّاً في الدولة، فالعلمانية إذن شرك! وهذا متضمَّن حتى في تعريفهم للعلمانية، أعني قولهم بأنها فصل الدين عن الدولة، فهذا التعريف يتضمن الاعتراف بأن العلمانية بما أنها فصل دين الله عن الحياة فهي إذن دين بديل! وهذا الدين البديل له الحق في احتلال نفس مواقع الدين الأول، على مستوى التوجيه والتدبير والتأطير والتنظيم. وينتج عن هذا أن الفرق الوحيد هو أن الإسلام دين إلهي، والعلمانية دين أهوائي. وبسبب هذا كله، لا يمكن أن تكون العلمانية محايدة، فالحاكم العلماني بالضرورة يحرص على حماية العلمانية من الإسلام، فلا يجد سوى العمل على التضييق عليه، إما بشكل مباشر أو غير مباشر.

093. الفتاة والحياء

أيتها الفتاة المسلمة، قال ربك سبحانه عن فتاة مسلمة مثلك مضت في التاريخ قبل مئات السنين: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ [القصص: 25]، واضح جداً أن التقاط هذا المشهد ﴿تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ لم يكن اعتباطا، جل ربنا وتقدس عن ذلك، ولكن ليُخلد هذه الحقيقة.. حقيقة أن المرأة هي الحياء، بقدر ما تأخذ منه تأخذ تكسب قيمتها، وبقدر ما تفقد منه تفقد من قيمتها. لقد جاءت ﴿تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ وهذا تعبير شديد الإيحاء، كثيف الدلالة، متدفق المعنى، فهي من شدة حيائها صار الحياء يحيط بها من كل جهة، فحتى مشيتها تخطوها كأنها تخطو على بساط الحياء، وهذا يشير إلى أن كل شيء فيها، كلامها، حركاتها، نظراتها، كل ذلك يتدفق حياء، ولم تكن كذلك إلا لأنها شبَّت في بيت رباها على الحياء، وغرس فيها معانيه النبيلة. أما اليوم، فتجد الفتاة كأنها لم تسمع قط بشيء اسمه الحياء، بل تراها مرسلة في مشيتها، وفي حركاتها، وفي كلامها، وفي نظراتها، تمازح هذا، وتناقش ذاك، وتسافر وحدها أو مع

شبيهة لها، ثم بلا حياء تقول لك أنا فتاة ملتزمة! وما هذا الالتزام! إنه قطعة قماش على رأسها، وإنه عدم خوض مغامرات غرامية! وإن شئتَ أن تقول بأنه التزام بلا حياء فهو بلا شك مذهب معتبر في الرأي.

094. تيسير عرض الإسلام

كثرة الانحراف الفكري والعقدي لدى الشباب، خصوصاً مع سقوط كثيرين في مستنقعات الإلحاد، تفرض على من يحمل هَم هذه الأمة الحرص على تقريب الإسلام إلى عقولهم، من خلال بساطة الأسلوب، وسهولة العرض، وتركيز الأفكار، وبيان الأسس العقلية والنفسية والوجودية التي أسس عليها الإسلام نظامه العقدي والعبادي والقيمي والتشريعي. والواقع أننا نعاني من آفتين: إما آفة التبسيط المخل والاختزال المثير للغثيان، وإما آفة التعقيد والأسلوب المبهم الذي لا يصبر عليه ولا يستوعبه إلا أصحابه وطلبته! وواضح أن الشباب ينفرون من هذا ومن هذا.

095. أجيال الدجال

تؤكد وسائل التواصل الاجتماعي الشهيرة، على أن أتباع الدجال الأكبر سيكونون حشوداً هائلة جداً، كما أخبرنا بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم! فلقد استطاعت العلمانية المعاصرة، بإعلامها ونمط حياتها وشعاراتها إنتاج أجيال تافهة جدّاً، وساذجة جدّاً، وهشة جدّاً! إنها أجيال أشبه بالمادة الهلامية بلا معالم ولا ثوابت ولا أصول! وهي تفاهة وسذاجة وهشاشة تشمل الفكر والسلوك والطموحات! ومن ثم، لم تعد هذه الأجيال قادرة، بل ولا راغبة في تجاوز حدود عالم الحس والمادة والدنيا، لأنها فقدت الصلة بالقضايا الوجودية الكبرى، ولأنها لم تعد تتحرك في إطار قيم العقيدة وأصولها وثوابتها وهي تتعاطى مع الأشخاص والأحداث! وبلا شك، يصح أن نقول بأن هذه الأجيال الصاعدة هي أجيال الدجال!

096. دعوا الخلق للخالق

كلما هلك ملحد أو مشرك، خصوصاً إذا كان له شهرة، تجد المنافقين يتسابقون للقول: دعوا الخلق للخالق، رحمة الله أعظم من تشددكم، الجنة ليست حصراً على المسلمين، هل تعلم الغيب فلعله تاب قبل موته، ولعله أفضل عند الله منك، هل تريد فرض إرادتك على الله! هؤلاء المنافقون الجدد لا يعنيهم في شيء مصير هذا الملحد أو المشرك، فهناك آلاف من الوثنيين والملحدين والمجرمين يهلكون كل ساعة في العالم، ولا يبالي هؤلاء بهم، لكنهم يستغلون الفرصة لإنشاء تطبيع بينك وبين الكفر، ولتمييع العقيدة في

عقلك، ولغرس فكرة عدم تميز الإسلام عن غيره من الأديان والعقائد، وللترويج لديانة الإنسانوية المتوهمة! في سبيل ذلك، يضيفون إلى شعاراتهم التي ذكرت بعضها أولاً، التلاعب بالقرآن الكريم، والحرص على تفريغ نصوصه من معانيه، وتعطيل مضامينها، والذهاب في تأويلها كل مذهب. فهم جهمية في الأحكام كما كان أسلافهم جهمية في الصفات. وعلى كل حال، هم يراهنون على جهل جمهور الشباب بأبسط أبجديات الإسلام وأسس العقيدة ومبادئها.

097. الخوف من الزواج

الخوف من الزواج في فترة الخطبة يرجع إلى سببين رئيسيين، أولهما بسبب تصرفات الخاطب، والثاني بسبب وجود خوف قبلي من الزواج. السبب الأول يمكن أن يكون مبرراً مثل مطالبة الخطيبة أن تستأذنه في الصغيرة والكبيرة، علماً أنه لا حق له عليها، فالخطبة مجرد وعد بالزواج وهذا لا يفرض حقوقاً ولا واجبات، أو مثلاً مطالبته تفتيش هاتفها وحسابها في فيسبوك أو غيره، أو مطالبته بعدم الخروج نهائياً فقد يكون بسبب الغيرة الزائدة. والقول هنا مثل القول في المثال الأول. فكل هذا أراه مبررات للخوف مما يأتي بعد الزواج، ويمكن التحاور مع الخطيب بخصوصها. أما الخوف الأصلي من الزواج فهو خطأ محض، وهو ناتج عن رؤية مثالية للزواج فتخاف الفتاة أو الشاب ألا تتحقق أو تجزم بعدم التحقق، وقد تكون بسبب كثرة ما ترى وتسمع من حالات الطلاق وعلاقات زوجية بائسة، وهنا تحتاج الفتاة والشاب لتعديل زاوية التعامل مع ما يرى ويسمع، فالعاقل يعتبر من أخطاء نفسه كما من أخطاء غيره.

098. دافع عن أفكارك

تعلم أن تدافع عن أفكارك بكل قوة، فأفكارك قطعة من عقلك وشيء من شخصيتك، ولكن، حين يتبين لك خطؤها ووهنها فلا تتردد في التراجع عنها، فليس بين العاقل والحق عداوة، فقد يتبنى الرجل العاقل فكرة معتقداً أنها تجري على منهاج الحق وقانون الوحي، ثم يكتشف أن اعتقاده كان حقاً في ظاهره باطلاً في باطنه، فلا يمنعه الخجل ولا الكبر عن مراجعة نفسه والذهاب مع برهان الحق حيث قاده. إن القوة في الدفاع عن أفكارك لا تعني أنك عنيد متحيز بالهوى لها، بل تعني أنك شخص جاد ومسؤول في بناء منظومة أفكارك وتبني رؤاك الخاصة، ولا تبالي أن يقال أحسنت أو أسأت، إذ لم يكن واجبا عليك في شريعة الوحي ولا فضيلة الحكمة أن تطلب رضا غيرك.

099. دلالة الأسماء والصفات

من معالم القرآن الكريم المثيرة للانتباه، كثرة ورود أسماء الله وصفاته في مختلف سوره وآياته، وفي شتّى مواضيعه ومجالاته، وفي مختلف سياقاته ومحاوره! وهذا الأمر ــبلا شكــ له دلالة مقصودة وغاية منشودة، فما كان ليكون كلام الله سبحانه غير كذلك. ولنا أن نذكر منها: تحقيق (**معرفة الله ﷻ**)، فهذه الكثرة المتنوعة تدل على عظمة الخالق وكماله وجلاله، وبذلك يشهد العبد تلك الفاعلية الدقيقة لله تعالى في كل شيء، وأنه سبحانه وثيق الصلة بالإنسان والحياة والكون. ومنها إنشاء (**وعي جديد**)، فربط مختلف المواضيع وشتّى المجالات بالأسماء والصفات يساعد المسلم على أن يتعامل معها بوعي جديد وأن يعيش في ظلالها وهو يتلقى إيحاءاتها ومعطياتها. فبحق نقول بأن الأسماء والصفات مدارج الروح نحو الكمال المعرفي والثراء الروحي. ولقد فهم الجيل الأول القضية على هذا النحو، فكان جيلاً فريداً، لكن حين دخل المسلمون نفق الجدل والكلام والفلسفة الوثنية، صارت هذه الدلالة مبهمة وغامضة!

100. موضوعية الأخلاق

من الشبهات الإلحادية المثارة في موضوعية الأخلاق، شبهة أن هناك ملاحدة أخلاقيون، وهذا يعني عدم الحاجة في الأخلاق للدين والإيمان والإله! والحقيقة أننا لا يهمنا أن يكون الملحد أخلاقياً، الذي يهمنا ثلاثة أمور: (**أولاً**) هل الإلحاد في نفسه حق أم باطل؟ (**ثانيّا**) هل أسس الإلحاد يمكن أن تبرر الأخلاق؟ (**ثالثاً**) هل يفرض الإلحاد على الملحد أن يكون أخلاقياً؟ لماذا نقول هذا؟ لأن العلاقة بين كون الشخص أخلاقياً وقناعاته العقدية ليست حتمية، فكما قد يكون المسلم فاسقاً فاجراً رغم أن الإسلام يفرض الأخلاق ويقدسها، فكذلك قد يكون الملحد طيباً وصالحاً رغم أن الإلحاد لا يفرض الأخلاق ولا يقدسها. فإذن القضية ليست في إمكانية أخلاقية الملحد، بل في مبرر الأخلاق إلحادياً، وهذا سؤال لا يستطيع الملاحدة التعامل معه، بل تراهم يهربون من التوقف عنده لما يدركون من مضامينه ومقتضياته!

101. وجود الله في الإسلام

من ملامح العقيدة الإسلامية في الله تعالى: (**الإله الحق**). الله سبحانه هو الإله الحق، لكمال ربوبيته وعظمة ألوهيته، فهو لذلك المستحق للعبادة والمحبة والتعظيم والتشريع. ولهذا كان الإشراك به في العبادة

والتشريع جريمة فظيعة. **(مباينة العالم)** الله سبحانه ليس كمثله شيء، فهو لذلك خارج العالم المخلوق، ليس منه سبحانه شيء في العالم، وفيه شيء من العالم. وليس كما يعتقد قوم أنه لا داخل العالم ولا خارجه. **(العلو المطلق)** الله سبحانه له العلو المطلق، ذاتاً وكمالاً وجلالاً، ولذلك تظاهر الوحي والفطرة في إثبات العلو لله تعالى، وعلى هذا الصحابة والتابعون وأئمة الهدى، عكس قوم لا يعرفون أين الله! **(الأولية الوجودية)** الله سبحانه هو الأول، كان ولم يكن معه شيء كما لم يكن قبله شيء، كان بكماله وجلاله وجماله قبل خلق المخلوقات، ولم يزده خلقه لهم كمالا لم يكن له. فهذا العالم ليس سوى بعض مظاهر بعض أسمائه وصفاته. **(القيومية التامة)** الله سبحانه رغم كماله الفائق وعظمته اللامتناهية، فهو قيّوم على الخلق كافة، مدبر لكل ذرات الوجود، وليس تعالى مهملا لهم، ولو رفع الله تعالى تدبيره طرفة عين لانهدّ الوجود كله. والله يرحمنا ويهدينا وإياكم.

102. الموقف الضبابي

عندما ينهج الداعية الذي له حضور بين الناس، منهج إمساك العصا من الوسط، لإرضاء مختلف الفرقاء، وعندما ينهج هذا الداعية، منهج السيولة في التعبير والبيان، ليكون كلامه حمّال أوجه، لإرضاء مختلف الفرقاء، فهنا قل: ما كان أغناك يا رجل عن الدخول في هذا!! ما ينبغي أن يكون واضحاً عندنا، هو أنه في أزمنة الفتن، يجب على مَن ينزل إلى ساحة المعركة أن يكون واضحاً، صريحاً، ثابتاً، بلا ضبابية، ولا سيولة، ولا حرص على إرضاء الفرقاء، بل يكون بيان الحق إمامه وغايته، ثم لا يبالي بمن قبله أو رفضه، وإلا فالنتيجة الحتمية هي أنه سيكون هو نفسه فتنة لـ "المعجبين" به، فيأخذون كلامه مأخذ ما يصادف أهواءهم المتشكّلة تحت سلطة الثقافة المهيمنة، كما أنه يكون فتنة لـ "المناوئين" له، لأنهم يجدون في كلامه الهلامي تأييداً لمواقفهم، وسنداً لأفكارهم! يمكن أن نستحضر هنا من التاريخ، في فتنة القول بخلق القرآن، موقف الفريق الذي فضّل موقفاً محايداً، لا يقول بأن القرآن مخلوق ولا غير مخلوق، فشنّ عليهم أهل السنة والأثر الهجوم والتشنيع لأنهم كان يسعهم الموقف المحايد والصمت لو لم تشتعل الفتنة التي أثارها المعتزلة والجهمية، أما والفتنة قائمة تحصد عقائد المسلمين حصداً، فسيكون الموقف المحايد الضبابي الهلامي من الورع البارد، وموقفاً بلا معنى إلا دعم الفتنة! وهذا ما يحصل اليوم في كثير من القضايا، مثلما يسمى بـ "قضايا المرأة"، و "تحكيم الشريعة"، وغيرها. اللهم بصّرنا ونوّرنا وثبتنا واغفر لنا.

103. حياة الفجور بين المؤمن والملحد

(لماذا تقولون دائماً بأن من صفات الملاحدة أنهم غارقون في الفجور والشهوات مثل الخمر والنساء، ونحن نرى حتى المؤمنين يفعلون ذلك والتاريخ يؤكد ذلك أيضاً). الواقع أننا لم نقل بأن المؤمن لا يزني ولا يشرب الخمر ولا يلهث وراء الشهوات المختلفة، وإنما الفرق بين فعل الملحد للفجور والشهوات وفعل المؤمن لذلك، هو أن الإلحاد يقتضي ذلك، فمثلاً لا يوجد مانع مادي من أن يزني الملحد ولو بأمه أو أخته أو ابنته فضلاً عن غيرهن، ولا يوجد مبرر مادي يحبس الملحد عن حياة الفجور والشهوات بلا اعتبار لأي مقدسات أو قيم أو مبادئ، فالعالم بالنسبة للملحد مادة، والحياة عبث، والموت نهاية الرحلة. وبهذا نفهم بأن الملحد حين يزني ويشرب الخمر ويلهث وراء شهواته المختلفة، يكون منسجماً مع رؤيته المادية، بل حين لا يزني ولا يشرب الخمر ولا يلهث وراء النساء ولا يبحث عن الشهوات يكون قد وضع نفسه موضع التناقض مع الإلحاد! أما المؤمن، فالأمر مختلف، لأن الإيمان والتوحيد والاعتقاد في الله تعالى واليوم الآخر والجنة والنار، كل هذا يقتضي منع الزنا والخمر واتباع الشهوات، وحين يفعل المؤمن ذلك، فإنه يكون متناقضاً مع طبيعة الإيمان ولوازمه ومتطلباته، بل فعل المؤمن للزنا والخمر وغير ذلك، يوجب له شرعاً العقوبة، وإذا مات على ذلك من غير توبة كان العذاب بانتظاره، إلا أن يعفو الله تعالى عنه، ولهذا؛ فحين لا ينغمس في الفجور والشهوات حينها فقط يكون منسجماً مع الإيمان وانتمائه للتوحيد والاعتقاد في الله تعالى واليوم الآخر. إذا فهمتَ هذا، فهمت لماذا بعض الباحثين يضعون حياة الفجور والشهوات في خانة سمات الإلحاد اللازمة. والله الهادي سواء السبيل.

104. قيمة الحياء في المرأة

رأسمال المرأة الحياء، بقدر ما يكثر حياؤها أو يقل يكون صلاحها وأنوثتها. ولهذا حين مدح الله تعالى ابنة شعيب عليه السلام، حين عودتها إلى سيدنا موسى عليه السلام لتخبره بدعوة أبيها له، قال: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾، فهذه الصياغة "تمشي على استحياء"، توحي ــوالله أعلمــ أن الحياء تغلغل في عقلها وقلبها، وأحاط بنفسيتها من كل الجوانب، حتى إنها حين تمشي كأنها تمشي على بساط الحياء. ولأن الحياء أصيل في الأصل في المرأة، ووجوده يدل على سموها وشرفها ونبلها، كما أن قلته أو انعدامه يدل على خلوها من ذلك، تجد الرجال يتخذون من طريقة مشي المرأة أمارة على ارتقائها أو انحطاطها. واليوم تقوم جهود جبارة لفصل الفتاة المسلمة عن خُلق الحياء، وهذا ليس خاصاً بعموم البنات، بل حتى الملتزمات ــزعمــ مع موجة التدين الليبرالي الذي يروج له البعض تحت ضغط الفكر النسوي والعلماني الغالب، فتترسخ فيهن فكرة (أنت لا تصاحبين الشباب، وتضعين قطعة قماش على رأسك، إذن

كل شيء بعد ذلك تمام). ولهذا ترى من هذا الصنف الكثير من المواقف والسلوكيات الدالة على قلة الحياء فيهن، والله المستعان.

105. هدى الوحي هو الهدى

الله سبحانه خلق الإنسان لغاية محددة، وهي العبادة بمفهوها الشامل والمتكامل. ومن رحمته سبحانه أنه لم يترك الإنسان يبحث في طرق الاهتداء إلى هذه الغاية، بل أمدّه بالوحي [القرآن، السنة] متضمناً منظومة العقيدة التي ينبغي اعتقادها، ومنظومة الأحكام التي يجب الالتزام بها، ومنظومة الآداب التي يحسن التمسك بها. وقد وعد الله تعالى مَن ابتغى الهدى وطلبه من بابه، وهو الوحي، أن يهديه سواء السبيل، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾، وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾. والحمد لله لم يلتحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى حتى تركنا على المحجة البيضاء، في العقيدة والأحكام والآداب، وبيان الصحابة والتابعين وأئمة الهدى من الرعيل الأول، كثير جداً، في كل جوانب العقيدة والآداب والأحكام، فلا عذر لأحد، فالحجة قائمة. ولهذا؛ فلا هدى إلا في الوحي، أما الاعتماد على النفس والتمسك بالعقل، فلن يوصل صاحبه إلى شيء له قيمة، إذ الإنسان مهما اتّسع في القراءة والتأمل والتجارب والاكتشافات، يظل قاصراً، وعاجزاً، ومحدوداً، عن المعرفة النهائية، بل لابد أن يختلط في فكره الحق والباطل، والوهم والحقيقة، والصواب والخطأ، فالعقل يتشكل داخل مجموعة روافد متشابكة، كالأهواء الخفية، والرواسب النفسية، والخبرات الخاصة، والمؤثرات الخارجية، والثقافة المهيمنة، وغير ذلك. وانظر كيف أن حشوداً من عباقرة العلم الطبيعي من النصارى يؤمنون بالعقيدة النصرانية المناقضة لأبسط مبادئ العقل السليم، وليس ذلك منهم إلا لأن عبقريتهم العلمية لم تؤثر على عقولهم تأثير العقيدة التي نشأوا عليها، والجو الاجتماعي الذي يعيشون فيه، وقل الشيء نفسه عن عباقرة الهند والصين واليابان وغيرها مع عقائدهم وعقولهم. إن الحق واضح جلي، مَن طلبه وجده، وسلك طريقه أدركه، أما من يحب التفلسف أو اغتر بالشعارات الهائلة، فلن يلومن إلا نفسه.

106. بيع الوهم للملتزمات

ماذا حققت "المناضلات الملتزمات" داخل الأحزاب الإسلامية طيلة العقود الخالية!! فقد قيل للمرأة الملتزمة الكثير حول أهمية دخولها معترك النشاط الاجتماعي بمختلف مجالاته للمساهمة في الدعوة والنهوض بالأمة! لمعرفة الجواب؛ من المهم تذكر الواقع الأسود الذي آلت إليه هذه الأحزاب، واقع التمييع

والتنازلات! فحين ترى ما آل إليه حال الأحزاب الإسلامية، المغرب وتونس ومصر وغيرها، وسقوط الكثير من رجالها في فخ التمييع والتنازلات! وحين ترى ما آل إليه حال الكثير من العلماء والدعاة تحت ضغط السلطات، السعودية وسوريا ومصر وغيرها! حين ترى رجالاً سقطوا، ولا يشك أحد أن منطلقهم كان هو "الدعوة والنهوض بالأمة"، حين ترى كل هذا، ومع ذلك، تأتي لتنفخ في بنات المسلمين فكرة الخروج إلى الواقع للمساهمة في الدعوة والنهضة والتقاط بعض المواقف في عصر النبوة أو حتى عبر التاريخ لدعم هذه الفكرة، مع تجاهل طبيعة الواقع الراهن، واقع الرأسمالية المتوحشة، والعلمانية الفاجرة، والليبرالية الماجنة، واقع التضييق الخانق على الإسلام والمسلمين، حين تفعل كل هذا، فأنت هنا تبيع الوهم لهؤلاء البنات الطيبات!! فإذا كان الرجال سقطوا بسبب الضغوط، وأحياناً بسبب بريق الدنيا، فهل ستتثبت النساء في المعركة دونما حدوث مسخ في أنوثتها قبل التزامها!! النصيحة للفتاة المسلمة اليوم هي حثّها على اكتساب ما يحسن بعموم المسلمين تعلمه من الثقافة الشرعية، عقيدة وآداباً وأحكاماً، مع شيء من الثقافة المعاصرة، وكل هذا سهل ميسر، فهناك عشرات الكتب والمقالات والدروس في يوتيوب، ثم تذكيرها أن الأصل فيها هو أن تعمل لتكون صالحة في نفسها لا تتبع أهواءها والشعارات البرّاقة المنتشرة، وأن تحرص لتكون زوجة صالحة وأما صالحة، لتخرّج للأمة أبناء صالحين، فخورين بانتمائهم للإسلام، ثابتين على عقيدته ومبادئه، لا يميّعون ولا يتنازلون، أي لتخريج الرجال. فهذا واجب المسلمة الواعية الناضجة التي تعرف معنى كونها امرأة، ومعنى كونها مسلمة، وهذا ما يجب ترسيخه بين بنات المسلمين، أما غير ذلك من شعارات "للمرأة المسلمة دور فعّال ونشاط مهم ينتظرها للقيام بها" ويقصدون به كل شيء خارج البيت ومزاحمة الرجال تحت شعار "الدعوة والنهضة"، فهذا لا يشك عاقل أنه بيع للوهم وترويج لميوعة المسلمة بصبغة إسلامية. ورحم الله من اتعظ بغيره.

107. بين الحق والواجب

الإسلام قائم على فكرة الواجب، وليس على فكرة الحقوق، ولذلك ما زال المسلمون منذ عهد النبوة ينشؤون أبنائهم في إطار الواجب واحترامه والتزامه والحرص عليه، وليس في إطار الحقوق والمطالبة بها واللهاث وراءها وابتكار أشكالها. وقد كانت النتيجة أن الجميع ينشأ وهو يعرف واجباته المختلفة، والتي أساسها ومرجعها هو الواجب تجاه الله تعالى، أي القيام بالواجب "مع الزوج، مع الابن، مع الأهل، مع الجار، مع الزبون... إلخ"، لأن الله تعالى فرضه وأمر به، فكان الأبناء يشبّون رجالاً بحق، والبنات يشببن نساء بحق، وكانت الأسر مستقرة، والمجتمع متماسكاً. أما اليوم، ومع استيراد وهيمنة الليبرالية، صار أفراد

المجتمع المسلم يطالبون بالحقوق، ويلهثون وراء الحقوق، ويبحثون عن الحقوق، لأنهم أساساً نشأوا على فكرة الحقوق، فماذا كانت النتيجة؟ كالحة بائسة بجميع المقاييس، فلا الابن يشب رجلاً بحق، ولا البنت تشب امرأة بحق، بل مسوخ مشوهة، ومن ثم، كان التفكك الأسري، والتمزق الاجتماعي، والاستبداد السياسي. إن الأمم لا قيام لها إلا بمدى سلطان الواجب عليها وخضوعها له ونشوئها عليه والتزامها به، أما الحقوق فهي تغرس في النفوس قابلية الصراع والصدام، ولهذا تجد اليوم الشاب والفتاة يدخلون الزواج وكل طرف حذر يقظ من الآخر خشية أن يهضم حقوقه، وتجد الناس في علاقاتهم المختلفة يتعاملون بمبدأ "غالب أو مغلوب"، بل حتى بين الحاكم والشعب لما كانت فكرة الحقوق مسيطرة كان الصراع والصدام والكره متبادلاً!

108. منهج التعامل مع الصفات

الصفات التي وردت في القرآن والسنة، من قبيل النزول في الشطر الأخير من الليل، وكذا ضحك الله تعالى لعباده في الجنة، وأيضا استواؤه على العرش، وكذلك غضب الله يوم القيامة غضباً لم يغضبه قبل ذلك ولا يغضبه بعد ذلك، وغير هذا مما جاء في الوحي وتوارد عليه أئمة السلف. ما هو موقف المسلم من هذه الأخبار؟ الجواب هو قبولها، واعتقادها، وإثباتها، والتسليم بها، دونما بحث في كيفيتها وماهيتها وحقيقتها، بل يقول كما كان يقول السلف: (آمنا بقول الله ورسوله، على مراد الله ورسوله)، فقاعدة أهل السنة والأثر هي: (الإثبات بلا تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل). والأمر يبدو واضحاً: **(1)** لأن الله أعلم بنفسه وهو أعلم باللفظ الذي يؤدي المعنى الذي يريد منا اعتقاده، فإذا جاء شيء في القرآن أو السنة يجب نعتقده بدون خوض في الكيفية. **(2)** لأن أحد أهم مقاصد الوحي تعريف العبد بربه سبحانه، فمحال أن يهتم مثلاً الرسول صلى الله عليه وسلم بآداب المرحاض ولا يهتم بالتعريف بالله أو يقدم تعريفاً مبهماً وغامضاً، فهذا سوء ظن قبيح بالله ورسوله. **(3)** لأن الصحابة والتابعين وأئمة الهدى كمالك والشافعي وابن حنبل والأوزاعي وابن المبارك وسفيان الثوري والبخاري ومئات مثلهم، تلقوا هذه الأخبار بالقبول والاعتقاد، وهم بلا شك أعلم بالله ورسوله ولغة العرب. **(4)** لأنك تثبت وجود ذات الله تعالى حقيقة، وأنه خارج العالم المخلوق وأنه كان بكماله وعظمته قبل خلق الخلق، رغم أنك تجهل كل الجهل كيفية هذه الذات وماهيتها وحقيقتها، فكذلك بشأن الصفات التي جاءت في الوحي، إذ إن الصفات تبع للذات، كما قرر ذلك علماء أهل السنة والأثر. فعض على هذا المعنى بالنواجذ، ولا تبالي بغيره مهما زُخرف لك بكثرة الكلام

الذي هو في الحقيقة ضروب من الهذيان المتضمن التهمة لله ولرسوله وللصحابة والتابعين. والله يهدينا ويثبتنا.

109. الجهاد العلمي

لا شك أن الرد على المذاهب الهدامة من أعظم الحسنات في ميزان المسلم. فمَن رُزق عُدة العلم، وإخلاص النية، والزهد في الدنيا، وقوة الصبر على الرد على هذه الاتجاهات، من ملحدين وعلمانيين وليبراليين ونسويات، فلا شك أنه يخوض في جهاد عظيم، إذ الجهاد نوعان، مادي بالجوارح في ساحات المعركة، وعلمي في ساحات الرد والبيان. هذه الفضيلة ترجع إلى: (**1**) السعي في الانتصار لله ولرسوله. (**2**) الحرص على تثبيت مراد الله ورسوله. (**3**) حراسة عقول ونفوس أفراد أمة محمد صلى الله عليه وسلم. (**4**) نقض أهداف إبليس وجنود في تثبيت الكفر والزندقة والضلال. (**5**) هذه الأمة مقدسة لسمو منزلة نبيها، ولهذا كان كل عمل في قوتها المعنوية حسنة عظيمة، كما كان كل سعي لإفساد أفرادها جريمة رهيبة. وأعظم ما يكون هذا الجهاد قداسة وسمواً وفضيلة، يكون في عصور الفتن وانتشار البدع وشيوع الإلحاد وطغيان الفساد الفكري والأخلاقي. والله المستعان

110. منهج التكلم في موضوع المرأة

حين تريد التكلم في موضوع المرأة في الإسلام، فمن النصح لها أن تحدثها عن: (**1**) ضرورة التسليم للوحي "قرآنا وسنة"، حتى فيما لا يصادف هواها، طبعاً أو تأثراً بالخطاب العلماني والنسوي. فالتسليم ركن ركين في نظام الإسلام. (**2**) أهمية الولاء والبراء حسب معايير الوحي، فكل ما وافقه من أشخاص وأفكار تقبله، وإن رفضه طبعها، وكل ما خالفه من أشخاص وأفكار تنبذه وإن تمت زخرفته. (**3**) حصر مصادر التلقي في الوحي، فالوحي كامل شامل في العقيدة والآداب والأحكام، ومن هنا، فمن الخلل العقدي الذهاب إلى مصادر أخرى لتلقي التصورات والتقريرات. فهذا ما يجب التركيز عليه وغرسه في عقل المسلمة وقلبها، إذ حينها لن تجد نفسك –كما لن تجد هي نفسها– مضطراً لمحاولة الطبطبة عليها لإرضاء فكرة المساواة المطلقة بينها وبين الرجل كلما وجدت آية أو حديثاً يقول عكس ذلك، لأن نظام الإسلام في الذكر والأنثى قائم على مبدأ العدل وليس المساواة، والعدل مرتبط بطبيعة التكوين في الرجل والمرأة، والدور الفطري لكل واحد منهما. وأيضاً حين تفعل ذلك، أي حين تترسخ تلك المنطلقات الثلاثة الآنفة الذكر، ستكون قد قدمت لها حصانة فكرية متينة ضد شبهات ومغالطات مختلف الاتجاهات المنحرفة التي تمارس

الهدم في المرأة المسلمة من خلال دغدغة الهوى فيها حين لا يكون ملجما بلجام الشريعة الإلهية، وذلك لأن من طبيعة الشبهات التناسل المطرد، فإذا كان للمسلمة أصول كلية فلن يؤثر عليها مكر النسويات بمختلف ألوانهن واتجاهاتهن (متعلمنة أو متأسلمة). والله الموفق.

111. لماذا يحبون خروج المرأة للعمل؟

أربعة أصناف يحبون خروج المرأة للعمل: **(أولاً)** الذين يحبون تفكيك الأسرة فلا يكون لها معنى إلا الاسم. ومع تفكك الأسرة يحدث الاضطراب الأخلاقي وينتشر الفساد والانحراف وتشيع الفواحش، بين الأبناء والأزواج أنفسهم. **(ثانياً)** الحكام المستبدون الذين يحرصون على بقاء أفراد الشعب في دوامة توتر واضطراب وصراعات، لأن هذا يساعد بقوة في إحكام القبضة عليهم، وعمل المرأة عنصر مهم في ذلك. **(ثالثاً)** الرأسماليون أصحاب الأعمال، فهؤلاء مادة حياتهم هي الاستهلاك، ومع ترسخ نزعة الاستهلاك يسقط الأفراد في قبضة اللهاث وراء الكماليات، وعمل المرأة مهم جدا في هذا. **(رابعاً)** التافهون الديوثيون، فهؤلاء لا هم لهم سوى المال والشهوات والملذات، ولهذا لا مشكلة لديهم في أكل الدنيا بزوجاتهم وبناتهم، لأنهم لا يبالون بشيء اسمه القيم والمقدسات، وأن المرأة لا يصح أن تخرج تخالط الرجال لتجلب المال. فهذه إشارة تنبهك على أن قضية خروج المرأة للعمل قضية مركبة ذات أبعاد متشابكة. وأنت عليم بأن القضايا المركبة يجب النظر إليها نظرة مركبة، في أوائل نشوئها وأواخر مآلاتها. خذ مثلاً: خروج المرأة للعمل له صلة وثيقة بنظام التعليم، فهذا النظام يحتم أن تعمل المرأة بعد أن يكون قد غرس فيها هذه النزعة غرساً، فهناك واجب الخروج اليومي إلى المدرسة والجامعة، وهناك الاختلاط بين الجنسين، وهناك تماثل المقرر الدراسي بين الجنسين، فكل هذا مع مرور الشهور والسنين يجعل في نفسية المرأة القابلية لاعتبار الخروج هو الأصل، والعمل هو الطبيعة، والاختلاط بالجنس الآخر هو الاعتدال، ثم يأتي الإعلام في غرس شعار أن النجاح والتميز والإنجاز مرتبط فقط بالعمل خارج البيت، بل يجب التضحية بكل شيء في سبيله، كالزواج والأسرة، مع التركيز على نماذج نسائية تُقدم على أنها نجوم في سماء التميز والنجاح وقوة الشخصية! وغير هذه من العناصر التي تنشئ أجواء نفور المرأة من البيت وارتباطها إدراكيا ونفسيا بالخارج!

112. استمرارية النجاح والسعادة

النجاح، والسعادة، والإنجاز، في الزواج والدراسة والشغل والتجارة وغير ذلك، كل هذا يستلزم استمرار الالتزام بشروطه مهما طال العمر، وسأضرب لك مثلاً: أحمد يريد أن يحصل على جسم رياضي

قوي وحيوي، فالتحق بمركز خاص لذلك. بعد ستة أشهر بدأ يلحظ أن هدفه آخذ في التحقق "جسم رياضي ومفتول العضلات"، فشعر بأنه يسير في طريق الإنجاز والنجاح، وهكذا كلما مر شهر، ارتفع مستوى الإنجاز وتحقيق النجاح والسعادة. هنا، أحمد سيكون بين خيارين: إما أن يستمر في مسار الرياضة، والنتيجة أن جسمه سيظل محتفظاً بقوته وحيويته وعضلاته المفتولة، وإما سيتوقف لاعتقاده أن جسمه بما أنه حقق هذا الإنجاز إذن سيظل كذلك بدون مواصلة الالتزام بالشرط الذي حقق له الهدف، أي فعل الرياضة، والنتيجة طبعاً هي أن جسمه بعد أشهر معدودة سيعود كما كان قبل بدء الرياضة! هذه الحقيقة يغفل عنها كثيرون، من الأزواج، ومن طلبة العلم، ومن أصحاب التجارة، يدخل زوجان عالم الزواج بإعجاب وحب، لكنهما يعتقدان أن هذا الحب سيظل مشبوباً ومتلألئاً أبداً بدون إمداده بماء الحياة "التعاون، التفهم، التضحية.. إلخ"، ثم بعد عام أو أقل ينضب هذا الحب بينهما، فيعلنان أن الحب خرافة ووهم! وطالب العلم يبدأ بحماسة قوية في القراءة والمطالعة والدرس، ثم بعد مدة يعتقد أنه قد بلغ المستوى الذي لا يتطلب منه مواصلة القراءة والبحث والدرس، والنتيجة أنه مع الكسل والتراجع في الاطلاع والبحث يكون غيره قد سبقه وهو لا يزال يجتر أفكاره ومعلوماته القديمة! هذه هي طبيعة الحياة، بل طبيعة النجاح والسعادة وكل هدف جميل.

113. طبيعة الفتوحات الإسلامية

من الشبهات المثارة من طرف الملاحدة والمنافقين الجدد في بلداننا، شبهة الفتوحات الإسلاميّة، وأنها كانت غزوات لأجل النهب والسرقة، ولأجل توسيع الإمبراطورية الإسلامية! لكشف هذا المغالطة يجب النظر في دافع وغاية كلٍّ منهما. فدافع الفتوحات الإسلاميّة هو رضوان الله تعالى، وغايتها تبليغ رسالته للبشريّة وإظلالها بنور الوحي، ولذلك كان للجهاد ضوابط وأخلاق يجب على المجاهد الالتزام بها، وإلا ذهب جهاده سدى. أما الغزوات الغربيّة فلا ينكر أحد أنّ دافعها الأكبر وهدفها الأعلى هو نهب الشعوب لتحقيق التوسع الإمبراطوري والمجد الدنيوي، بالإضافة إلى نشر الرؤية الماديّة العلمانية التي تفصل الإنسان والحياة عن الخالق. ولذلك لم تعرف الغزوات الغربية أخلاقاً ولا ضوابط! لقد كانت الفتوحات الإسلامية رحمة للبشرية، أما الغزوات الغربية فقد عانت منها البشرية كثيراً! وهذا التقرير لا ينفي وجود أخطاء وانحرافات في مسيرة الجهاد الإسلامي عبر التاريخ، إلا إن ذلك كله لا يضير الإسلام في شيء، كما لا ينقص من قيمة الجهاد الإسلامي، فالعبرة أولاً بالإطار المؤسس للفكرة والسلوك، وقد رأينا المبدأ النظري

الإسلامي لمقاصد الجهاد والفتوحات، وثانياً بالحالة العامة للفعل والممارسة، والتاريخ خير شاهد على أن المسلمين كانوا أرقى المجاهدين ضد أعدائهم وخصومهم.

114. قصص القرآن الكريم

من سمات القرآن الكريم؛ وجود الكثير من القصص فيه، قصص الأنبياء مع أقوامهم، وقصص صراع المؤمنين والكافرين، وقصص صعود واضمحلال الحضارات، وقصص الإنسان في علاقاته المختلفة. والنظر في هذه القصص يكشف لنا بأنّ لها أهدافاً عقائديّة وتربويّة وتوجيهيّة. فلو أخذنا قصة أبينا آدم ﷺ، سنجد أنّها قصة تمثل حقيقة الطبيعة البشرية كما هي، أي إن الإنسان مُعرّض للخطيئة والسقوط، ولكن يجب عليه المسارعة بالاستغفار والتوبة، فالله تعالى يقبل التوبة ويغفر الذنب. ومن جهة أخرى على الإنسان أن يحذر جيداً من الغرور والانخداع، فآدم عليه السلام رأى الملائكة عليهم السلام، وشاهد روائع الخلق الإلهي وسمع كلام الله ﷻ، ومع ذلك ففي لحظة انخدع بقول الشيطان زلّ إلى الخطيئة. وكذلك على أن الإنسان أن يتذكر دائماً بأنّ المعركة ضد الباطل لا يمكن أن تنطفئ ما دام هناك حق وباطل، لأن هذه المعركة أصيلة في طبيعة الحياة الدنيا. وقس على هذا باقي القصص. والمقصود هنا الإشارة إلى أن القرآن لم يعرض قصصه للتسلية أو لمجرد المعرفة التاريخية، بل لتحقيق مجموعة من الأهداف المتنوعة التي تناسب وتنسجم مع طبيعة المقاصد العليا التي جاء لتحقيقها في عالم الإنسان ودنيا البشر.

115. منهج القرآن في بناء الشخصية

الشيخ أو الداعية، إذا لم يحدثك سوى عن الجنة ونعيمها، ولم يحدثك سوى عن أن التدين يفرش طريقك بالزهور ويحول حياتك لسعادة لا متناهية، ولم يحدثك سوى عن لذة العبادة ومتعة الذكر، إذا لم يحدثك سوى عن هذا فاهجره ولا تبالي به، فقد أخطأ منهج القرآن والسنة وهدي السلف! لقد تعرفت على بعض هؤلاء الشباب الذين عاشوا في (أوهام إيمانية رفيفة)، بعد أن تضخمت في ضمائرهم فكرة كون شخصية الملتزم وحياته كلها سعادة وهناء ولذة نفسية وهدوء، وكل شيء في حياته يكون مستقيماً، وأن كل شيء سيتحقق له من زواج سعيد ورزق واسع وظروف مناسبة ويكفي الدعاء والذكر، فكانت النتيجة أنهم حين ضغطتهم بعض الظروف كادوا أن يسقطوا! وحين تنادت عليهم بعض الشبهات المثارة هنا وهناك كادوا أن يسقطوا! بل أعرف منهم (ومنهن) من وصل إلى حافة الإلحاد، وكل هذا بسبب هشاشة نفسه وعقله، بل وهشاشة إيمانه الذي توهم أنه صلب كالشم الرواسخ! وكل هذا ليس من هدي المنهج الرباني،

لأنه حرص على بناء شخصية إسلامية متوازنة، ذات نفس زكية، وعقل ناضج، وفكر ناقد، ووعي بصير. كما أنه يحدثك عن أن هناك الجنة والنار، وهناك رحمة الله ولطفه وهناك غضبه وانتقامه، وهناك سنن صارمة في الحياة لا تحابي أحداً. وأيضاً؛ فإنه يحدثك عن واجب التعبد لله تعالى مجرداً عن اللذة والمتعة النفسية، فهذه من آثار ذلك ولا يجب أن تُقصد لنفسها. وكذلك يحدثك عن أن الملتزم قد يصيبه البلاء مثل كل البشر، من مرض وفقر وظلم وظروف ضاغطة، حتى وإن كان لا يمسك لسانه عن الذكر والقرآن.

116. صعوبة العقيدة الأشعرية

قال: أنتم لا تفهمون العقيدة الأشعرية فلذلك تهاجمونها وتعتبرونها مبتدعة في كثير من جوانبها؟ ادرسوا قبل أن تهاجموا، فهذا هو المنهج الموضوعي والعلمي. قلت: إذا كان هؤلاء المهاجمون من الأكاديميين، الذين قضوا سنوات طويلة في الدراسة والبحث، إضافة للمهاجمين السابقين عبر التاريخ، إذا كان هؤلاء لم يفهموا العقيدة الأشعرية رغم تخصصهم واشتغالهم بالعلم، فبالله عليك هل تنتظر أن يفهم العوام هذه العقيدة الأشعرية! علماً أنكم تزعمون أنها العقيدة التي جاء بها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وكان عليها الصحابة والتابعون وأئمة الهدى، ورغم أنكم تزعمون أن هذه العقيدة هي عقيدة السواد الأعظم من المسلمين! أليس هذا إذن جدير أن يحملكم على مراجعة مقررات هذه العقيدة التي تنتسبون إليها! مع ضرورة التنبيه على اختلاف هذه العقيدة بين طورها الأول مع المؤسس أبي الحسن الأشعري، وبين طورها الثاني مع أعلامها المتأخرين، فهي في الطور الأولى أقرب لتقريرات عقيدة أهل الأثر والسلف، أما في طورها الثاني فقد مُزجت بكثير من الأصول الكلامية والفلسفية!

117. آباء بلاء على الأبناء

اليوم هناك الكثير من الأمهات لديهن قلة وعي، وضعف ديانة، وسطحية تفكير، فتجد هذه الأم تتعامل مع ابنتها بعنف وقسوة وبغي، وقد تجدها تتعامل معها بإهمال ولامبالاة وعدم اعتناء! الذي يحدث هو أن هذه الابنة _وقد شبت في أجواء متوترة، دفعت بها نحو التقوقع على نفسها أو نحو التحلل من الضوابط_ قد تجدها تجاوزت العشرين إلا إنها لا تصلح للزواج! لقد رأيت الكثير من مشاكل هؤلاء البنات اللواتي ابتلين بهذا الصنف من الأمهات، وأحد أهم القواسم المشتركة في جميع الحالات هو: "أنت ما زلت صغيرة"!! والعجيب أنك تجد بعض هؤلاء البنات تعتقد حقاً أنها لا تزال طفلة صغيرة!! ومن مظاهر هذا التوهم الذي رسخته الأم فيها أنها لا تفكر في "الثورة" على وضعها، وطبيعة تعامل والدتها معها، ولا تفكر

في أن تقول لها (كفى) فأنا لم أعد طفلة غريرة، بل أنا امرأة وعلي مسؤولية وجودية ضخمة وبسببك تحطمت شخصيتي، ونسيت أنني امرأة ونسيت أنني أنثى! والأعجب، أنك في بعض هذه الحالات تجد الأب حاضر غائب، ولهذا لا يكون على علم بما يجري من الخنق المعنوي البطيء لابنته، والتحطيم المطرد لشخصيتها من طرف والدتها! بل وتجد الإخوة الذكور ربما يدرسون في تخصصات شرعية ويرون ما يحدث ومع ذلك لا أحد منهم يفكر في أن يقول لهذه الأم (كفى) إنك تدمرين حياة أختنا، وتحطمين شخصيتها، وتقتلين فيها كل شيء جميل ونبيل!! فكم من آباء هم عملياً بلاء أبنائهم وبناتهم!!

118. من أساليب محاربة أتباع الحق

أحد القواسم المركزية بين المحاربين لله تعالى والحق والتوحيد، في كل زمان ومكان، رغم اختلاف الوسائل وتغير الأساليب وتطور الآليات، هو الحرص على تشويه صورة أتباعه والمنتمين إليه وحملته! لقد حرص كفار قريش على الترويج لفكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم ساحر، ومجنون، ومقلد، وأن ما جاء به ليس إلا من أساطير الأولين!! وكانت الفرق الكلامية تصف أهل السنة بالحشوية والغباء والتجسيم!! ثم الملاحدة يصفون المؤمنين بالخرافيين وأعداء العلم والعقل!! والعلمانيون "ملاحدة أخفياء" يصفون المتدينين بالرجعيين والظلاميين والمعقدين وأعداء الحضارة!! وكل هذا استعملوا فيه كل الوسائل الممكنة، من الكلمة والقصة والشعر، ومن الترهيب والبغي والظلم كلما امتلكوا السلطة، ومن الأفلام والمسلسلات كما هو حال أعداء الإسلام المنافقين اليوم في البلاد الإسلامية!! واليوم يلهجون أيضاً بوصف الإرهاب لكل متدين ومتدينة، ولكل مطالب بحكم الشريعة، ولكل رافض لجاهليتهم الفاجرة وميوعتهم الأثيمة!! وهم يحرصون على تشويه صورة حملة الحق وأتباع التوحيد والإيمان، لأنهم يتمكنون من غرس في لا وعي عموم الناس النفور من التدين، ومن أهل العلم والدعوة، وهذا بلا شك يسهم بالنسبة لهم في التقدم في مسار تحقيق الأهداف النهائية، وهي فصل المسلم عن الإسلام ليسقط في قبضة العلمانية برؤيتها المادية وفسوقها المسعور وخضوعها المهين للغرب وأجنداته!!

119. التسول على موائد الغرب

التسول على فتات موائد الغرب لمعرفة طبيعة وجود الله تعالى وصلته بالإنسان والعالم؟ ومعنى الحياة وكيف ينبغي أن تعيشها وتمارسها؟ والنظرة للمرأة/ الرجل، وكيف ينبغي التعامل معها/معه؟ ونظام المفاهيم والقيم، كالحرية والجمال والعدل والإيمان؟ وغير هذا.. هذا التسول البائس لا يقوم به إلا شخص لا يعرف

عن الرؤية الكونية للإسلام أي شيء، فهو جاهل جهلاً مطلقاً به، فالبائس علمه بالإسلام أنه وُلد مسلماً، وربما يصلي ويصوم رمضان لا أقل ولا أكثر. ومن جهل طبيعة الرؤية الإسلامية ومكوناتها وقيمها، لابد أن يبحث عن البديل، لأن الإنسان لابد له من رؤية تحدد له الإطار والوجهة والمعايير والغاية. ويترتب على هذا أن رؤية هذا الشخص تكون رؤية مادية بامتياز وإن غلّفها بشعارات برّاقة، كما ترى ذلك جلياً في الشباب الملحد العربي/الأمازيغي، ولدى مقلدة حركة الريد بيل تجاه المرأة، وحركة النسوية تجاه الرجل، والزواج والأسرة. أو شخص منبهر بالرجل الغربي وعقله ودراساته وأطروحاته، ولديه رؤية تقديسية كامنة له، وهو مع ذلك يجهل أن الرؤية المتحكمة في العقل الغربي رؤية مادية، وليس معه مرجعية إلهية معصومة، وأن رواسب التاريخ وسياق الواقع يؤثر على أفكاره ورؤيته لنفسه وللإله وللعالم وللمرأة والرجل وللمفاهيم، وأن دراساته تتأثر بمجموعة من العوامل كالأيديولوجيا المسبقة، والمصالح الشخصية وغير ذلك. وهذه حقيقة يعرفها كل باحث، ويعترف بها الغربيون أنفسهم، ففكرة حيادية الفكر الغربي والدراسات الغربية أسطورة يصدقها مراهقي العقل من شبابنا وأمثالهم. ثم إن هذا التسول على فتات موائد الرجل الغربي، يتضمن اتهام الإسلام بالقصور في تقديم رؤية كونية تفسيرية شاملة ومتكاملة. واتهام الله ورسوله بالكذب والتدليس، لأن الوحي قد أخبر بأن الإسلام دين كامل. واتهام علماء الأمة على مرّ التاريخ بالسذاجة والجهل والقصور والضعف العقلي.

120. المعالجة الجزئية لأمراض الأمة

بعض الشرعيين يشبهون شخصاً ذهب يعالج أعراضاً مرضية، فيكثر لها من الأدوية والعلاجات المختلفة، لكن كلما اختفى عرض ظهر عرض آخر أو تظل الأعراض تتكاثر، ويظل هو يكثر من أنواع الحبوب والمراهم وغير ذلك، ولو أنه استجاب للطبيب بضرورة إجراء عملية رغم أنها ستكون مكلفة ومرهقة إلا أن الجسم بعدها سيصح ويعود إلى حالته الطبيعية. كذلك هؤلاء المشايخ والدعاة يتركون أساس مرض الأمة وهو إبعاد الشريعة عن مجالات الحياة ونشاطاتها فلا يدعون، كلاماً وواقعاً– لمواجهة العلمانية الجاهلية لاستعادة الحكم بالشريعة، بل يذهبون يعالجون عرضاً هنا وعرضاً هناك، رغم أن هذه الانحرافات الاجتماعية لم تظهر أساساً إلا لهجران الشريعة والخضوع لمنظومة علمانية مستمدة من الغرب. سيظل هذا الاستنزاف في معارك جزئية إلى أن تتم المواجهة المباشرة مع العلمانية الجاهلية في تسلطها على منع المسلمين من الاحتكام إلى شريعة ربهم، مستغلين في ذلك صمت شريحة واسعة من المشايخ والدعاة والإسلاميين عموماً، وخوفهم من بذل النفس في ساحة معركة استعادة الحكم بالشريعة. وإلى الله عاقبة الأمور.

121. شرف الدعاة إلى الله تعالى

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:33]. هذه الآية شهادة تكريم وتشريف للدعاة إلى الله تعالى. هذا الاحتفاء والتنويه بشأن الدعاة الربانيين، يرجع إلى ثلاث أمور: (**1**) السعي في تحقيق الغاية التي خلق الله تعالى لها الإنسان، أي عبادته وطاعة شريعته. (**2**) محاربة أهداف الشيطان وجنوده بمختلف أصنافهم، الرامية لإبعاد الإنسان عن خالقه. (**3**) مساعدة الإنسان للفوز برضا وثوابه الله تعالى، وإنقاذه من غضبه وعذابه في الدارين. ثم إنّ الآية المباركة تكشف لنا حقيقة جوهريّة، وهي أنّ شرف الداعية لا يكون إلا بأمرين: (**1**) أن يكون هو في نفسه قدوة صالحة ونموذجاً مثاليّاً، من خلال التزام العمل الصالح وفعل الخيرات الممكنة. (**2**) أن تكون شخصيّته بما تحمل من أفكار وأهداف وبما لها من نشاطات وعلاقات، مصاغة صياغة إسلاميّة أصيلة. وأصل هذين الشرطين اللذين ذكرتهما الآية، يرجع إلى أنّ النّاس ينظرون إلى شخصيّة وحياة الداعية قبل النظر إلى أقوله وكلامه.

122. حقيقة العبودية لله تعالى

العبودية لله تعالى ليست تقتصر على طقوس الشعائر المعروفة، بل هي إطار واسع يتحرك فيه المسلم يشمل مختلف النشاطات والعلاقات والغايات، ولذلك كانت كل أفعال الإنسان القولية والعملية تدخل تحت حكم من أحكام الشريعة. ثم إنّ أقسام مفهوم العبودية هي **عبودية عقلية**: ومعناها إخضاع عقلك للشرع، فلا تُقدم عليه أهواءك تحت شعار (عقليات قاطعة)، فالشرع والعقل كلاهما حقٌّ، وتوهم التناقض منشأه سوء الفهم، فوجب التسليم الوحي، وإلا كان ذلك شركاً عقلياً بالله تعالى. **عبودية قلبية**: ومعناها إخضاع قلبك للشرع، فلا تُقدم عليه شهواتك الخفية تحت شعار (ذوقيات وأحاسيس). فلا يجب تصرف شيئاً من أفعال القلب كالتوكل والتعظيم والمحبة وغير هذا إلا إلى الله تعالى. وإلا كان ذلك شركاً قلبياً بالله سبحانه. **عبودية سلوكية**: ومعناها التزامك في مختلف نشاطاتك وعلاقاتك وغاياتك بتعاليم وأحكام الشرع، إذ مراد الشرع منك هو إخراجك من التصرف بدواعي الأهواء إلى التصرف بأحكام الحق تعالى، لتكون له عبداً اختياراً كما أنت له عبد اضطراراً. وإذن بقدر ما ترتقي في مدارج هذه العبوديات الثلاث، ترتقي في معارج الكمال والقرب، ومراتب الولاية لله سبحانه.

123. آثار طاعة الله ورسوله

مبدأ واضح وصريح: طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم تجلب الرحمة، ومعصيّة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم تورث النقمة. هذا المبدأ القرآني ينطلق من: (1) الله سبحانه خلق الإنسانَ في الدينا لعبادته، أي لالتزام تعاليم وحيه في نشاطات الحياة وعلاقاتها وغاياتها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]. (2) الله سبحانه أنزل القرآن ليكون منهج حياة شاملة ومتكاملة، لأنّه أعلم بما يَصلح وُ صلح للإنسان في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:9]. (3) الله سبحانه سيحاسب الإنسانَ يوم القيامة على شرائع القرآن والسنة، لأنّه مخلوق للخلود الأبدي: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:44]. ومن هنا، فهذه تتجلّى في: **رحمة عقليّة**، إذ إنّ الله تعالى كشف بالقرآن للعقل معالم الحقيقة في مختلف أبعادها. **رحمة نفسيّة**: إذ إنّ الله تعالى وضع في القرآن منهج تزكيّة راقيّة تسمو بها النفس. **رحمة اجتماعيّة**: إذ إنّ الله تعالى رسم في القرآن معالم منهج اجتماعي متماسك. **رحمة أخرويّة**: إذ إنّ الله تعالى وضح في القرآن مفاتيح دخول الجنّة الجميلة بعد الموت. فالعبد بقدر ما يطيع الله سبحانه ويتبع منهاج السنّة النبويّة تتدفق في عقله وقلبه نفحات الرحمة، وتفيض على حياته إشراقات الجمال والسعادة.

124. واجبك القيام بواجبك

ليس الواجب أن تغير الأفكار وأن تغير الواقع، إنما الواجب أن تقوم بالواجب في التبليغ والبيان. أما النتائج والثمار فهي شأن الله تعالى، فقد يمنع ظهورها في زمانك رحمة بك من أن يتسلل إليك العجب والغرور. وكمال الإخلاص عدم الالتفات إليها لأن فيها حظاً خفياً من حظوظ النفس. واعلم أن ما كان لله تعالى لابد أن تظهر آثاره في الوجود، لأنه يكون مطبوعاً بطابع الحق، والحق لا تتخلف آثاره ولو بعد حين. فواجبك ــإذنــ بعد أداء واجبك هو تجريد الإخلاص والاتباع. ولك عبرة ببعض الأنبياء عليهم السلام الذين يأتون يوم القيامة وليس معهم إلا واحد أو أفراد قلة آمنوا بهم واتبعوا الهدى الذي جاؤوا به، فالأنبياء من المؤكد أنهم قاموا بواجبهم النبوي في التبليغ والبيان والأداء، لكن النتائج اختلفت بينهم بحسب ما سبق في حكمة الله تعالى، الذين جاؤوا بفرد واحد أو أفراد قلة لم يعاتبوا على ذلك، لأن النتائج ليست بأيدي البشر، وإنما يدبرها الحق تعالى كما شاء.

125. تأثر القلب بالأعمال

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿إذا أذنبَ العبدُ نُكِتت في قلبِهِ نُكتةٌ سوداءُ: فإن تابَ ونزعَ واستغفرَ صُقِلَ قلبُهُ﴾. القلب لما كان محلُّ المعارف والعلوم النظريّة، كان عمل العبد للخطايا والمعاصي يؤثر فيه بشكل سلبي، وهو توهين وتهوين قدر الله تعالى عند العبد، وعمله للصالحات يؤثر فيه بشكل إيجابي، وهو تعميق المعرفة بالله ومحبته وتعظيمه والشوق إلى لقائه. وتعظيم الله تعالى يورث العبدَ ثمرة طيّبة، وهي: التسليم والاستسلام لله تعالى، وهو **(الأول) التسليم العلمي**. ومعناه أن تُسلّم لله تعالى فيما يخبرك به عن كل ما يدخل في نطاق الغيب، وكل ما يدخل في إعجاز العقل في الأحكام. **(الثاني) التسليم العملي**. ومعناه أن تُسلّم لله تعالى فيما أمرك به من أحكام التشريع والسنة والالتزام بها في نشاطات حياتك حتى وإن خالفت هواك. **(الثالث) التسليم السلوكي**. ومعناه أن تُسلّم لله تعالى فيما قضاه وقدّره عليك من أشكال القدر المخالف لأهوائك ورغباتك.

126. التسوية بين الإسلام وغيره

تأمل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة/33]. نأخذ من الآية أن كل من ساوى بين الإسلام وغيره من الأديان والاتجاهات، أو يرفض أن يكون الإسلام ظاهراً عبر تحكيم شريعته في مجالات الحياة كافة، أو يذهب يستقي ويتلقى تصوراته ومعاييره من دين آخر أو فلسفة أخرى، فله حظ عظيم من وصف الشرك، لأن الشرك أن تجعل لله تعالى نداً، وهذا لا يلزم أن يكون فقط صنم حجرياً أو وثناً خشبياً أو ذهبياً يُركع له ويُسجد وتقدم له القرابين، بل مفهوم الندية يشمل حتى ما قلتُ، أي التسوية بين الإسلام وغيره من الأديان والفلسفات فيما يُقدم من تصورات وقيم ومعايير وقوانين. ولهذا أنا دائماً أقول بأن العلمانية شرك، وصياغة ذلك هي: كل من يرفض ظهور الإسلام فهو مشرك، العلمانيون يرفضون ظهور الإسلام، إذن العلمانيون مشركون. وأصل شركهم يتمثل في رغبتهم عن التحاكم إلى شريعة الله تعالى، وتفضيلهم التحاكم إلى شريعة ملفقة من قوانين الغرب وتوصيات مراكز بحوثه. وهذا الوصف لائق بهم جداً، فلا يمكن أن تكون مسلماً مؤمناً، ومع ذلك ترفض تحكيم الشريعة الإسلامية أو تقبل بمساواتها بغيرها.

127. دليل قرآني على نعيم وعذاب القبر

أدلة نعيم وعذاب القبر، في القرآن هذه الآية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون

100/99). فالذي كُتب عليه العذاب في القبر، إذا عاين الملائكة الشداد وأهوال العذاب سيتضرع إلى الله تعالى أن يمنحه فرصة أخرى برده إلى الدنيا ليعمل صالحاً ليفوز بالرضا والنعيم، فيأتيه الجواب بنبرة الزجر والسخط (كلا). فهذا السؤال والطلب أحاطنا علماً أن هناك نعيماً وعذاباً، إذ لو لم يكن ثمة عذاب لما كان لطلب الرجعة معنى، ولو أنه عاين السرور لما طلب الرجعة إلى الدنيا، فلا أحد يرغب في الخروج من النعيم والسعادة، فثبت بطلب الرجعة أن هناك نعيماً وعذاباً. فاللهم قنا فتنة القبر وعذابه، واجعل قبورنا روضة من رياض الجنة برحمته وكرمه، فإنك أهل لذلك.

128. الإنسان كائن أبدي

ليست الدنيا حدود الإنسان، فيها يُولد وفيها يعيش وفيها يموت، وتنتهي القصة. بل إن الدنيا لا تعدو أن تكون مجرد مرحلة ضئيلة جدّاً في قصة الإنسان وتاريخ وجوده الأبدي. ذلك لأن الخالق تبارك وتعالى شاء أن يكون الإنسان كائناً أبديّاً، إما في الجنة أبداً، وإما في النار أبداً، ومن هنا فالإنسان لا يفنى بالموت، وإنما ينتقل من عالم محدود إلى عالم مطلق، كما انتقل من الرحم إلى الدنيا، فالموت على التحقيق بوابة الإنسان إلى الأبدية. ولهذا يشعر كل إنسان ـــولو شعوراً مبهماًـــ بأن الموت لا يمكن أن يكون نهاية الرحلة، فالمنطق الفطري والأخلاقي والعقلي، وما يزحم نفسه من أفكار وأشواق وأحلام ورغبات، كل ذلك يؤكد على أن لابد أن يكون بعد الموت عالم آخر، أما المؤمن فيعلم أنها الجنة أو النار، وأما الملحد الكافر فيظل غارقاً في بحار الظلمات والحيرة والغموض!

129. رؤية الله تعالى وسماع كلامه

الخالق تبارك شأنه موجود، وهو ذات واقعية في الخارج مباين للعالم، وهو ممكن الرؤية عقلًا وواقع ذلك شهوداً وحساً في الآخرة، فلا نمنع الإحساس المباشر بالله تعالى أي رؤيته بالعين وسماع كلامه بالأذن، لأن هذا خبر الوحي لنا، بل لولا الوحي لأجاز العقل ذلك، فلا استحالة في رؤية الله بالعين وسماع كلامه بالأذن، والقدرة الإلهية صالحة لذلك. وأصل هذا المعنى يعود إلى أن كل موجود محسوس في نفسه، وإن كان قد يمنع مانع من ذلك، كما هو الشأن بخصوص الجن والملائكة، فهم كائنات مادية غير مرئية لنا، لكن رؤيتها ليست مستحيلة في نفسها بل لمانع خارجي، وهو أن الله تعالى خلقنا في الدنيا خلقة لا تسمح برؤية الجن والملائكة، فإذا شاء سبحانه رفع الحجاب عن بعض خلقه لرؤيتهم، كما هو حال الأنبياء. وعلى هذا، فالله تعالى بما أنه ذات حقيقية، وله وجود واقعي خارج العالم المخلوق، فهو ممكن الرؤية

والسماع، كما أشار إلى ذلك في قصة طلب موسى عليه السلام رؤيته وإحالته سبحانه المنع في الدنيا على انهداد الجبل لما تجلّى عليه تبارك شأنه بعض التجلي، غير أننا لا نخوض في كيفية ذاته سبحانه إذ ليس كمثله شيء. وغاية طلب العارفين في الجنة ومنتهى طموحاتهم وأسنى لذاتهم: رؤية الله تعالى. ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه: ﴿أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم﴾، فهذا الدعاء أثبت إمكان الرؤية عقلاً، وتحققها واقعاً في الجنة، كما أثبت أنها نهاية طلب الأنبياء والأولياء ومنتهى نعيمهم الأبدي. رزقنا الله وإياكم رؤيته وسماع كلامه مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين.

130. التقليد الأعمى للأمم الغالبة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ﴾ (صحيح البخاري). قلت: هذا الحديث من أعلام النبوة وبراهين الرسالة، وأجلى ما يبرز هذا الإتباع الأعمى من الأمة لغيرهم في عصرنا الحاضر! على أن الإتباع ليس متعلقاً فقط بنمط الحياة، كاللباس والسلوك والعلاقات، بل يشمل أيضاً إتباع أنساق التفكير في كل شيء ومناهج التفسير لكل شيء، فها نحن أولاء منذ مائة عام أو تزيد، صرنا نشهد كيف صار كثير من هذه الأمة ــبنسب مختلفة، حسب قربهم وبعدهم من الوحي القرآني والسنة النبويةــ يستوردون الأفكار والنظريات ويلهثون وراء المذاهب والفلسفات والاتجاهات الغربية، لفهم كل شيء وتفسير كل شيء انطلاقا منها، من ماركسية وعلمانية وليبرالية ونسوية وغير ذلك. ومن تأمل القضية ذهب فكره إلى أن هذه عقوبة إلهية لهذه الأمة على اتخاذها وحي ربها ظهريا، فلم تعرف حقه ولم تقدره قدره، بل ذهبت تؤثر عليه الوحي الجاهلي الغربي بمختلف مدارسه وشعبه ونظرياته!

131. معيار تقويم الحضارة

التقدم التقني والازدهار الحضاري لا يدل على سلامة المنهج المتّبع في هذه الحضارة، ولا على صحة رؤيتها الوجودية، ولا على استقامة معاييرها، ولا على حتمية استمرارية وجودها في التاريخ المستقبلي! هذه المعاني، لخصها الآية الكريمة: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾ (مريم/ 74). قال أهل العلم بالتفسير: أي كم من أمة وقرن من المكذبين قد أهلكناهم بكفرهم، رغم أنهم كانوا أحسن أموالاً وأمتعة ومناظر وأشكالاً. في الرؤية الإسلامية للأفراد والأمم، لا قيمة للمظاهر والازدهار والشعارات والماديات، بل لمعنى واحد فقط، هو اتباع الوحي الإلهي، أي الإيمان الحق والعمل الحق. ومن ثم، فالآية مع بيان هذا

المعنى، تهدف لغرس الرؤية المعيارية الحقة للأمم والحضارات، فلا تبالي بالمظاهر المادية والأهبة الحضارية والتكنولوجية، بل بمدى موافقتها للقيم الإنسانية الكبرى التي فطر الله تعالى عليها الناس، قيم الإيمان والتوحيد والعدل والعبادة. وما أحوج الشاب المسلم اليوم أن يتذكر هذه الحقيقة وهو ينظر للحضارة الغربية الساحرة بشعاراتها ومادياتها وتقنياتها، فلا يغتر بها ولا يتوهم صحة شعاراتها ومعاييرها، ومن ثم لا يتخذها ولو لاشعورياً، مرجعيته المعيارية، رغم أن هذا ما يروج له المنافقون عندنا حين يتحدثون عن القيم الكونية والقانون الدولي وحقوق الإنسان العالمية. إذ الجاهلية المعاصرة في بدئها ومنتهاها مادية النزعة دنيوية النفس إلحادية الرؤية وثنية السلوك، وكل قيمها وشعاراتها صور ومظاهر لهذه النزعة والرؤية.

132. ألفاظ الصفات في القرآن

المتكلمون في مظاهر إعجاز القرآن الكريم، يذكرون ضمن ذلك دقة اللفظ الموضوع في الآية وسياق المعنى. وأن الألفاظ والكلمات القرآنية ليست اعتباطية. في إطار هذه الحقيقة التي يدركها كل باحث ومتأمل في بناء آيات القرآن الكريم، يمكن القول بأن الألفاظ المتعلقة ببيان صفات الله تعالى موضوعة بدقة في دلالتها على المعنى المقصود، ومن ثم فهي لم تأت اعتباطاً، جل الله تعالى عن الاعتباط والعبث. وهذا المعنى الذي لأجله وضع الله تعالى هذا اللفظ دلالة عليه، إما أنه أراد منا معرفته، وهذا هو الأصل الذي يدل عليه القرآن نفسه، ومن ثم فقد علمه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وبلغوه لنا، وهذا هو الأصل الذي تدل عليه مقالاتهم، لأن معرفة الله تعالى أعظم مقاصد الوحي وغايات النبوات. وإما لم يرد الله تعالى منا معرفة معنى اللفظ الموضوع دلالة على الصفة، وهذا فيه نقض لبيان القرآن والسنة بل طعن فيهما. ولا يوجد خيار ثالث!

133. مشكلة الشباب مع الشبهات

كثير من الشباب والبنات الذين يقولون: "ليس من السهل الانفصال عن الشبهات والإشكالات التي تغزو عقلي". وهؤلاء أمرهم في الحقيقة ليس كذلك، لأن الأمر ليس سهلاً لأنهم لا يريدونه أن يكون سهلاً!! هذه هي الحقيقة اعترف يصرح به شخصيات عاشت دهراً في أوهام الإلحاد ثم عادت إلى الإيمان بعد أن تحرروا من أوهام النفس الخفية!! أتذكر أنه مرة تواصل معي شخص قال: لدي شبهات، وقد بحثت طويلاً في جوجل، وسألت كثيراً من المشايخ، لكن لم أجد الجواب المقنع؟ فقلت له :بحثت طويلاً وسألت كثيرين ولم تقتنع، أتظن إذن أن كلامي سيقنعك؟! مشكلتك ليست في عجز تلك المقالات وأولئك

المشايخ عن إقناعك، بل لأنك أنت في قرارة نفسك لا تريد أن تقتنع، لأنك تتوهم أن رفض الاقتناع هو مقتضى العقلانية والاجتهاد والخروج من ربقة التقليد. فذهب ولم يعد!! لقد صادفت نماذج من هؤلاء، وهم لا يدركون أن أحد أهم موانع الاقتناع أي أن يكون الأمر سهلاً، هو الظن بأن التعامل مع الأمر ببساطة وسهولة يعني السذاجة والغباء والتقليد، وكل هذا يُشعر صاحبه بعدم القيمة، ومن ثم يفضلون حياة القلق والتوتر المستمر على الاقتناع، لأنهم قالوا لهم بأن التوتر المعرفي والقلق الوجودي من علامات الفيلسوف والعقلانية!! ما أشقاهم!!

134. مشكلة المرأة النسوية

مشكلة المرأة النسوية في الأساس مع الله جل جلاله! أولاً لأن الله تعالى خلقها امرأة، وثانياً لأن في الشرع أحكام خاصة بها. والنسوية تحاول تجاوز هذه المشكلة بالعمل على مزاحمة الرجل خارج البيت، وتقليده حتى في نمط حياته، والتعامل معه بندية وبنظرة احتقار لتقليص الفوارق وردم الهوة بينها وبينه. فكل الجهود الكبيرة التي تبذلها المرأة النسوية هي في النهاية تصب في حقيقة واحدة وهي: "أنا مثل الرجل"! وهذا عملياً يعني أن المرأة النسوية بقدر ما هي متمركزة حول نفسها فهي متمركزة حول الرجل، فالرجل هو المثال والنموذج والمقدس الذي تسعى للتشبه به! وتأتي النسوية المحجبة لتضفي لمسات إسلامية على هذه الخطوة بالترويج لفكرة أن المسلمة مطالبة بالقيام بأعباء الاستخلاف، وأن الإسلام اعترف بطاقات المرأة الجبارة والمساهمة في تحقيق النهضة وتشييد الحضارة! وأيضاً تحاول ذلك بالتظاهر بالاستغناء عن الرجل، عاطفياً وجنسياً، والعمل على طمس ما يثير الرجل فيها عاطفياً وجنسياً! في هذا الإطار تأتي دعوات تجاوز الزواج والأسرة، وأنه سجن كرامة المرأة وقدرتها على الانطلاق وتحقيق الطموح والإنجاز، أو على الأقل التعامل معهما على أساس أنهما يجب أن يكونا آخر شيء تفكر فيه المرأة، القوية الطموحة! أما بخصوص الأحكام الشرعية المترتبة على اختلاف التكوين الجسدي والنفسي للمرأة عن الرجل، وطبيعة المهمة التي خُلق لها كل واحد منهما، فالنسوية العلمانية تتعامل معها بالإنكار وعدم الاعتراف، والمجاهرة برفض الشرع! وأما النسوية المحجبة فتتعامل مع هذه الأحكام بالالتفاف والتفريغ والتشكيك، والوصفة الجاهزة هي أنها فقه ذكور، ونتاج بيئات اجتماعية سابقة لا شأن لنا به! وبهذا تذهب لتؤسس لنفسها منظومة أحكام جديدة، لأنها لا تجاهر برفض الشرع لكنها تحاول الالتفاف عليه. ولهذا أقول: إذا كانت النسوية العلمانية كفراً، فإن النسوية المحجبة نفاق.

135. التحدي الذي يواجه الأمة

التحدي الأكبر اليوم هو وجود طبقة واسعة من المسلمين بين الكبار والصغار، وبين الأميين والمتعلمين، يجهلون ألف باء العقيدة الإسلامية، والمبادئ الإسلامية، ومجمل الأحكام الإسلامية، فواقعاً ا يعرفون من الإسلام إلا الاسم!! هذه النتيجة هي حصيلة جهود ضخمة وهائلة جداً بذلها صبيان الغرب من بني جلدتنا، عبر منظومة القوانين وقنوات الإعلام واستغلال منصات النشر للترويج للأفكار الإلحادية المتسترة، تحت شعارات برّاقة! ومع هذا، فلا عذر لأحد، لأن وسائل معرفة الإسلام في عقيدته ومبادئه، وفي آدابه وأحكامه، وفي منهجه في التفكير والحياة، متوفرة بكثرة، رغم ما يقال عن وجود قصور متعدد الجوانب هنا وهناك. في الحقيقة، فإن المسلم اليوم يحتاج لاكتشاف الإسلام الذي ينتمي إليه. لكن، المشكلة العويصة، هي وجود حشود من الشباب المسلم يرفضون عن إصرار التعرف على الإسلام، أما المتدينون منهم فهم يكتفون بالمعرفة السطحية المختزلة، وأما التائهون في أودية التفاهة والميوعة فهم لا يبالون أساساً بالبحث! وبالتوازي مع هذا، نجد كثيرين لديهم حرص بالغ على معرفة الشبهات المطروحة ضد الإسلام، بعقيدته ومبادئه وأحكامه وما تعلق به، لكنهم لا يهتمون إطلاقاً بالبحث في المصادر الأصلية الموثوقة لمعرفة الإسلام!

136. أهداف قوانين الأسرة

كل منظومة القوانين المتعلقة بالأسرة، وهي منظومة قوانين علمانية، التي يتم تنزيلها تدريجياً في البلدان التي تسمى "إسلامية"، رغم تفاوت نسبة الهجمة على الأسرة بين هذا البلد وذاك بسبب بعض الظروف، هذه المنظومة هدفها المضمر والنهائي: لا للزواج ولا للأسرة. لأن الأجندات تركز على تفكيك المجتمع من خلال تفكيك الأسرة. ولا للرجولة وقيمها. لأن الأجندات تركز على تأنيث المجتمع وإخضاعه لقيم الأنوثة فتكون المرأة هي الأعلى. ولا للشريعة في تأطير الأسرة. لأن الأجندات تركز على فصل المجتمع المسلم عن الإسلام، والأسرة حاضنة لذلك. وهذه كما ترى كلها أجندات غربية، فالعلمانية العربية في شخص المسؤولين والمنظمات وغيرها ليست أكثر من جيش عملاء يجتهد في تنفيذ مخططات صناع القرار الغربي. ولهذا يتم خنق الرجل لصالح المرأة، لكي يندفع الطرفان معا إلى: إما لعلاقة زوجية تتضمن بذور الفراق، لأن الطرفين يدخلان بعقلية الصراع. فالرجل هنا يعيش حالة توتر دائمة لأنه يخشى الطلاق فيدفع الثمن باهظاً أو فليخنع ويسكت، ولأن المرأة هنا تنتظر أدنى شيء لتطلب الطلاق لتحصل على امتيازات

مالية، فيكون لها هذا الرجل صرّافاً مالياً مفتوحاً. وإما لعلاقة زنا تحت بند "علاقة رضائية"، وهذه لا تحقق المقصود من التقاء الرجل والمرأة، لأن هدفها الأقصى هي اللذة المحضة، بحيث يمكن لأي طرف الانسحاب متى شاء تحت بند "لم تعد تلبي لي لذتي المطلوبة"، ثم ينتقل إلى غيره، لأن طلب لذة الجنس لها سلطان يصعب مقاومته. الخلاصة أيها الشاب: اليوم يراد منك أن تنظر للزواج على أساس أنك تقدم رقبتك لحبل المشنقة، ويريدون منك أن تفهم أنه خير لك ألا تتزوج، بل اذهب استمتع بحياتك مع هذه أو تلك، أو مت موتاً بطيئاً بسبب معاناة ضغوط غريزة الشهوة الجنسية والأسرية.

137. الإسلام والاتجاهات المعاصرة

لا ينبغي أن تتعامل مع الاتجاهات المعاصرة كالعلمانية والنسوية، على أنها مجرد رأي يحتمل الصواب والخطأ، بل يجب أن تفهم أن هذه الاتجاهات رؤى وجودية شمولية، أي إنها تؤسس أفكارها ومطالبها على رؤية كونية للإله والإنسان والحياة والموت والمصير. وهذه الرؤية الكونية تنتهي في التحليل الأخير إلى فصل الإنسان عن الله سبحانه، أو قل إن شئت تحييد الله تعالى عن عرش المرجعية والتشريع، وتنصيب الإنسان عليه لممارسة ذلك! هذا هو أساس الاختلاف بين الإسلام وهذه الاتجاهات، فإذا كان الله تعالى في الإسلام هو المرجع والمشرع للقيم والضوابط والأحكام، وما يجب وما لا يجب، وكيف ينبغي التعامل مع الآخر، فإن المرجع والمشرع في هذه الاتجاهات هو الإنسان، أي الهوى! ومن هنا لا يلتقي الإسلام وهذه الاتجاهات. ولهذا لا يمكن أن تكون مسلماً وفي الوقت نفسه علمانياً أو أن تكوني مسلمة وفي الوقت نفسه نسوية، إلا أن يصح أن تكون مسلماً وفي الوقت نفسه ملحداً!! هذا الاختلاف الجوهري بين الإسلام وهذه الاتجاهات ينتج عنه اختلاف التفكير والسلوك ونمط الحياة بين المسلم وبين العلماني/الليبرالي/ النسوية، وهو اختلاف طبيعي جداً لاختلاف الرؤية الكونية بينهما. وهذا لأن إطار التفكير والسلوك والطموحات والأهداف هذه كلها تتأثر بشكل عميق بالرؤية الوجودية لصاحبها. والقرآن الكريم طافح ببيان هذه الصلة الوثيقة بين الأمرين، كما أنه طافح ببيان تميز الإسلام عن كل الاتجاهات والمذاهب. خذ مثلاً قول الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ. بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ. بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ. يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. فهنا تجد الآية تقرر بأن إنكار الإنسان للآخرة والحياة بعد الموت والحساب والجزاء يترتب عليه أنه يسلك في الحياة مسلك العبث والفجور والانحراف تحت شعارات برّاقة كالحرية والحقوق، لماذا؟ لأن هذا الإنسان صار مرجعية نفسه ومشرّع نفسه، وإذا لم تكن الآخرة موجودة فكل شيء مباح. لهذا قلنا دائماً بأن العلمانية والنسوية بوابة الإلحاد.

138. تضييع آباء العصر لأبنائهم

لا أظن أنه أتى على المسلمين عصر بلغ فيه الآباء والأمهات في الغفلة والغباء والسذاجة والتهور ما بلغوه في زماننا هذا!! تراهم يقتنون الهواتف لأبنائهم وبناتهم الصغار، ثم لا يستيقظون إلا وهذه البنت أو هذا الابن قد سقط في مشاهدة المقاطع الإباحية، وغارقة أو غارق بسبب ذلك في ممارسة العادة السرية!! وتراهم لا يبالون بمن تصاحب ابنتهم أو ابنهم من الصديقات والأصدقاء، ثم لا يستيقظون إلا وهذه البنت أو هذا الابن قد وقعت في علاقة غرامية تفعل كل شيء مع عشيقها كأنها زوجته!! وتراهم يهملون تربية هذا الابن على قيم الرجولة وأخلاقها، ولا يهتمون بتنمية عقله وشخصيته بالثقافة الشرعية والمعرفة، فيكبر وهو مغفل ساذج وقد يكون له مع ذلك أخلاق وتدين!! وتراهم يهملون هذه الابنة فلا تعلمها أمها شؤون البيت ولا شؤون النساء، بل تتركها تتسكع بين المدرسة والشوارع، فتبلغ العشرين وأكثر وهي ساذجة لا تصلح لشيء سوى أمة في سوق الشغل!! وتراهم لا يمانعون في إرسال ابنتهم إلى بيت العم والخال وفيه أبناؤهم، تبيت عندهم بل قد تقضي الأيام معهم، ثم لا يفكرون أن ابنتهم عزباء أي مثيرة جنسياً فقد تتعرض للتحرش أو حتى الاغتصاب!! وتراهم لا يراقبون بناتهم وأبناءهم ولا يتحدثون إليهم ثم لا يستيقظون إلا وهذه البنت أو هذا الابن يعلن إلحاده وشكوكه في الإسلام بسبب مواقع التواصل أو بعض ما قرأ من المقالات أو الكتب!! وتراهم يغضبون شديد الغضب إذا التزمت ابنتهم باللباس الشرعي ولا تقبل الاختلاط بشباب العائلة أو ترفض الذهاب إلى الجامعة والبحث عن الوظيفة، بدعوى أنهم يعرفون مصلحتها!! والقائمة طويلة عن مظاهر الغباء والسذاجة والتهور والغفلة التي يتمتع بها كثير من آباء وأمهات هذا الزمان!!! والله المستعان

139. آثار التخزين العقلي والنفسي

يختلف الإنسان عن الآلة في طبيعة تخزين المعطيات، فالحاسوب الآلي يمكن أن تخزن فيه مئات الأفلام الإباحية، ومئات الصور العارية، ومئات المقاطع التافهة، ومئات الأغاني السخيفة، ومئات المقالات العبثية، كما تستطيع أن تخزن فيه بدلاً عن ذلك مئات الأفلام الوثائقية والدروس والمحاضرات والندوات النافعة، ومئات الكتب والمجلدات المفيدة، ومئات الصوتيات الطيبة، إلا إن حاسوبك الآلي لن يتأثر بطبيعة ما خزنت فيه: الطيب أو الخبيث، الصالح أو الفاسد، النافع أو الضار، لماذا؟ لأنه مجرد آلة صماء، بلا أفكار ولا مشاعر ولا مبادئ ولا أخلاق ولا عقيدة ولا أشواق، فلذلك لا يتأثر بما يُخزن فيه. أما الإنسان

فلابد أن يتأثر بما يخزن في عقله ووعيه ونفسه، إن خيراً وصلاحاً ونفعاً وهداية، وإن شراً وفساداً وضلالاً وشبهات وتفاهة. وهذه القابلية للتأثر ناتجة عن كون الإنسان مركب التكوين، ومتعدد الأبعاد، ومتشابك العناصر، وليس كومة مادة صماء كالحاسوب الآلي. والمفسدون في الأرض، يدركون هذه الحقيقة، ومن ثم ما زالوا يبذلون الجهود والأموال والأوقات، وما زالوا يبتكرون الخطط والوسائل والأساليب، لصبغ العقول والنفوس –عبر آلية التخزين– بالتفاهة والميوعة والشبهات والفساد والانحراف والمادية! وهذا نفسه أحد أسباب تضمن النبوات لنظام محدد وواضح في العقيدة والآداب والأحكام، والأمر بإشاعة المعروف والخير والمعرفة الصحيحة والتوحيد والإيمان وحب الآخرة، والنهي الشديد والتوعد الرهيب لكل من يسعى لإشاعة الفواحش وتزيين الشبهات وتيسير الشهوات وإطلاق عنان التفاهة.

140. دعوى وجدان الصحابة للشبهات

بعض الناس حين يتحدثون عن ضغط الشبهات التي يتعرض لها الشباب، يذهب يستحضر موقف بعض الصحابة على أنه نموذج لـ "الوسواس القهري للشبهات"! أعني ما جاء بأن ناساً قالوا: يا رسولَ اللهِ؛ نجدُ في أنفسِنا الشيءَ نعظِّم أن نتكلَّم به، قال: أو قد وجدتموه؟ قالوا: نعم. قال: ذاك صريحُ الإيمانِ. وهذا كما ترى لا علاقة له بالوسواس القهري الذي يعاني منه بعض الشباب اليوم، بل كل ما في الأمر أن هؤلاء الصحابة وجدوا في أنفسهم بعض الخواطر السلبية، وهذا أقلق نفوسهم هيبةً لله تعالى وتعظيماً له، فبيّن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن ذلك مجرد وسوسة الشيطان الذي لا يفتأ يحاول التشويش على المؤمن، كما بيّن لهم بأن تلك الهيبة والخشية منهم أن يتكلموا بتلك الخواطر هي صريح الإيمان. ثم، لا دليل على أن هؤلاء الصحابة وجدوا في نفوسهم جنس الشبهات التي يلقيها الشيطان في نفوس العوام، فمقامهم في العلم والإيمان والعقل أعلى وأرقى. ولهذا، يمكن القول بأن ما كان يمر بهؤلاء الصحابة من الخواطر هو من باب "حسنات الأبرار سيئات المقربين"، فهم لقوة إيمانهم ورسوخ يقينهم واتساع علمهم، كان الشيطان يحاول أن يلقي إليهم من بعيد بعض ما يليق بمقامهم لمجرد التشويش عليهم، وإلا فهم أجلّ من أن تنطلي عليهم أمثال الشبهات الرائجة على العوام! يؤكد هذا المذهب في التفسير لموقفهم أن النبي صلى الله عليه وسلم اكتفى ببيان أن ذلك مجرد وسوسة وأن ذلك يعكس صريح الإيمان، ولو كان من جنس "الوسواس القهري العقدي" لما اكتفى صلى الله عليه وسلم بذلك، بل لحرص _كما تدل عادته عليه الصلاة والسلام في معالجة المشكلات الحادثة_ على البيان الشافي. كما يؤيده أن الصحابة كانوا معتادين على طرح مختلف إشكالياتهم، فقد سألوه عليه الصلاة والسلام (أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه) و (هل نعمل بما جرت به

المقادير أم لشيء مستأنف في المستقبل)، وغير هذا من الأسئلة، فلو كانت تلك الخواطر من جنس الوسواس القهري العقدي لما ترددوا في السؤال ولما أحجم النبي عن الجواب. والله أعلم.

141. من خطط النسويات المحجبات

من مناهج المفسدات "الشرعيات" في إفساد بنات المسلمين، أنهن يخترن بعض المواقف من بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم أو بعض نساء الصحابة أو مَن بعدهن، مع إهمال الإطار العام العقدي والسلوكي والاجتماعي لهؤلاء النساء الصالحات، وهذا ما يمكن تسميته بـ (خطة الانتقاء)، وذلك لكي ينفخن في هؤلاء البنات هوس الخروج من البيت، واللهاث المسعور وراء العمل، والجري وراء سراب تحقيق الذات، والتعامل مع الزواج على أنه مقبرة، وأن الإنجاز والعظمة والمجد خارج البيت والاعتماد على النفس، والخبط في أوهام الحرية والشخصية والكرامة! لكن، في المقابل، لن تجد من هؤلاء المفسدات في الأرض حديثاً عن ركيزة التسليم لله ولرسوله، وهي ركيزة جوهرية في منظومة العقيدة الإسلامية، ولن تجد منهن حديثاً عن ركيزة الولاء والبراء في تلقي الأفكار والتصورات، وهي ركيزة مركزية في منظمة العقيدة الإسلامية، كما لن تجد منهن كلاماً حول سلوكيات أولئك الصالحات، كقيام الليل، وصيام النهار، وقراءة القرآن، وكثرة الصدقات، والتقلل من شهوات الدنيا، وخدمة الزوج والصبر معه على ضغوط الواقع وظروف الزمان، وأن القرار في البيت كان الأصل وليس الفرع!! فهل يشك أحد أن هؤلاء النسويات "الشرعيات" جند من جنود إبليس في إفساد الأمة!

142. المرأة بين الحقوق والواجبات

جميل أن تحدث المرأة عن حقوقها في الإسلام، لكن، من المهم أن تحدثها كذلك عن واجباتها. واجباتها وهي ابنة، وواجباتها وهي زوجة، وواجباتها وهي أم. وتبين لها بأنها محاسبة أمام الله تعالى على هذه الواجبات، وأن مصيرها الأبدي بعد الموت مرتبط بمدى قيامها بهذه الواجبات، إذ لا يستقيم قيامها بحقوق الله تعالى مع التفريط في هذه الواجبات. والشريعة في جميع موارد أحكامها لم تأت بالحقوق فقط، بل جاءت أيضاً بالواجبات، بل قد شددت على رعاية الواجبات أكثر. لأن الأصل في الإنسان (الرجل والمرأة) أنه مسؤول: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾. وأساس المسؤولية القيام بالواجب، أما الحقوق فهي تبع وفرع. ولهذا؛ فحين تُقصر الحديث على حقوق المرأة في الإسلام فأنت بذلك تكون قد وقعت في فخ العلمانيين والنسويات، فهم يجعلون المرأة شيئاً مقدساً يجب أن يتمركز حول نفسه، لأنها معنى

سام فوق المطالبة بأداء الواجب! كما أنهم يؤكدون على مظلومية المرأة عبر التاريخ، وهم يعملون على رد كرامتها وحقوقها المهضومة! لكن الحقيقة المؤكدة هي أن الرجل والمرأة كليهما، وعبر التاريخ المديد، عاش حياته بمختلف أطوارها، بما فيها من عدل وظلم، وما فيها من كرامة وإهانة، وما فيها من سعادة وشقاء، كما تعرض كلاهما للاستعباد والبيع في سوق النخاسة، وهذا لا يزال إلى يومنا الراهن، وسيظل كذلك إلى فناء البشرية، فهذه طبيعة الحياة .ولهذا فتركيز الخطاب على حقوق المرأة، يتضمن التوكيد على ما ذكرت آنفاً، وهذا لا يليق بمن يقدم نفسه على أنه شيخ عالم أو مفكر باحث!

143. الحياة بين الإيمان والغفلة والكفر

لا تستوي حياة إنسان حضورُ الله تعالى والآخرةُ قوي ومكثف في تفكيره وشعوره، مع حياة إنسان يعاني في تفكيره وشعوره من خفوت أو انعدام هذا الحضور! الإنسان الأول، سيكون حضور الله والآخرة هو بوصلته في الحياة، بعلاقاتها ونشاطاتها ومساراتها، وسيجد نفسه يؤطر كل ذلك بما يحب أن يجده عند الله بعد الموت. أما الإنسان الثاني فإن نفسه وهواه وسلطة الشعارات والأوهام ستكون هي بوصلته وإطاره الذي يتحرك فيه، ويضبط داخله علاقاته ونشاطاته وسلوكياته، في انفصال عن الله والآخرة. هذه الحقيقة وثيقة الصلة بنزعة جوهرية في الإنسان، وهي أنه في كل نشاطاته يتحرك داخل ثنائية "الدافع والهدف"، كما أن هذه الثنائية لا يمكن أن تكون محايدة، بل تكون موصولة بالرؤية الوجودية التي يتبنّاها وينتمي إليها. إذا عرفت هذا، عرفت السر في تكثيف الجاهليين المعاصرين من أصحاب القرار والتوجيه والنفوذ فصل الإنسان عن الله تعالى والآخرة، بمحاصرته بكَمٍّ هائل من المؤثرات المادية، والفكرية والسلوكية، لأن الإنسان وهو منفصل عن الله والآخرة لابد أن يتّبع هواه، والهوى ذو شعب لا حصر لها، إلا أنها تتركز كلها في اللهاث وراء الإشباع المادي اللحظي والنجاح المحصور في إطار المادية، وكل هذا يحقق لتلك الفئة المتنفذة خططها التي ترمي لإبقاء الإنسان داخل سجن كبير لكن بلا قضبان! وبهذا تعرف أيضاً سر تشديد النبوات الإلهية على ثنائية "الاتّباع والإخلاص"، أي اتّباع الوحي والإخلاص لله في الدوافع والغايات، لأن هذا الاتباع والإخلاص هو الذي يمنح حضور الله والآخرة في الوعي والشعور القيمة، كما أنه يمنح أعمال المسلم القيمة عند الله تعالى في الآخرة.

144. كن رجلا أو لا تتزوج!

كن رجلا أو لا تتزوج! فقد والله رأيت من خضع لزوجته، فكانت لها الكلمة العليا، فكان الإذلال نصيب هؤلاء الأزواج!! بل بعض هؤلاء الزوجات لا يتورعن عن إذلال الزوج حتى في حضور الآخرين، فكأنها تنتقم من هذا الزوج لتنازله عن رجولته وقوامته لها!! وقد تعلل هذا بقلة الدين والحياء والأدب في هذه الزوجة، إلا إنك لا تستطيع التغافل عن حقيقة جوهرية، وهي فطرة المرأة! فالمرأة مهما صرخت عالياً حول المساواة وثرثرت طويلاً بشعار شخصيتي وكرامتي، وباقي مفردات القائمة المكرورة، فإن في أعماقها نزعة قوية للخضوع للرجل، ولذلك تبحث بفطرتها فيه عن القوامة عليها، وعن معاني القوة والحزم، وإذا أضاف الزوج بعض الرقة والعذوبة والرومانسية إلى قوامته وحزمه وصرامته، فهو رجلها المعظم وسيدها المبجل، لأنه يكون بذلك قد جمع لها نزعة عشق القوة في الرجل، ونزعة العاطفة الرقيقة فيها! أما حين يتنازل الزوج عن معاني الرجولة فيه، ويسقط في الميوعة الزائدة المغلفة بالحب فإنه يجلب على نفسه احتقار هذه التي يقسم أنه يعشقها! كما أنه يجلب الخراب على شخصية أبنائه لأنهم يفقدون فيه قوة الرجولة وعظمتها، فهم بطبعهم يأخذون من هدي الأبوين أكثر مما يأخذون من كلامهم وتوجيهاتهم!

145. تسبيح الوجود لله سبحانه

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:44]. حقيقة هائلة جداً، تكشفها لنا هذه الآية المباركة. كل من في الوجود، ظاهره وباطنه من أشخاص وأشياء، يشهد لله بالوحدانية، ومنخرط في هذه العبادة الخاشعة والخضوع المتبتل له جل جلاله. والرسالة التي ترمي إليها الآية المباركة، هي أن يحرص الإنسان على ألا يكون نشازاً في ترنيمة الكون والحياة، بل بالحري _وقد أوتي ما لم يؤت كثيرٌ ممن خلق الله_ أن يتماهى في هذه الصلاة التسبيحيّة الجليلة. وهو حينما يفعل ذلك سيشعر بالتناغم والانسجام بينه وبين الوجود جميعاً، سيشعر بتلك الوشيجة الحبيبة التي تربطه بعناصر الكون والحياة، وشيجة الحب والخشوع لله والتسبيح الجليل له. لتكون النتيجة الضروريّة لهذا التماهي والذوبان، الارتقاء إلى مستوى التفاعل الايجابي مع الوجود من حوله، ليستغله استغلالاً رشيداً، لصالح القيام بمهمته التي خُلق لأجلها، مهمة العبوديّة لله تعالى. وبهذا كله لن سيشعر المؤمن الخاشع بالاغتراب، والوحدة، والمأساة في عالم مجهول، بل بروابط الانتماء، والمحبة، والأخوة، والمهمة المشتركة، فينطلق في مسارات الحياة، كشفاً وتطويراً وإبداعاً، وهو وثيق الصلة بالله وعالم الخلود الجميل.

146. حاسة البحث عن المعنى

في أعماق في كل إنسان حاسة تبحث عن الهدف وعن المعنى في كل شيء. ذلك لأنّ الهدف والمعنى هو الذي يُضفي على الوجود قيمته، وينفخ في الحياة روحها، ويطبع النشاطات بطابع الفضيلة والمسؤولية. ولذا؛ فعندما يفقد الهدف والغاية، فإن النتيجة الحتميّة هي أنّه يسقط في قبضة المأساة والإحساس بالوحدة والعبثية والاغتراب! ولهذا كانت قضية الغاية والمعنى تقض مضاجع الملحدين، لأنّهم يقعون بين ضغط الفطرة التي تبحث عن الغاية والمعنى في كل شيء، وبين وهم إنكار الإله الذي بإنكاره لا يكون هناك أي معنى ولا نبل ولا قداسة! ولما كانت قضية الهدف والمعنى بهذه الأهمية القصوى، ركّز الإسلام عليها غاية التركيز، وسلك في كشفها وبيانها طرقاً مختلفة، تتلخص في كثرة حديثه عن الله تعالى بما له من أسماء حسنى وصفات عليا، ولهذا فهو سبحانه لم يخلق الإنسان عبثاً ولم يتركه سدى، وأيضاً في كثرة حديثه عن عالم الآخرة والحياة بعد الموت، سيتحدد مصير كل فرد فيها بحسب ما قدّم من الإيمان والعمل الصالح. وكل هذا يشحن وعي المسلم وضميره بأن الأمر في وجود الإنسان والكون والحياة ليس صدفة أو اعتباطاً، بل هناك غايات مقدسة ومقاصد شريفة، لأجلها خلق الله تعالى الإنسان والكون والحياة.

147. البحث عن الفردوس

من مشاكل الملحد؛ أنه يبحث عن فردوس جميل لا يمكن أن يتحقق في هذا العالم! فهو يبحث عن العدل المطلق، عن الخير المحض، عن الجمال الأسنى، عن السعادة الدائمة! هذه المعاني الجميلة والرائعة لا يمكن أن تتحقق في عالم الدنيا، لأن طبيعة هذا العالم تمنع ذلك، من أجل أنه عالم عبور أُدخل إليه الإنسان للقيام بواجبات التكليف وحقوق الألوهية، وليس عالم قرار وخلود. ومن هنا؛ فإنّ بحث الملحد عن هذا المعاني النبيلة والراقية ـــوهو بحث مشروع لأنه فطرة في كل إنسان، والملحد إنسان قبل أي شيء آخرـــ برهان ساطع على حتميّة وجود عالم آخر يتحقق فيه هذا الفردوس الجميل. وهو برهان لأن الإدراك الفطري في الإنسان لا يمكن أن يريد شيئاً غير موجود أو لا يمكن أن يكون موجوداً! ولهذا حرص الإسلام على تلبية هذه النزعة الفطرية في الإنسان، فحدثه طويلاً عن الجنة وما فيها من ألوان النعيم، ومظاهر السعادة، وأسباب الهناء، بلا حد ولا حصر، وبلا غاية ولا نهاية. وبهذا يستطيع المسلم أن يعيش في حالة التوازن، إدراكاً وشعوراً، بين الرغبة الفطرية القوية في عالم فردوسي جميل، وبين واقعية عالم الدنيا المحدود القاصر الكادح. ولكن العقل الإلحادي أقل من أن يستوعب هذه المعاني!

148. الإسلام دين شامل متكامل

يوم جاء الإسلام؛ جاء ليكون دين الإنسانية إلى يوم القيامة، في منهج تفكيرها، وإطار سلوكها، ونظم قوانينها، متجاوزاً بذلك الزمان والمكان وشتّى الفروق التي تطبع أفراد المجتمعات والشعوب البشرية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ/28]. هذه العالمية والشمولية تستند إلى ثلاثة عناصر: **وحدة الفطرة**: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم/30]. **ووحدة الوظيفة**: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات/56]. **ووحدة المصير**: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [التوبة/105]. ولأنه سبحانه علم أن البشرية ستتقارب زمانياً ومكانياً بين يدي الساعة، فمن أجل ذلك وضع في الإسلام نظاماً مناسباً لفطرة عقول مختلف طبقات البشر، كما وضع فيه نظاماً تشريعياً للحياة الخاصة والعامة مناسباً لنزعاتهم وغرائزهم وتحدياتهم المتشابهة. ولهذا كان الإسلام آخر الأديان، ولهذا أيضاً يشكل الإسلام أكبر تحدٍّ للجاهلية المعاصرة، لأنه دين شمولي ومتكامل، في الاعتقاد والتصور، وفي الآداب والسلوك، والقيم والأخلاق، والنظم والتشريعات، كما أنه مناسب لأصل الفطرة، ومتناغم مع واقعية العقل، ومنسجم مع أشواق الروح.

149. صورة العالم بين قدرة الله وحكمته

أحد أبرز عوامل ضلال الملحد في إنكاره لوجود الخالق سبحانه؛ أنه يؤسس كل اعتراضاته وشبهاته على فكرة كامنة، هو نفسه لا ينتبه إليها، وهي (الخالق يجب أن يتصف بصفات الكمال، وآثار صفات الكامل كاملة، لكن لا يوجد كمال في عالمنا، إذن الخالق غير موجود)! فاحتجاجه بوجود الشرور، ودعواه وجود أخطاء مختلفة في القرآن، كما لهجه بوجود فوضى وعشوائية في الكون، وقوله بعدم كفاية الأدلة على وجود الخالق، هذه وغيرها نابعة من تلك الفكرة الكامنة! مشكلة الملحد هنا هي أنه لم يفرّق بين أفعال الله تعالى التي هي كمال كلها، لأنّها تجلّيات صفاته المقدسة، وبين مفعولاته التي يمكن أن يتطرّق إليها النقص والعيب، لأنّها متعلقة باعتبارات مختلفة. بالإضافة إلى ذلك، لم يفقه الملحد مقاصد الحكمة الإلهية في طبيعة عالم الدنيا القائمة على التكليف والابتلاء، وأن الكمال هناك في الآخرة لخلوها من التكليف الابتلاء! وإلا فإن بديهة العقل تقرر التالي: إذا كان الخالق خلق العالم على هذا النحو، وفيه ـ بحسب النظرة الإلحادية العجلى ـ قصور وعجز وعيوب، أليس قد كان قادراً على أن يخلقه على مثال أفضل وأرقى بحكم كونه إلهاً خالقاً متصفاً بالكمال اللامحدود؟! ومن هنا، فخلقه سبحانه لهذا العالم على هذا النحو لابد أنه لحكمة

عظيمة وحجة بالغة، سواء أدركها الإنسان أم لم يدركها، فعدم الإدراك ليس حجة. فهذا ما تقرره بديهة العقل، لولا أن الملحد ينطلق من موقف نفسي مسبق يحول بينه وبين إدراك الحقيقة في أبعادها المختلفة!

150. الدور الرسالي للمسلم

المؤمن إنسان اجتماعي، يقوم بدوره في المجتمع الذي يعيش فيه، بطريقة إيجابيّة فعّالة، من خلال التعاون مع غيره على الخير والطاعات، ومن خلال التعاون على الانتهاء عن الشر والمعاصي، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [المائدة/2]. ولهذا كان حفظ المجتمع مقصداً شرعيّاً معتبراً، لأنّ الجماعة قوة والوحدة ضعف، ولأنّ المجتمع المسلم عليه مسؤولية مقدسة، ألا وهي الالتزام بشريعة الله تعالى في الداخل، وتبليغها للعالمين في الخارج. والحقيقة أنّ المؤمن عندما يسعى لتزكية المجتمع من خلال أفكاره وأخلاقه ومعاملاته، فإنّه يحقق هدفين، **(الأول)** إشاعة الفضيلة والنبالة بين الناس ومساعدتهم لتحقيق النماء والازدهار الإيماني والحضاري. و**(الثاني)** اكتساب قوة جديدة لنفسه للثبات على طريق الحق، إذ إنّ الإنسان بطبعه يتأثر بمحيطه، إيجاباً أو سلباً. وبهذا يكون المسلم قائماً بدوره الرسالي العظيم. هذا الدور هو الذي تحرص العلمانية اليوم على محو شعور المسلم به وإدراكه له، وتبذل في سبيل ذلك الكثير من الجهود الضخمة، وبأساليب مختلفة، ذلك لأن العلمانية تعي جيداً أن امتلاء المسلم بشعور دوره الرسالي في المجتمع والعالم، يعني تلقائياً تهديداً قوياً لها، وتحدياً صارخاً لأجنداتها، وهذا ما لا يمكن أن تقبل به أو توافق عليه! ولهذا يدرك العلمانيون بأنهم يخوضون معركة مصير، ومعركة وجود، فإما العلمانية وإما الإسلام، حتى إنك تراهم يسخرون من بعض الإسلاميين الذين يحاولون التلفيق بين الإسلام والعلمانية!

151. أهمية تعزيز اليقين

أحد أهم مقاصد القرآن، هو تحصيل المسلم لليقين: اليقين بوجود الله تعالى وكماله وعظمته، واليقين بلقائه والحياة الأبدية بعد الموت، واليقين بقدسية المهمة التي خُلق لأجلها الإنسان، واليقين بأنّ الهدى والحق والنور مضمون في القرآن والسنة. ولهذا وجدنا القرآن يتفنّن في عرض وسائل تعزيز اليقين، فمرة يُوجه النظر إلى آفاق ملكوت الكون، وتارة يلفت الفكر إلى مصارع الكافرين عبر التاريخ، وطوراً ينبّه على الحياة الطيبة التي يعيشها المؤمن، وأحياناً يحث على التفكر في معجزة الوحي. ومرة يكشف عن النعيم المقيم الذي ينتظر المؤمن في الجنة. إن تعزيز اليقين مهم للغاية لأنّه **(أولاً)** يجعل المسلم على صلة وثيقة بالله تعالى،

(ثانيّاً) لأنّه يمنح المسلم الشعور بالقيمة والتقدير، **(ثالثاً)** لأنه يحمي المسلم من فتن الشبهات والشهوات، **(رابعاً)** لأنه ينفخ في المسلم قوة الثبات والرسوخ والتفاؤل. وهذه كلها معاني مطلوبة شرعاً. ولما كان الأمر كذلك، وجدنا الشريعة تأمر بإشاعة العلم الصحيح بين أفراد الأمة، وأيضاً تأمر بتوفير الحاكم أجواء إيمانية في المجتمع، وكذلك تأمر بمحاربة الشبهات والأغلوطات والجدال المذموم، لأن كل هذا من أعظم ما يعزز اليقين في وعي المسلم ووجدانه، ويحرسه ويحفظه عليه.

152. أوهام شروط الزواج

بعض الشباب الملتزمين تذهب بهم الأحلام وتشتط بهم الأوهام بعيداً، في وضع قوائم الشروط في شريك الزواج! وما من عيب في وضع الشروط والمعايير، ولكن العيب حين تكون هذه الشروط غير موضوعية وبمنأى عن الحكمة والإنصاف! فما يغفل عنه كثيرون هو أنّ الحياة الزوجية لا تسير مسار الأحلام المثالية، بل هي مثل فصول الطبيعة تارة جميلة ممتعة، وطوراً مزعجة مقلقة، وأحياناً محزنة كئيبة، ومرة مزمجرة صاخبة! والزوجان العاقلان هما اللذان يتقنان فن إدارة هذا الصعود والهبوط في علاقتهما الثنائية. لقد كانت تحدث بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين زوجاته نقاشات وخلافات، تشحن جميع الأطراف بالانزعاج والغضب، رغم سمو ونبل شخصيّة الرسول صلى الله عليه وسلم وشخصية زوجاته، إلا أن العلاقة كانت تعود إلى مسارها الهادئ والجميل. النتيجة السلبية لمثل هذه الأوهام التي يعيش فيها جملة من الشباب والبنات اليوم، هو ارتفاع احتمالية الصدمة القوية بعد الزواج مباشرة، وذلك عندما يرى أحلام تتكسر على صخرة الواقع القائم، فيجد نفسه في حيرة خانقة، بين الصمود وبين الهروب!

153. ضرورة تكوين المتدين

هناك فئة عريضة؛ قبل الجامعة يكون التزامهم هادئاً ومرتبطاً بالمواعظ والقصص، ويكونون منغمسين في لقاءات الجماعة وأنشطتها ودروسها المكرورة وخطابها المعتاد، ومن ثم يكونون بعداء عن معركة الأفكار وتجاذبات التيارات الفكرية المختلفة، اللهم إلا تلك الكلمات والشعارات العامة التي يسمعها الجميع حول الإلحاد، العلمانية.. إلخ. الذي يحدث لهؤلاء، أنهم يوم يصلون إلى الجامعة تحرص الفصائل _كما هو معلوم_ أو بعضها على استقطابه، وهنا تكتشف هذه الفئة عالماً آخر مختلفاً تماماً عن العالم الذي عاشوا فيه طويلاً، عالماً صخاباً بالأفكار والشبهات والآراء والمغالطات. وبلا شك فإن كثيرين يتأثرون بكل ذلك قليلاً أو كثيراً، خصوصاً وأنه ليس لهم مناعة شرعية ومعرفية قوية تساعدهم على مجابهة أطروحات الآخرين

ومعرفة مكامن الخلل والتلبيس والمغالطة. ولهذا حري بالآباء والجماعات الإسلامية تكوين أبنائها قبل دخول الجامعة، وإذا كانوا يتعاملون مع الأمر بسذاجة ولامبالاة، فإن جنود الإلحاد والعلمانية والجاهلية لا ينامون ولا يفترون!

154. ضرورة تكوين المتدين

يتساءل بعض الملتزمين من الشباب والبنات عن سر كسلهم وتراجعهم بعد اجتهاد في العبادة وتذوق لحلاوة ممارستها! والحقيقة أنهم قد غفلوا عن البُعد الجهادي في السير إلى الله تعالى، أي ضرورة مقاومة الكسل وأسباب الغفلة، لأن المسلم معرّض للفتن وللغفلة؛ فلابد من المجاهدة دائماً. كما غفلوا عن البُعد التكليفي، أي ضرورة عبادة الله وطاعته بغض النظر عن شعور اللذة بذلك، فلو استمر الملتزم في خط حلاوة العبادة لامتلأ بالعجب والغرور والشرك الخفي! ومن ثم تكون المعوقات الخارجية الحائلة بينه وبين الاستمرار في مسار قوة العبادة وحلاوتها منبهات له على ضرورة الالتجاء الدائم إلى الله وطلب عونه وتوفيقه وحفظه من الآفات الباطنة والعراقيل الخارجية.

155. تبرؤ الإسلاميين من السعي للسلطة

من العجيب أن يحرص كثير من الإسلاميين على البراءة من قول العلمانيين لهم بأنكم تسعون للسلطة ومقاليد الحكم، كأن هذا السعي جريمة عظمى وخطيئة لا تُغتفر!! وكأن العلمانيين لا يسعون للسلطة ولا يحرصون عليها! بل الواجب أن يقال للعلمانيين: كلانا يسعى للسلطة، والفرق بيننا، هو أننا نسعى إليها ليكون نظام الحكم والتدبير منبثقاً عن الدين الذي يؤمن به الشعب ليعيش في تناغم بين عقيدته وشريعته. وأنتم تسعون للسلطة ليكون نظام الحكم والتدبير دنيوياً منبثقاً عن الجاهلية الغربية بعيداً عن هوية الشعب المسلم! ومن هنا، فأنتم في الواقع أعداء لهذا الشعب، إذ تسعون لمحاربته في دينه وهويته وعقيدته، وفرض منظومة قوانين سياسية واقتصادية وتربوية مستوردة من الغرب الذي أسّس هذه المنظومة على رؤيته الوجودية للإله والذات والعالم والقيم والعلاقة بينها، وهي رؤية مادية إلحادية. هذا ما يجب أن يقال للعلمانيين، ليتذكروا دائماً بأنهم مجرد عملاء للغرب، ومطايا لمخططاته القذرة، أي يجب أن يواجهَوا بالحقيقة التي لا يرغبون في سماعها، ليعلموا أنهم بعلمانيتهم قد أعلن الحرب على الله، وقد أعلنوا الحرب على الشعب المسلم الذي يعيش بين أفراده، وقد أعلنوا رفض الشريعة وهو ردة في حكم الدين الذي يزعمون الانتماء إليه. أما حين يسكت الإسلاميون على اتهام العلمانيين ويحاولون التنصل أو يحاولون

القول بأن حصولهم على السلطة لن يجعلهم يرفضون الحداثة والليبرالية والنسوية والعلمانية، فهم بهذا يثبتون على أنفسهم التهمة أي ارتكاب جريمة كبرى لمجرد تفكيرهم في السلطة فضلاً عن السعي إليها، كما أنهم يؤكدون على أن الإسلام مثل النصرانية لا يوجد فيه نظام حكم شامل ومتكامل، وأن العقيدة فيه منفصلة عن آثارها في واقع الفكر وواقع الحياة.

156. شعار الإسلام كرم المرأة

من الشعارات الصنمية في واقعنا الراهن، شعار «الإسلام كرم المرأة»! فاليوم صرت ترى حشودا من الشرعيين، فضلاً عن عوام المتدينات، يلهجون بهذا الشعار كلما تطرقوا لموضوع المرأة، حتى صار كأنه «فيتو» يرفعونه في وجهك كلما قلت شيئاً لم يصادف هوى فيهم ولم يكن "طبطبة" على المرأة! والواقع؛ فإن هذا المزاج تشكل تحت ضغط القول العلماني النسوي عن المرأة، ولهذا تجد هؤلاء يبحثون ويتعلقون بأي شيء فيه بالنسبة لهم/لهن توكيد لشعار «الإسلام كرم المرأة» لكي يثبتوا للعلمانية والنسوية أن القضية لا تختلف كثيراً عن طرحهم، ولهذا فهم عملياً يمارسون المطالبة بـ «صك الاعتراف» من العلمانية النسوية بأن المسلمة مكرمة حسب معاييرهم الجاهلية لكن بلمسات إسلامية! والحقيقة؛ فإن الإسلام لا يتعامل مع المرأة (ولا مع الرجل) بمبدأ «التكريم» بل بمبدأ «المسؤولية»، المتمثلة في «افعلي ولا تفعلي»، بحسب ما يتطلبه النظام الشرعي الموضوع للحياة، لأن المرأة مخلوقة للتكليف، وهو قسمان، قسم عام تشترك فيه مع الرجل، وقسم خاص تنفرد به بسبب تكوينها الجسدي والنفسي، كما ينفرد عنها الرجل بأحكام مناسبة لتكوينه الجسدي والنفسي. ومن هنا، سيترتب على مدى القيام بواجبات «مسؤولية التكليف» مصير المرأة في الآخرة. إذن؛ يمكن أن نقرر بأن مبدأ «المسؤولية» لا يهتم بـ «أهواء المرأة ومزاجها ورغباتها» بل بـ «واجباتها الشرعية» سواء صادفت هوى منها أم كانت على غير ذلك. فهذا ما يجب أن يقال لبنات المسلمين وليس خداعهن بـ «الإسلام كرم المرأة» حتى صار هذا القول فتنة لكثيرات، إذ حملهن على أن تتضخم فيهن الأنا، واعتقاد المركزية!

157. أنواع التكريم الإلهي للبشر

تكريم الله تعالى للبشر نوعان، النوع الأول يمكن أن نصطلح عليه ب"تكريم الربوبية"، وهو يتمثل في الإيجاد والخلق في أحسن تقويم والتسخير الكوني وإرسال الرسل. فهذا التكريم عام لكل البشر، ولم يترتب على أسباب منهم. والنوع الثاني يمكن أن نصطلح عليه ب"تكريم الألوهية"، وهو يتمثل في التوفيق للطاعة

والإيمان والتوحيد واتباع هدي النبوة. فهذا التكريم خاص بمن آمن بالله ورسله، ولفعل العبد دخل في تحققه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾. فهذا هو المعيار الحقيقي والوحيد للتكريم الحقيقي، أي مدى القيام بحقوق الله تعالى في التزام شرعه، سواء صادف هوى من النفس ورغبة أم لا، لأن أساس التكليف موضوع لتحقيق مقاصد الحكمة الإلهية بغض النظر عن مزاج العبد ونفسيته وأهوائه.

158. أسباب ميوعة بعض الملتزمات

يمكن حصر أسباب ميوعة بعض الملتزمات في التالي: (**1**) الأهل الذين لم يحسنوا تربيتها على منهج التربية الإسلامية، فلا تجد في الأبوين القدوة. (**2**) ضغط الإعلام العلماني وكثافة مهاجمته للدين وتبشيع صورة المتدينين والمتدينات. (**3**) التدين الجاهل، فهي لا تعرف من الإسلام إلا فتاتا تلقفته من هنا وهناك، ولا تدرس الإسلام بجد ووعي. (**4**) سلطة "دعاة السوق" الذين يغرسون في النفوس حب الدنيا بلمسات إسلامية وشعارات هلامية. (**5**) تغول المزاج الليبرالي وإضمار تقديس الحرية والكرامة، فكل شيء يضاد هذا المزاج يكون مرفوضاً. (**6**) شريحة واسعة من الشباب المتدين "الكيوت"، فلا مانع لديه أن تخرج زوجته للعمل وتحقق ذاتها. (**7**) انتشار الخطاب النسوي المتأسلم، فيتم تبنيه لما سبق ذكره، أي إنه يوافق هوى متضخما لدى الملتزمة. فهذه السبعة هي تقريباً أصول أسباب ميوعة شريحة واسعة من المحجبات في واقعنا المعاصر، والله المستعان

159. بين الذكورية والنسوية

دعوة التمركز حول الأنثى (ما يسمى بالنسوية)، ودعوة التمركز حول الذكر (ما يسمى بالذكورية)، كلاهما نزغة من نزغات الشيطان، ومعول هدم في كيان المجتمع المسلم. وهما من المذاهب المستوردة من الغرب، كما هو حال الأمم الضعيفة دائماً لا تفتأ تستورد كل شيء من الأمم القوية، حتى الأفكار والتصورات! ومع ذلك، فالنسوية أشد خطورة بمراحل من الذكورية!! وبالمثال يتضح المقال: رجل متزوج، لكنه من هذا الصنف الذي ينظر للمرأة على أنها شيطان مريد، وكتلة من الخداع والمكر، ولهذا يجب التعامل معها بحذر ويقظة، ولا يجب الاغترار بما تظهره من الحب والحنان والعناية، فكل ذلك مجرد حبوب بين يدي المصيدة، وهي السيطرة عليه لتتحكم فيه، ولهذا يجب التعامل معها بجفاء وقسوة وحرمان أحياناً من احتياجاتها المختلفة، العاطفية والنفسية والجنسية! فعند هذا الحد يتوقف هذا "الزوج الذكوري"، لأنه يفعل ذلك معتقداً أنه السبيل الوحيد للحفاظ على كيان الأسرة. أما حين نأتي إلى زوجة متشبعة

ب"النسوية"، فماذا نجد؟ سنجد أن المنطلق لديها هو أن الرجل شر مطلق، ولا يمكن التعاون معه، بل إما هي أو هو، ولهذا يجب عليها السعي للسيطرة عليه وإخضاعه، فإذا عجزت عن السيطرة عليه، فهنا تعمل على تحويل حياته إلى مأساة، وإلا ستدفعه للطلاق لتستغل منظومة القوانين الموضوعة لصالحها، فتحرمه من الحضانة مع الإنفاق عليها وعلى أبنائه، وإلا فالسجن ينتظره! فهنا نجد المرأة يمتد موقفها "النسوي" إلى تخريب الأسرة وهدم أركانها، والسعي لإنشاء حالة توتر مستمرة في بنية المجتمع. وفوق كل هذا، فهي لا تفتأ تشعر بالمظلومية، فهي مظلومة من الرجل، ومن المجتمع، ومن التاريخ، وحتى من الدين والإله سبحانه، فالكل يعمل على استعبادها وإذلالها وحرمانها من إبراز طاقاتها الجبارة في الإبداع، ولهذا تكون ساخطة ومتمردة على الجميع! الخلاصة إذن: الرجل الذكوري له هدف نبيل لكنه أخطأ الطريق والأسلوب والوسيلة، أما المرأة النسوية فلها نفس أهداف الشيطان وأعداء الله ورسوله والأمة، فلا يستويان.

160. شعارات الجاهلية الزائفة

مَن كان يظن أن قريشاً التي كانت معروفة بالجود والكرم والسخاء، تغيث اللهفان وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر، حتى كان علية القوم يتباهون بذلك ويفاخرون بعضهم بعضاً به.. من كان يظن أنهم هم أنفسهم من سيضرب حصاراً اقتصادياً، ويعلنون مقاطعة اجتماعية، ويتفقون على تجويع جماعي للرسول صلى الله عليه وسلم ومجموعة ممن آمن به وصدقه، أو تعاطف معه من المشركين، وذلك في شعب أبي طالب!! لقد نسيت قريش شعاراتها ومبادئها ومفاخرها، لماذا؟ لأنها الآن تواجه عقيدة تقف في الضفة المقابلة لعقيدتها الجاهلية، عقيدة تتحدى أهواءها وأنماط حياتها، عقيدة تسحب منها حق التشريع والقانون وترده لله سبحانه وحده.. هكذا هم الجاهليون في كل زمان ومكان! انظر للجاهليين الجدد أي العلمانيين، يثرثرون كثيراً بشعارات برّاقة، من قبيل حرية العقيدة، وحرية اللباس، وحرية التصرف، وغير ذلك من صور الحريات التي ينادون بها، ولكن، عندما يتعلق الأمر بالمسلم والمسلمة ورغبته في ممارسة شعائر دينه وعقيدته، هنا تتلاشى شعاراتهم وتختفي مبادئهم، لماذا؟ لأنهم يتعاملون مع القضية بمبدأ (صدام قناعات) بين الرؤية الإسلامية التي ترفض جملة وتفصيلاً المنطلقات والغايات العلمانية، والرؤية العلمانية التي ترفض جملة وتفصيلاً المنطلقات والغايات الإسلامية. ولهذا نقول للمسلم: حتى وإن نحّيت العقيدة في التعامل مع الأفكار والأشخاص والأحداث، فإن الآخر (العلماني، الليبرالي، الغربي، النسوية) لن يفعل ذلك، بل معك أنت بالذات سيفكر ويتعامل وينظر فيما يخصك انطلاقاً من رؤيته الجاهلية وعقيدته الأهوائية، فلا تلهث وراء سراب وحدة المجتمع أو شعار التسامح، فتتنازل عن عقيدتك، لأنك وحدك الخاسر!

161. خصائص الإسلام

يتميز الإسلام من حيث المصدر والبنية والغاية بمجموعة خصائص كبرى، وهي: (الخصيصة الأولى) أن مصدره هو الله سبحانه وهو منزله، وهو الذي صاغه على ما هو عليه. (الخصيصة الثانية) أنه علم، له قواعد وأصول ومبادئ، ولا يمكن فهمه بدون فهمها واستيعابها. (الخصيصة الثالثة) أنه منسجم غاية الانسجام مع طبيعة الفطرة وقيم العقل وسنن الحياة. (الخصيصة الرابعة) أنه شمولي في منهجه، يشمل الفرد والمجتمع، والدنيا والآخرة. (الخصيصة الخامسة) أن منظومة أحكامه وآدابه منبثقة عن عقيدته، فهناك تلازم بينها. (الخصيصة السادسة) أنه محفوظ في أصوله بحفظ الله له، فيستحيل تحريفه وتزييفه. (الخصيصة السابعة) أنه الدين الوحيد المقبول عند الله تعالى، فكل الأديان سواه باطلة. (الخصيصة الثامنة) أنه دين الأنبياء والمرسلين منذ آدم إلى محمد صلى الله عليهم وسلم. (الخصيصة التاسعة) أن غايته تحقيق الغاية التي خلق الله تعالى لها الإنسان، أي العبادة. (الخصيصة العاشرة) أن الناس بأجناسهم وأعراقهم سواسية في حكمه، والتقوى معيار التفضيل. (الخصيصة الحادية عشرة) أن عقيدته وأحكامه وآدابه قائمة على قيمة الحق واليقين الثابت. (الخصيصة الثانية عشرة) أنه لا يقبل أنصاف الحلول مع الجاهلية، بل يحرص على العلو عليها. فنخرج من هذا البيان المختصر للقول بأن الإسلام جاء ليكون ثورة ضد الجاهلية، جاهلية الفكر والعقيدة، وجاهلية السلوك والقيم، وجاهلية النُّظم والقوانين، لكي يعيد صياغة الشخصية الإنسانية كما هي في معانيها الفطرية وغاياتها الربانية. وبهذا فقط سيكون الإنسان عبدا لله وحده لا شريك له، متعاليا على العبودية للخلق، سواء في صورة حزب، أو صورة جماعة، أو صورة زعيم، أو صورة أيديولوجيا. والمسلم في الواقع المعاصر حري أن يفهم الإسلام على هذا النحو وبهذا الشمول، لأن حقيقة الإسلام كذلك، ولأنه لا يمكن أن يتحرر من حاكمية الجاهلية المعاصرة إلا بذلك.. والله الموفق

162. كيف أخدم الإسلام؟

العاقل هو من يكتشف قدراته ليبدع بها في خدمة الإسلام؛ فمجالات هذه الخدمة كثيرة ومتنوعة وليست محصورة في نوع واحد لا يُقبل غيره. وكثيرون اليوم يغفلون عن هذا الأمر، فتضيع جهودهم وتتلاشى طاقاتهم بلا فائدة ذات بال! إن من المهم أن يفهم الشباب بأنه لا يلزم أن يكون كل فرد منهم فقيهاً، أو مؤلفاً، لكي يكون قد قام بالواجب الرسالي الذي عليه، بل عليه أن ينظر لقدراته واستعداداته الخاصة وما ينقص الأمة، فكم من طبيب أو رجل أعمال أو مدرس وغيرهم، يكون أفضل من كثير من

الدعاة وأصحاب التصانيف والمؤلفات. ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على اكتشاف قدرات أصحابه وتشجيعها وتحفيزها للتفتح والنماء والعطاء، فخالد بن الوليد كان خادماً للإسلام في مجاله إبداعه وهو القتال، وعمر بن الخطاب كان خادماً للإسلام في مجال إبداعه وهو الحكم، وابن مسعود كان خادماً للإسلام في مجال إبداعه وهو التدريس. فاكتشف نفسك لتختصر عليك الطريق، وتذكر أن الأساس والمعيار هو اتباع السنة وإخلاص النية.

163. الإيمان يزيد وينقص

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ [النساء/136]، فقد أثبت لهم الإيمان ثم طالبهم به، ففهمنا من ذلك أن الإيمان يزيد وينقص، ولولا ذلك لما أثبت لهم الإيمان ولا حثّهم عليه أصلاً! ثم، إن هذا الطلب والحثّ له وجهان، (**أولهما: التخلية**) أي من الذنوب والمعاصي، ومن مفسدات التوحيد. و (**ثانيهما: التحلية**) أي بالأذكار والصالحات، ومعززات التوحيد. وبقدر ما يمارس العبد هذه التخلية والتحلية، يترّقى في مدارج الإيمان ومراقي اليقين. لأنه لما كان الله تعالى موصوفاً بالكمال والعظمة اللانهائية، كانت مراتب الإيمان واليقين بلا نهاية، بل كلما وصل العبد إلى مرتبة كانت وراءها مراتب أخرى، بحكم ارتباطهما به سبحانه. ومن هنا، فالقول بزيادة الإيمان ونقصانه لا علاقة له بالقول بالشك.

164. الزوجة الصالحة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة﴾. كثيرات يفهمن من هذه الإشادة النبوية، أن المقصود هي الزوجة التي تحافظ على صلاتها، وتتلو كتاب ربها، وتلزم مكارم الأخلاق، وتصبر مع زوجها وتعينه على الدهر. وبلا شك، فكل هذا مقصود من الحديث وهي سمات حري أن يفرح الزوج إذا أُكرم بزوجة تتحلى بها. ولكن؛ مما تغفل عنه هؤلاء الكثيرات هو (الجانب الزوجي) فيما بينها وبين زوجها، فلا يبالين بتنمية الجانب العاطفي، ولا يعتبرن بالجانب الجنسي، ولا يراعين الجانب النفسي، علماً أن هذه الجوانب الثلاثة لا يمكن لعلاقة زوجية أن تستمر في أفقها المشرق الندي إلا بها. لأن الإنسان (الرجل والمرأة) لديه نزعات ورغبات وشهوات هي أجزاء أصيلة في تكوينه يجب أن تُروى وأن تُشبع، وإلا فقد الإحساس بمعنى الحياة!

165. دعوى كون الصحابة لم يدرسوا العلوم

شاعت شائعة في هذا الوقت بين جمهرة من الحمقى تقول: "الصحابة ﷺ لم يدرسوا العلوم ولم يطلعوا على الثقافات المختلفة، ومع ذلك كانوا في قمة الحكمة والرشد الفكري والسياسي!"، ومن ثم يهونون من التحصيل المعرفي وتوسيع دائرة المطالعة والتحصيل! وهذه حماقة ساقطة لا يستقيم لها معنى إلا في العقول الجاهلة! لقد نسي هؤلاء أن صحبة أعظم رسل الله تعالى صلى الله عليه وسلم شيء لا يمكن تصوره إلا لمن عاشه فعلاً، فهذه الصحبة كانت للصحابة بمثابة (أكاديمية كبرى متعددة التخصصات)، ولهذا قال الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري ﷺ: "لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في السماء طائر يطير بجناحيه إلا ذكر لنا منه علماً". بالإضافة إلى ذلك، هناك عنصر آخر وهو معرفتهم أسرار العربية بالسليقة الفطرية، فكانت لذلك ينابيع الحكمة القرآنية تتفجر بين أيديهم. ولهذين السببين كانوا أرشد الأمة عقولاً وأوسعهم علوماً وأزكاهم قلوباً. وهذا ما أدركه العلماء ووعته عقولهم، فكانوا يفنون أعمارهم في طلب العلم وتحصيل المعرفة، ليس فقط الشرعية منها، بل كل ما تيسر لهم من ثقافة عصرهم. فاطلب العلوم المعاصرة ــإضافة إلى العلوم الشرعيةــ جهدك، فإن أبيت فلا تلصق دروشتك بالإسلام والقرآن والسنة والصحابة!

166. سر انتشار الإسلام

السر الأعظم في انتشار الإسلام مكاناً وزماناً، وتسارع النّاس للدخول فيه نابع من حقيقتين: (ربانيّة المنهج)، فالذي فصّل الإسلام ووضع له قواعده وأصوله وحدد له مبادئه ومقاصده هو الله رب العالمين، بعلمه المحيط وحكمته الفائقة. ولذا فإنّ الإنسان لا يداخله أدنى شك في أنّ تعاليم وأحكام الإسلام فيها شيء من الظلم والحيف، بل بما أنّ الله هو مصدر الإسلام فكل تكاليفه وأحكامه، رحمة كلها وحق كلها وعدل كلها. (فطريّة المنهج)، الله هو خالق الإنسان وهو أعلم بتركيبته الفطرية. ولأنه خلق الإنسان للآخرة، فقد فصّل منهج الإسلام على مقاس فطرته لتتحقق له السعادة في الدارين. ولهذا لا يجد الإنسان في تعاليم الإسلام وحقائقه شيئاً يخالف منطق العقل أو حقيقة العلم، أو شيئاً فيه يقول ليته لم يكن، أو شيئاً لم يكن فيه يقول ليته كان.

167. الدين يحيى بحياة أتباعه

أعتقد أنّ تاريخ المسلمين القديم والمعاصر يؤكد لنا حقيقة مهمة لا مجال للمجادلة فيها، وهي أنّ الدين يحيا بحياة أتباعه ويموت بموت أتباعه. ذلك لأنّ الدين في مفهومه الجوهري منظومة عقائدية وقيمية

وتشريعية تعمل في حياة الإنسان من خلال الإنسان نفسه. إنّ الإسلام الذي كان طاقة دافعة وقوة فاعلة وحيوية متدفقة في حس الإنسان المسلم الأول، فاستطاع بذلك أن ينتشر في الأرض حاملاً لواء العلم والنور والهداية والسلام، صار سبباً في الضعف وعلة للتخلف وداعية للكسل والفشل في حس كثير من المسلمين في العصور المتأخرة، بفعل الجهل بحقائقه وممارسة مبادئه ونشدان غاياته، حتى صار الإنسان المسلم المعاصر غريباً عن منهج الإسلام وصار الإسلام غريباً عنه! إن حياة العقيدة وموتها وثيقة الصلة جدّاً بالإنسان، ولذلك قيل «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

168. الافتخار بالبطل

الناس أبداً تفخر بالبطل الذي يقف في وجه الطغيان والاستبداد. غير أنها تتخلى عنه أحوج ما يكون إليها، وذلك حين يُعتقل أو حين يُطارَد أو حين يُشرّد! يبدو الأمر مفارقة مثيرة للانتباه، إلا أنك إذا نظرتَ تجد أنّ ذلك الفخر والابتهاج منبعه أنه يُشبع في العامة حاجة نفسية عميقة الجذور فيهم، إنها الحاجة إلى الشعور بالقوة والشجاعة، الحاجة إلى الشعور بالقدرة على المواجهة! فكأن الإنسان البطل يحقق لهم ما يريدونه وينشدونه، أي أنه انعكاس لنزعاتهم النفسية الراسخة. لكن؛ لما كان جمهور الناس يعيشون بطباعهم لا بعقولهم، وبأوهامهم لا بحقائقهم، فإنهم لا يجدون مفراً من التخلي عن البطل عندما يحق الحق، وأنّى لهم بالدفاع عنه والوقوف بجانبه وتقديم النصرة له، وهم أساساً خنعوا للطغيان وخضعوا للاستبداد، ورضوا بالعيش في كنفه أذلة مهانين، رغم تجرعهم مرارة المأساة، وتكبّهم ضغوط المعاناة!

169. الرؤية التوحيدية في الإسلام

التوحيد الإسلامي يمنح المؤمن رؤية تفسيرية تركيبية. عكس الشرك الإلحادي فهو يمنح الملحد رؤية تفسيرية اختزالية. فالمؤمن يقرأ المعطيات المختلفة في إطار متعدد الأبعاد، فتنسجم في عقله، عكس الملحد فهو بحكم قراءته ذات البُعد الواحد هو البُعد المادي الدنيوي، فإن فهمه للمعطيات يكون مهترئاً ومضطرباً. وهذا يُحرّكك لفهم جانب صغير من أسرار النظم القرآني في طرح موضوعاته المختلفة، فبينما تراه يتحدث مثلاً عن العبادة إذا به ينتقل بك إلى التاريخ أو الكون أو الآخرة. وذلك لتعزيز تلك الرؤية المركبة لدى المؤمن. وسر ذلك، أن الوجود في الرؤية التوحيدية متعدد الأبعاد والمراتب، ومع ذلك، فهو متلاحم ومتماسك لا انفصال فيه ولا ثغرات، بحكم أنه مخلوق بالحق وللحق، عكس الرؤية الإلحادية للوجود التي تراه أحادي البُعد والمرتبة، ما يجعل الملحد ينظر إليه على أنه شذرات متناثرة منفصل بعضها عن بعض.

170. عناصر اختيار شريك الزواج

قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم: ﴿إذا جاءكم مَن ترضون دينه وخلقه فزوجوه﴾. وقوله أيضاً: ﴿فاظفر بذات الدين تربت يداك﴾. هذا التوجيه النبوي ليس فيه دعوة لإهمال اعتبار عناصر أخرى مثل الجمال، سمعة الأهل، البيئة الحاضنة، المستوى العقلي، المستوى المادي. فالتركيز على الدين جاء لأنه عصمة من بغي أحد الطرفين على الآخر، ولأنه عامل قوي في توحيد الهدف الأعلى بين الزوجين وإنشاء دافعية التعاون بينهما. إن من المهم أن يفهم الشباب، أن الإنسان فيه نزعات وشهوات، والإسلام لم يأت لاغتيالها بدعوى الاهتمام بالآخرة، بل جاء لتهذيبها وفسح المجال لها للعمل والنماء في إطار نظيف ومقدس ومسؤول، ولأجل ذلك أباح الطلاق حين تستحيل الحياة الزوجية بين الطرفين، لأنه يعلم أن الحياة القلقة والمضطربة تؤثر بشكل سلبي على نفسية وعقلية الإنسان، ومن ثم لا يستطيع القيام بواجباته الشرعية.

171. الرؤية التوحيدية في الإسلام

سرّ العبودية وجُماعها هو الشكر: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ13]. وأساس الشكر وبناؤه معرفة النعم: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل18]. وليس الشكر مجرد مقال اللسان أو اعتقاد الجنان، بل هو أيضاً ممارسة بالأركان. أي إنّه سلوك عملي في واقع الحياة. كما أنّه ليس مجرد سلوك خاص بالعلاقة بين العبد وربّه، بل هو أيضاً سلوك يشمل نشاطات الحياة كلّها. ألا ترى كيف وردت آية الشكر الآنفة المقررة بأن قلّة قليلة من العباد هم الشاكرون حقاً، في معرض الحديث عن مظاهر حضارة النبي سليمان ﷺ وجمالياتها الرائعة! وأيضاً ألا ترى كيف جزم إبليس اللعين بأن لا يكون كثير من الناس شاكرين، في معرض بيانه أنّه لن يفتأ يصدهم عن سبل الهدى وممارسة تعاليم الشريعة في حياتهم: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:17]. وإنما كان الشكر سر العبودية، لأنه في حقيقته الاعتراف بوجود الله تعالى، وكماله وعظمته، وأنه صاحب النِّعم والآلاء والخيرات، وهو الذي يسرها للعبد وسخرها له، وبالتوازي مع هذا، فالشكر اعتراف بعجز الإنسان وقصوره وقلة حيلته، ومن ثم استسلامه لخالقه.

172. شعار "جسدي ملك لي"

أحد شعار الجاهليات في العصر الحديث؛ شعار (جسدي ملك لي)! لكن ما هي مضامين هذا الشعار؟ هذا الشعار يعني أن النسوية قامت بنزع القيمة، والمعنى، والقداسة عن جسدها، وتحويله إلى شيء مادي بلا أبعاد متجاوزة ولا قيم متعالية، أي إنها تتعامل مع جسدها على أنه ذاتها النهائية ولا وجود لعنصر آخر في تركيبة الذات! وإذا كان هذا أحد تضمينات هذا الشعار، فلماذا تنزعج الجاهلية من التحرش الجنسي؟! أليس الأمر كله يدور في إطار مادي، ونفعي، وفي إطار اللذة والمتعة! فعملية الاحتجاج تتضمن أن هذه المتحَرَش بها لا تنظر لجسدها على أنه ذاتها النهائية باعتباره شيئاً مادياً، بل باعتبار أن هذا الجسد أحد مكونات ذاتها المركبة، ومن ثم، فهي تنظر لنفسها على أنها قيمة، ومعنى، ومعطى مقدس، تستحق التقدير والاحترام! لكن، يحق لنا أن نتساءل عن مصدر النسوية في إضفاء القيمة والمعنى على ذاتها بعد أن فصلت نفسها عن الإله الخالق! هذه ليست دعوة للتحرش بالنساء، أو مصادقة على هذا الفعل الشنيع، وإنما تنبيه على بعض التناقضات!

173. المقصود النهائية للعلمانية

المقصود النهائي للعلماني هو أن الله خلق الإنسان عبثاً، وتركه سدى مهملاً! ولما كان هذا القول كفراً وفرية عظيمة على الرب سبحانه، تولى جل شأنه بنفسه نفي ذلك بوضوح فقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾. [المؤمنون/ 115] وقال: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾. [القيامة/ 36] فالآية الأولى نفت أن يكون الله سبحانه قد خلق الإنسان عبثاً أي لغير غاية ولا مقصد، لأن ذلك ينافي كماله سبحانه وعظمته. والآية الثانية نفت أن يترك الله تعالى الإنسان بغير شريعة فيها أمر ونهي، أو أن يتركه بلا بعث بعد الموت للحساب والجزاء، لأن ذلك ينافي كماله سبحانه وعظمته. فكما ترى، فالأمران متلازمان، فكل من رفض الشريعة الإلهية، يلزمه القول بعبثية خلق الإنسان، ونفي البعث والحساب بعد الموت، إذ لو أثبت القصدية في الخلق، والجزاء بعد الموت، إذن للزمه القول بالشريعة، ولهذا لا يمكن أن يستقيم للعلماني قوله بالإيمان بالله تعالى، وفي نفس الوقت رفضه للشريعة!

174. حقيقة المطالبة بالشريعة

المسلم لا يدعو للعودة إلى الإسلام وتحكيم الشريعة على مجالات الحياة ونشاطاتها المختلفة لتحقيق النهضة المادية والازدهار العمراني! إنه لا يفعل ذلك إلا حين تكون مفاهيم العقيدة ضبابية في عقله، وإلا حين يكون متشبعاً بالمفاهيم العلمانية والرؤية المادية! ذلك لأن العودة إلى الإسلام فريضة واجبة وتحكيم

الشريعة والتحاكم إليها فريضة محتمة، بغض النظر عن أي شيء آخر يتعلق بالحضارة والعمران والازدهار والفخامة المادية، علماً أن الالتزام بمنظومة الإسلام، ينتج عنها ولابد، نهضة العقل والأخلاق، نهضة سلطان التوحيد والإيمان، ثم تأتي بعدُ النهضة المادية بحسب الجهد المبذول والوسائل المتاحة والإمكانيات المتوفرة، فالله سبحانه قد وضع لحياة البشرية سنناً صارمة تؤدي إلى نتائجها ولابد، إن خيراً وإن شراً، إن صلاحاً وإن فساداً. فالذين يطرحون سؤال (لماذا حقق الغرب نهضته بدون الله؟)، سؤال يبرهن مدى جهلهم بالله تعالى، ومدى غفلتهم عن حقيقة الواقع القائم! وعلى كل حال؛ عليهم أن يحدثونا قليلاً عن هذه النهضة كيف كانت، وهي باعتراف التاريخ كانت عن طريق التدمير والنهب ولا تزال كذلك! وعليهم أن يحدثونا قليلاً عن المشاكل العويصة التي نتجت عن هذه النهضة! وهي باعتراف الواقع أزمات متراكمة حالكة! وعليهم أن يحدثونا قليلاً عن المستقبل المنتظر لها؟ وهو باعتراف دراساتهم هاوية مرعبة!

175. الهدى والسعادة في اتباع الوحي

قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه/123]. هذه الآية تحمل تقريراً ربانيّاً يؤكد على أنّ الالتزام بتعاليم الوحي في نشاطات الفكر والواقع، وفي جوانب الحياة الخاصة والعامة، يحقق الهداية والسعادة والاستقرار، كما أنّ الابتعاد عن هذه التعاليم ورفضها يكون أقوى سبب في الضلال والشقاء والاضطراب. وهذه الحقيقة مرتبطة بأمرين اثنين: (**1**)، أن الله سبحانه هو الذي خلق الإنسان، ولهذا فهو وحده سبحانه أعلم وأقدر على وضع منهج الحياة الكفيل بتحقيق التوازن والطمأنينة والاستقرار والسعادة للإنسان. (**2**)، أن الله سبحانه لم يخلق الإنسان للدنيا والفناء، بل خلقه للآخرة والبقاء. فلا جرم أن كان سبحانه وحده أعلم بما يحقق الفوز والفلاح له في عالم الآخرة الأبدي، إذ ما يصلح وما لا يصلح غيب، ولا يمكن إدراكه بمجرد العقل والتأمل، ولذلك أنزل سبحانه الوحي لتحقيق تلك الغاية المقدسة. وانظر في تاريخ الأمم والحضارات والشعوب منذ كانت البشرية وإلى يومنا هذا، هل تجد أمة نبذت النبوة وتركت الوحي فأدركت الهدى والسعادة! هذا لم يكن ولا يكون أبداً، لأن الأمة التي لا تتبع منهج الوحي لابد أن تتبع منهجاً آخر في الفكر والسلوك والقوانين، يضعه لها نخبة من أبنائها المفكرين وأصحاب السياسة، بحسب ما هيأته لهم عقولهم وتجاربهم، وما ترسب في نفوسهم، وما تحدده طبيعة مجتمعاتهم!

176. لماذا لم أتزوج؟

الزواج في حياة الإنسان مثل أي شيء آخر، كالعمر والمرض والموت والإنجاب، هو مقدر تقديراً ربانياً. ونحن المسلمون في عقيدتنا أن ما سبق به القدر سيكون. هذا يعني أن من قُدر لها الزواج ستتزوج حتماً ولو بعد حين، أما من لم يقدر لها الزواج فلن تتزوج ولو كانت فائقة الحسن والجمال، وفي منتهى الاستقامة والأخلاق. كما أن عدم الزواج ابتلاء مثل أي ابتلاء آخر يبتلى به الناس، كالفقر والمرض والعقم، وغير ذلك. والمسلم مع الابتلاءات الواجب عليه هو الصبر وحسن الظن بالله تعالى، فكم من حرمان يكون في حقيقته نعمة، كأن يعلم الله تعالى أن هذا الشيء سيكون فتنة لصاحبه، أو كأن يجعل الله تعالى هذا الحرمان سبباً لدخول الجنة والرفعة في درجاتها. نعم، ضغط الشهوة الجنسية، الفراغ العاطفي، الشوق للأسرة، كل هذا محترم، فهو حق شرعي وفطري لكل شاب وفتاة.. لكن، مع ذلك، فهذا الضغط الشديد ليس مبرراً للسقوط في حمأة الانحراف الوبيئة، كما أنه ليس مبرراً للسقوط في حمأة سوء الظن بالله تعالى. الأمر هنا، مثل الفقر مثلاً، فكلنا يحب معيشة جيدة مرفهة، لكن هذه الرغبة ليست مبرراً للسرقة والارتشاء، أو لعمل أعمال محظورة شرعاً لكي نحقق الغنى بسرعة. المعصية تظل معصية دائماً.

177. الإسلام والرق

لماذا لم يحرم الإسلام الرق؟ فالجواب هو أننا بذلك تطالب الإسلام _في إطار السياق التاريخي لقضية العبيد والإماء، فالإسلام لم يخترع وينشئ طبقة العبيد والإماء_ بالموافقة على الفوضى الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية! فقد جاء الإسلام وكانت حقوق العبيد والإماء مهضومة، بل لم يكن أحد يعترف بهم أصلاً، فاعترف هو بهم اعترافاً كاملاً، غير أنه كان بين خيارين، فإما أن يطالب أتباعه بتحرير العبيد والإماء، والنتيجة المنطقية لذلك هي الفوضى العارمة، لأن هؤلاء العبيد والإماء _ولم تكن أعدادهم قليلة_ سيجدون أنفسهم فجأة بلا مأوى ولا طعام ولا شراب، فما العمل؟ أكيد سيتجهون إلى الطرق المحرمة ليكسبوا رزقهم، وسيتجهون إلى الطرق المحرمة لإشباع غرائزهم الجنسية، وهنا سيدفع المجتمع الإسلامي ثمناً باهظاً من وحدته وتماسكه وفضيلته. وإما أن يعلن الإسلام أن العبيد والإماء لهم حق الحماية والرعاية، وأنهم مسؤولون ومكلفون شرعاً، ثم يحث أتباعه على تحرير العبيد والإماء، وهذا هو ما فعله، وكانت النتيجة هي حماية المجتمع من الفوضى الاقتصادية والأخلاقية. ولهذا يمكن أن نقرر بيقين أن العبيد والإماء لم يشعروا بإنسانيتهم رغم العبودية إلا في الإسلام.

178. الدولة العلمانية والإسلام

الدولة العلمانية لا تستطيع سوى أن تعمل بكل قوة على إنتاج مواطنين علمانيين، لهم رؤية وجودية علمانية، ولهم قيم أخلاقية علمانية، ولهم أحلام حياتية علمانية! وهذه كلها تكون مطبوعة بطابع الانفصال عن الله سبحانه والحياة الآخرة، وعدم اعتبار وحيه ذا صلاحية لتأطير الحياة وتنظيم الواقع! ولهذا؛ فالعلمانية لا يمكن أن تكون محايدة كما يروج لذلك العلمانيون، إذ إن حرص العلمانية على محاصرة الشريعة في أضيق نطاق ممكن لا يمكن اعتباره حياداً، بل عملاً صارخاً ضد الإسلام، وحكماً واضحاً بتجريم شريعته. ولهذا فهذه الممارسة العلمانية تتضمن فكرة كامنة حول الشريعة، وهي أن الإسلام قاصر عن تنظيم وتدبير الحياة في العصر الحاضر، بل إن محاولة الالتزام به في الحياة تعني فتح أبواب واسعة من الضرر، فكيف يقال بأن العلمانية محايدة! ولأجل هذا، من ينظر في تاريخ العلمانية في العالم الإسلامي يجد أنها بدأت بخطوات قليلة، ثم أخذت في التكاثر والاتساع والتغول، حتى صرنا اليوم نشهد كيف تتعمد العلمانية العربية إعلان رفض نصوص أحكام شرعية صريحة، وربما قد يصل الأمر في المستقبل القريب إلى ممارستها الحصار الشامل لكل ما هو إسلامي لخنق الإسلام في نفوس الشباب المسلم! لأن حقيقة العلمانية لا يمكنها أن تعيش مع الإسلام، بل إما أن تحتويه ويخضع لها فيكون إسلاماً بلا إسلام، وإما المواجهة والملاحقة والحصار!

179. الله تعالى أساس العقيدة الإسلامية

أساس نظام العقائد في القرآن هو: الله ﷻ . هذا الأساس شيّده القرآن على ركيزتين: **الله ﷻ ضرورة ماديّة**. لحفظ نظام الحياة والوجود: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ﴾ [فاطر:41]. **الله ﷻ ضرورة معنويّة**. لحفظ نظام الروح والمجتمع: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:31]. وقد بنى الضرورة الأولى أي الماديّة لوجود الله تعالى على دليلين: **دليل الوجود**. أي وجود الوجود يقتضي سبباً أوّلاً بحكم المنطق العقلي والعلمي، وإلا انهار النظام العقلي والمنهج العلمي: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:10]. **دليل الشهود**. أي الإبداع في الوجود بمختلف مستوياته يقتضي مُبدعاً متجاوزاً يتصف بشكل مطلق بكل شروط الإبداع: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:13]. وبنى الضرورة الثانيّة أي المعنويّة لوجود الله تعالى على ثلاثة أدلة. **دليل الانسجام**. أي إنشاء علاقة وطيدة ومتناغمة بين العقل المؤمن ومعطيات الحقائق الوجوديّة. على عكس العقل الملحد أو المشرك. **دليل الانفتاح**. أي فسح مجالات أرحب للعقل لتبصّر معطيات وجوديّة جديدة وفائقة. على عكس الإلحاد أو الشرك الذين يحبسانه في مجال معرفي ضيّق.

دليل الطمأنينة. أي تحقيق التوازن النفسي بين الغرائز الفطريّة والأشواق الروحيّة. على عكس الإلحاد أو الشرك، اللذين يقذفان بالإنسان في هوّة العدميّة والعبثيّة.

180. طبيعة الشريعة الإسلامية

مفهوم الشريعة يعني المنظومة ذات الأبعاد المتعددة التي حدّد القرآن والسنة معالمها وضوابطها. هذه التعدديّة في جوانب الشريعة الإسلاميّة تشمل الجوانب التاليّة: **التشريع العقائدي**، أي ما شرّعه الله تعالى ورسوله الكريم مما يجب على المسلم اعتقاده بما يتعلّق بالله تعالى والأنبياء والملائكة وعالم البرزخ والحشر والجنة والنار. **التشريع الأخلاقي**، أي ما شرّعه الله ورسوله الكريم لتحديد ضوابط الأخلاق الجميلة التي يجب على المسلم التحلّي بها والتخلي عن أضدادها. **التشريع العبادي**، أي ما شرّعه الله تعالى ورسوله الكريم لبيان الطقوس التعبديّة التي يجب على المسلم التعبد والتقرب بها إلى الله سبحانه. **التشريع الفقهي**، أي ما شرّعه الله تعالى ورسوله الكريم لتنظيم حياة الإنسان الاجتماعية بمختلف نشاطاتها، وكذا علاقاته مع الآخر غير المسلم. ومرتكز هذه الجوانب يرجع إلى: **الأصل الأول**، الله سبحانه له وحده حق وضع المنهج الذي يجب التزامه، إذ هو الخالق وهو أعلم بما خلق: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام:102]. **الأصل الثاني**، الإنسان مُكلف بمهمّة معيّنة في الحياة خلقه الله تعالى لها، إذ إنّ الخالق تعالى لم يخلقه عبثاً ولم يتركه هملاً: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]. **الأصل الثالث**، مصير الإنسان في الآخرة مرتبط بمسؤوليّته في الدنيا، إذ إنّ الدنيا دار ابتلاء وفناء والآخرة دار جزاء وبقاء: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم:11].

181. مميزات الشريعة الإسلامية

مميزات الشريعة الإسلامية: **الأولى، أنّها ربانيّة**. بحكم أنّ الله تعالى هو من حدّدها وفصّلها: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:3]. **الثانيّة، أنّها فطريّة**. بحكم أنّ الله تعالى لا يشرّع إلا ما يناسب فطرة الإنسان: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:30]. **الثالثة، أنّها شموليّة**. بحكم أنّ الله تعالى شكّل الإسلام ليكون منهج حياة شامل ومتكامل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:89]. وهذا مرتبط بالغايات الكبرى للشريعة وهي: **التوحيد الرباني**، تحقيق التوحيد الخالص: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد:19]. **التهذيب النفسي**، تحقيق التزكيّة الروحيّة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس:9].

التراحم الاجتماعي، تحقيق الوحدة الاجتماعيّة: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:2]. **السمو المصيري**، تحقيق السعادة الأخرويّة: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب:44]. فكل تعاليم الشريعة، ما فهمتَ منها وما لم تفهم، تدور في هذا الفضاءات الأربعة. ومهما أُشكل عليك شيء من تلك التعاليم والتقريرات والمبادئ، فرده إلى هذه الأصول، تنحل عنك جميع الإشكاليات بحول الله تعالى.

182. قيام الساعة

القيامة _كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم_ لا تقوم إلا على شرار الخلق، وذلك يعني أنّ بين يديَّ الساعة ستنفجر تهاويل الفجور والفساد وفظائع الفتن والطغيان. والسر في ذلك يرجع إلى أنّ الله تعالى بنى هذا الكون بالحق، كما قال سبحانه: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأحقاف:3]، وهذا الحق جوهره وأساسه هو كلمة التوحيد العظيمة (لا إله إلا الله) التي تعني في تحليل دلالاتها: لا معبود بحق إلا الله تبارك شأنه. وبهذا فسر أهل العلم بالتأويل كعلي بن أبي طالب وابن عباس وقتادة رضوان الله عليهم، قول الله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد:14]. فالحق _الذي هو التوحيد كما يريده الله تعالى واتباع تعاليم شريعته في نشاطات الحياة_ هو نظام الكون والحياة، فإذا ارتفع الحق من بين الناس واتبعوا الأهواء وانغمسوا في الطغيان والفجور العقائدي والأخلاقي والتشريعي، تفككت إنسانيّة الإنسان، ومن ثم لا يعود لبقاء هذا العالم أي معنى، إذ هو في الأصل مسخر للإنسان للقيام بوظيفة العبودية، ولهذا يأذن الله تعالى بدمار الكون وخرابه، والانتقال إلى عالم الأبدية.

183. الاتباع والإخلاص

ما زال الله تعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم يوصي العبدَ المؤمن بالإخلاص على مستوى الباطن، والاتباع للمنهج الربّاني على مستوى الظاهر، فلا يُقبل عملُ ظاهر إلا بنيّة خالصة، ولا تنفع نيّة خالصة إلا بالتزام شرعي ظاهر. وهذا هو جوهر قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:31]. وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿لا يؤمن أحدكم حتّى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به﴾. هذا الاتباع والإخلاص الذي يأمرنا به الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، يتمثّل في مرتبتي التسليم الواجب للوحي، وهما: **(الأولى)** وهي خاصة بالتسليم العملي، أي إنّ المسلم يُسلّم للشرع في أحكامه وضوابطه، ويلتزمها في نشاطات حياته وعلاقاته، حتّى بدون فقه لها. **(الثانية)** وهي خاصة بالتسليم العلمي، أي إنّ المسلم يُسلّم للشرع في أحكامه وعقائده، ويلتزمها في

نشاطات حياته وعلاقاته، بعلم وفهم وبصيرة. وهذا التسليم بمرتبتيه وثيق الصلة بحقيقة كون نهاية العقول بداية الشرائع.

184. إما الإيمان وإما الخسران

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [العنكبوت:52]. إنها معادلة منطقية وضروريّة: الإيمان بالباطل، أي إنكار وجود الله تعالى أو الشرك به نتيجته الحتمية هي الخسران. وهو خسران متعدد الأوجه: **خسران عقلي**، لأنّ منطق العقل يوجب الايمان بوجود إله خالق، فلا يمكن للعقل أن ينفي قانون السببيّة، وهذا من أبرز حتميّة إيمان العقل بالإله الخالق. كما يوجب إفراده بالربوبية والألوهية وعدم الإشراك به، إذ إن الإيمان بالخالق يعني أنّ العقل يوجب كونه خالقاً كمالاً كمالاً لا متناهياً، فإذا أشرك به فهذا تناقض إذ الشرك يعني أن الإله ناقص. **خسران نفسي**، لأنّ الإيمان بالله تعالى بشكل صحيح يمنح صاحبه التوازن النفسي ويساعده على تثوير طاقاته كاملة للعمل بشكل متناسق في واقع الحياة ونشاطاتها. وعندما يؤمن الإنسان بالباطل يقع في قبضة الاحساس بالقلق، والتناقض، والخوف من المجهول. فلا يشعر لنفسه بالقيمة ولا للحياة من حوله بالمعنى، بل يرى كل شيء عبثاً وكل شيء مأساة. **خسران اجتماعي**، لأنه لا يوجد مجتمع إلا وهو يحتاج لرؤية وجودية أو إيديولوجيا عامة، تفسر له وجود الإنسان والكون والحياة، وتحدد له معايير الصواب والخطأ في الأفكار والسلوك والنشاط، فإذا لم يكن الله تعالى أساس هذه الرؤية الوجودية وما أنزل من الوحي والتشريع، لا جرم أن يكون هذا المجتمع منغمساً في الظلمات الفكرية، والظلامات السلوكية، وعن هذا ينتج التفكك والتمزق والاضطراب في نسيج هذا المجتمع. **خسران مصيري**، لأنه لا يوجد مخلوق واحد يمكنه أن ينفي الحياة بعد الموت سوى بالجدل الفارغ، إذ هي مطلب نفسي وعقلي وأخلاقي. هناك أحلام واسعة، وآمال عريضة، ورغبة عارمة في السعادة والرفاه والعدل، وشوق متدفق للمعرفة المتواصلة، كل هذا يبحث عنه الإنسان ويحرص عليه، ولكن تذكره بأنّ كل ذلك سينتهي بالموت، يصيبه بخيبة أمل كبيرة ومأساة عنيفة، ويضغط عليه بشكل قاهر! هذه الحقائق تجعلنا نؤكد بأنّ الإيمان الحقيقي بالله تعالى والالتزام بمقتضياته يمنح الإنسان الطمأنينة والسلام الداخلي والتوازن النفسي. وفي المقابل لا يوجد ملحد واحد صادق الإلحاد إلا وهو يفكر في الانتحار، لأنه يقع في تناقض عنيف بين رغبات قوية وأشواق واسعة وبين اعتقاد أن الموت هو النهاية!

185. المخذلون لأهل الحق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لا يَزالُ مِن أُمَّتي أُمَّةٌ قائِمَةٌ بأَمْرِ اللَّهِ، لا يَضُرُّهُمْ مَن خَذَلَهُمْ، ولا مَن خالَفَهُمْ، حتَّى يَأْتِيَهُمْ أمْرُ اللَّهِ وهُمْ علَى ذلكَ﴾. الحديث يتحدث عن طائفة من هذه الأمة المباركة حبسوا حياتهم وغاياتهم وطموحاتهم على الذب عن الإسلام، ضد الأفكار الهدامة، والشعارات السائلة، والأطروحات المطاطة. إلى هنا يبدو الأمر طبيعي جدّاً، لكن، تأمل كلمة (خذلهم، خالفهم)، تجد أن النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم أشار بما أوحى الله إليه من علم الغيب، إلى أن هذه الطائفة المجاهدة، سواء في معركة الأفكار أم في معركة القتال، ستعاني ليس فقط من أعداء الحق والإسلام الصرحاء، أي من الكفار والمشركين والملاحدة المكشوفين، بل ستعاني كذلك من قوم هم من هذه الأمة، يُحسبون عليها، وينتسبون إليها. إنهم المخذّلون المخالفون! وهم أشكال وألوان، القاسم المشترك بينهم هو تمييع العقيدة الإيمانية، وتسييل المبادئ الإسلامية، وتزييف الأحكام التشريعية! يخذلون هذه الطائفة بالطعن فيهم، وبالتشويش عليهم، وبالمناضلة عن المرتدين والملاحدة المتخفين، تحت شعارات برّاقة، وبحشد من المغالطات الخادعة، مناقضين بذلك مقاصد النبوات، وسيرورة التاريخ، وسنن الله في الوجود!

186. معنى الجاهلية

الجاهلية ليس مرحلة تاريخية كانت وانتهت، بل هي وصف يكون حين تكون سماته، وحالة تكون حين تتحقق شروطها، وقد يوصف بها الفرد، كما قد يوصف بها المجتمع. سيدنا الصحابي الجليل أبا ذر ﷺ عيّر مرة سيدنا الصحابي الجليل بلالاً ﷺ بأمه السوداء، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يا أبا ذر، أنت امرؤ فيك جاهلية﴾. فهذا ينبّهك على أننا يمكن تقسيم معنى الجاهلية إلى (جاهلية جزئية) وهي التي قد يتصف بها بعض الأفراد، إما غالباً وإما أحياناً، مما يتلبسون به من الأخلاق الفاسقة والمذاهب المنحرفة، وإلى (جاهلية شاملة) وهي التي قد يتصف بها المجتمع، وذلك حين يرفضون شريعة الله تعالى، ويتحاكمون إلى شرائع الطاغوت، ويتعاملون فيما بينهم بمبادئ الفجور، وقيم الفساد. فالذين يغضبون ويرفضون وصف المجتمعات القائمة اليوم بالجاهلية، يجهلون أن وصف الجاهلية يوجد بوجود محدداته، بغض النظر عن الزمان والمكان. فحبذا لو تقوم بجولة في بلاد (العالم الإسلامي) ثم أخبرنا ماذا وجدت: هل وجدت حكم الشريعة قائماً؟ هل وجدت الأخلاق الإسلامية بارزة؟ وهذا القرآن استعمل مصطلح الجاهلية في موارد بارزة اليوم في هذه المجتمعات، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:33]، واليوم عامة المسلمات متبرجات! وكما في قوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة:50]، واليوم لا يوجد بلد مسلم يحكم بشرع الله! وهذا لا يعني أن نقول بتكفير المجتمعات

المسلمة، فالتكفير حكم شرعي له شروط وموانع، أما حكم الجاهلية فهو وصف لحال قائمة، تلبّس بها هذا الفرد أو ذاك المجتمع، كما ذكرت في الجزئية والشاملة، ولهذا نقول قاعدة وهي: كل حكم تكفير يكون وصفاً بالجاهلية، وليس كل وصف بالجاهلية يكون حكماً بالتكفير. والله أعلم

187. بين الأسباب والقدر

وراء الأسباب المفعولة والرغبات الحريصة قدر أعلى يدبر الأمور ويدير الشؤون على منهج فوق مدارك العقول ورغبات النفوس ودائرة الأسباب. فلا تظنن أن اتخاذ الأسباب كفيل وحده بتحقيق مراداتك، فأنت أهون من أن يتحقق لك كل ما تريد، ولا تحسبن أن استقامتك تفرش حياتك بالورود والأزاهير، فلن يبلغ شأنك في الصلاح عشر معشار صلاح الأنبياء والصدّيقين، وإنما واجب الإيمان ومقتضى العبودية أن تفعل وأنت وثيق الصلة بالقدر، فإن تيسر لك ما تريد فهي نعمة حقها الشكر، وإن كانت الأخرى فهو ابتلاء فرضه الصبر. وعزاؤك أمور، منها أن تتذكر أن الله تبارك شأنه له الحكمة الفائقة والإرادة الطليقة، يدبر شؤون الخلق بما يناسب نظام الحكمة الموضوع للدنيا والآخرة، قد تدرك بعض العقول بعض معانيها. ومنها أن تتذكر أن الدنيا مهما طالت فهي إلى زوال وفناء، وانما حظك منها مدة حياتك فيها، ولذلك فهي ليست موضوعة لتكون عالم هناء ولا أنت موجود فيها لتعيش فيها بهناء. ومنها أن تتذكر أن نعمة التوحيد والإسلام التي حباك الله بها أعظم وأجل من كل النعم الدنيوية والشهوات النفسية، فهناك مليارات يعيشون في ظلمات الوثنية والمادية وعبادة الهوى. ومنها أن تتذكر أن نقطة من نعيم الجنة أكبر وأعظم من نعيم الدنيا كله منذ كانت والى ان تفنى، فإذا دخلت الجنة نسيت حرمان الدنيا وكان لك فيها ما يعجز الآن خيالك عن تصوره.

188. لماذا لا يرفع الله عن الأمة البلاء؟

لماذا ندعو كثيراً أن يرفع الله عن الأمة ما هي فيه من ذل وهوان وظلم من الحكومات والدول الغربية، ألا يوجد فينا صالحون يستجاب لهم! الواقع أن الأمر ليس كذلك، فالدعاء لكي يستجاب إن على مستوى الفرد وإن على مستوى الأمة لابد من شروط وانتفاء موانع. فعلى مستوى الفرد، فمن يكون غارقاً في المعاصي والمحظورات كيف يستجاب له، كما جاء مثلاً في الحديث، قال: ﴿الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ﴾. وعلى مستوى الأمة، فحين تترك دينها وشريعة ربها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

وتشيع فيها المفاسد والانحرافات، وتنتشر البدع والزندقة، ويعلو سلطان الظلم والطغيان، كيف يستجاب لها بالنصر على أعدائها، كما جاء مثلاً في الحديث، قال: ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ﴾. هل هذا يعني ترك الدعاء للأمة، طبعا لا، فالدعاء عبادة يؤجر عليها المسلم بغض النظر هل يستجاب له أو لاً، وهو المرتبة الدنيا في نصرة الأمة، كما أنه يبقي على جذوة الانتماء لهذه الأمة متوهجة مشتعلة، وأيضاً يحمل بعض المسلمين على التفكر في أسباب عدم الاستجابة، فيراجعون أنفسهم وعيوبهم وأخطاءهم لكيلا يكونوا عنصر ضعف ووهن في كيان الأمة، وكذلك لتفهّم الواقع وسنن الله تعالى في حياة البشرية، فالمسلم ليس واجبا عليه إصلاح الأمة بل القيام بواجباته في حدود استطاعته ودائرة مسؤوليته. والله المستعان

189. تصوير آية لحقيقة القدر

قول الحق تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه/40]، هذه الآية المباركة، فيها تصوير لحقيقة القدر بشكل عجيب بديع! فلك أن تطلق العنان لخيالك وسترى القدر الإلهي كأنه بساط يحمل سيدنا موسى ﷺ إلى غايته! هذه الصورة البديعة كما أنّها تثري الوجدان وتفسح له المجال لتملّي جمال التعبير القرآني، فإنّها تشحن الوعي البصير بالكثير من الدلالات والإيحاءات، تخص طبيعة علاقة القدر الإلهي بالإنسان. (**أولها**) أن هذه العلاقة تفاعلية، لا جبرية مطلقة ولا حرية مطلقة. (**ثانيها**) أن الإنسان في شتى نشاطاته إنما يتحرك في مجال القدر لا يخرج عنه ألبتة. (**ثالثها**) أن علم الله تعالى وقدرته محيطان بكل صغيرة وكبيرة في الوجود. والمسلم حين يستوعب هذه المعاني اللطيفة؛ حينها ستتغير شخصيّته في بُعدها الإدراكي والنفسي والسلوكي، بقدر ما استوعب وفهم. فليت شعري أي أفق يرتقي إليه المؤمن وهو يتفكّر في الكلمة القرآنية!

190. لماذا يرفض الشباب القراءة؟

من مصائب هذا الزمان، أن تجد الشاب المسلم كسولاً للغاية في القراءة والمطالعة ليكوّن قاعدة معرفية لا بأس بها حول الإسلام الذي ينتمي إليه، عقيدة وشريعة وغير ذلك. ثم تجده يدخل بعض الحسابات والمجموعات والقنوات الإلحادية والنصرانية، فتصفعه شبهاتهم، لتكون النتيجة الحتمية لذلك هي دخوله في دوامة حيرة وشكوك. ثم تجده يطرح بعض الأسئلة ذات العلاقة بالعقيدة والتشريع، ومستشكلاً بعض المعطيات في القرآن والسنة، ومعتبراً أن هناك أشياء في الإسلام غير مفهومة عقلاً. ولا يدري

المسكين أن مشكلته الكبرى هي "الجهل" بالديانة التي ينتمي إليها، وأن كل ما يراه مُشكَلاً وغامضا وغير منطقي، قد قُتل بحثا في مئات الصفحات منذ قديم الزمان. مشكلة مثل هذا الشاب أنه جاهل ويرفض رفع الجهل عن نفسه!! فكيف رضي بذلك!! لأنه كسول جداً، ولأنه لا يحب الخير لنفسه، ولأنه جاهل بواقع الحرب الشرسة على الإسلام!! وفوق هذا، هو كذلك، لأن الدين هامشي في تفكيره وقلبه وحياته!! وآية ذلك، أنك تراه يقضي أوقاتاً طويلة في وسائل التواصل، ويتابع منشورات وفيديوهات الملحدين والتافهين وغيرهم، كما أنك تراه حريصاً على تحصيل المقررات الدراسية للنجاح، لكن، بخصوص العلم بالإسلام الذي ينتمي إليه، ولو في الحدود الدنيا التي يرتفع بها الجهل عن المسلم، لا يبالي ويتعلل بضيق الوقت!! هل يستحق هؤلاء الشباب ما يقعون فيها من الشبهات والحيرة والشكوك؟؟ نـعـم، فذلك جزاء الظالمين لأنفسهم برفضهم تعلم دينهم وعقيدتهم وما تعلق بأمتهم.

191. الحق وضرورة القوة

الحق إذا لم تسنده القوة ولم تدعمه العزة المادية لم تلتفت إليه عقول وقلوب أكثر الخلق، لأن الجمهور يربطون بين صحة العقيدة وبين واقع أتباعها العملي، ولهذا، قديماً صحيح أنه كانت بعض الأمم والشعوب تدخل الإسلام بدعوة أفراد أو تجار مسلمين، لكن، لم يكن ذلك منفصلاً عن رؤيتهم لقوة الإسلام الضاربة، وراياته الخفاقة في سماء العالم. وانظر كيف يغتر اليوم كثير من المسلمين بالغرب ويرون صحة ما هو عليه من الأفكار والرؤى والتصورات ومسالك الحياة لمجرد أنهم يروا المستوى المادي والتقني الذي بلغه! (ثانياً) الباطل يستحيل أن يلزم الصمت تجاه الحق، بل مهما أتيحت له الفرصة بضعف الحق وهوان أتباعه، وبامتلاكه هو أسباب القوة والبطش، فلابد من أن يبذل الدم والعرق، ويعطي من نفسه الجهد والسعي للقضاء عليه أو على الأقل محاصرته والتضييق عليه والتحكم عليه، كما سعت قريش قديماً للتفاوض مع النبي ﷺ ليسكت عنهم وليعبد إلههم عاماً ويعبدون إله عاماً، وكما ترى اليوم في البلدان "الإسلامية" لما علت سلطة الباطل "العلمانية" كيف تحرص الحكومات لمحاصرة الإسلام والتضييق عليه بكل ممكن والتحكم عليه إلى أقصى حد ليظل خاضعا لها! ولهذا جاء في الأحاديث أنه لا تترك أمة الأخذ بأسباب القوة وتهجر الجهاد إلا ضربها الله تعالى بالذل والهوان لا يرفعه عنها حتى ترجع إلى دينها، لأن أحد ركائز الإسلام الأخذ بالقوة والسيف. وبهذا تفهم الجريمة العظيمة والموبقة الفظيعة التي يرتكبها هؤلاء "ممن يتسمى بالشيخ، الداعية، المفكر الإسلامي" الذين ينادون بأن الإسلام دين لا دولة، ويرفضون المناداة بتطبيق الشريعة الإلهية، ويروجون لبطلان القول بجهاد الهجوم والطلب!

192. ضريبة التغيير

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْتَلِئَ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا. قَالَ: ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي، أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مَنْ يَمْلَؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا﴾. قف عند قوله "يخرج" فهي كلمة كثيفة المعاني، تشير إلى أن إصلاح وصلاح حال هذه الأمة لن يكون إلا بـ "الخروج" و "المواجهة" و "العرق" و "الدماء". وهذا تماشياً مع قانون "ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة"، وطريق الاسترداد ليس مفروشاً بالورود والأزاهير. فلو لم يسلك جيل الصحابة ثم مَن بعد، سبيل "الخروج" و "المواجهة" و "العرق" و "الدماء"، لما كنا نحن اليوم مسلمين، بل مشركين وثنيين. ولكن، مصيبتنا اليوم أننا جيل "حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ" كما علل رسول الله صلى الله عليه وسلم سر غثائية مسلمي آخر الزمان. ولهذا ما زلنا في كل وقعة عظيمة أنزلها بنا أبناء الزناة العراة، وأحفاد القردة والخنازير، في العراق وسوريا وفلسطين وأفغانستان وغيرها نبكي ونتحسر، ولا يجرؤ قادتنا المعنويون على "الخروج" و "الثبات" لقيادتنا للتحرر والتحرير، ففي جميع الأحوال فإن الجماهير تبع للقادة المشاهير، فإذا لزم هؤلاء البيوت واكتفوا بالكلام، فلا لوم على العوام، إذ كان لابد للجماهير من قادة يوجهونهم في ساحة التحرر والتحرير، ويكونون لهم دعوات تمشي بين أيديهم، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشارك الصحابة في المواقف والجهاد، ويتحمل معهم الأذى والضغوط. حين أراد بنو صهيون احتلال فلسطين قدموا العرق والدماء، وصبروا وثبتوا وثابروا رغم العراقيل حتى انتصروا، ولن تسترد فلسطين إلا بنفس الطريقة التي أخذت بها، ولهذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الملحمة الكبرى قال: ﴿لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ وَرَاءَ الْحَجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ مُخْتَبِئٌ وَرَائِي، تَعَالَ فَاقْتُلْهُ﴾.

193. أسباب حب الله تعالى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أحبوا اللهَ لما يغذوكم به من نعمه﴾. أي لما يرزقكم من النِّعَم. وقد تضمن هذا الحديث الإشارات التالية: **(أولاً)** تقرير إمكانية حب الله تعالى، وأن الحب عنصر مهم في علاقة العبد بخالقه، على عكس ما توهمه البعض من استحالة هذه المحبة. **(ثانياً)** الأمر والحث على حب الله تعالى، فهو سبحانه وحده المستحق للمحبة، لأنه جمع أوصاف الكمال ونعوت الجلال وسمات الجمال. **(ثالثاً)** انبعاث محبة الله في القلب تكون بالتفكر في كمال الله وعظمته، وهذه مرتبة أعلى، وتكون بالتفكر

في نعم الله وأفضاله، وهذه مرتبة أدنى. (**رابعاً**) أهمية التفكر في نعم الله، لأنّها توّسع المدارك العقلية وتعمّق التزكية القلبية، وتصل الوعي والوجدان بالحياة والكون، لأنهما مظاهر لنعم الخالق سبحانه. (**خامساً**) إذا كان العبد يعيش في كل لحظة في نعم لا تُعد ولا تحصى، فالواجب عليه أن يحفظ هذه النعم ويقدّرها ويستثمرها في وظيفته الوجودية المقدسة "عبادة الله". (**سادساً**) من أعظم مداخل دلائل وجود الله تعالى، وتقوية الإيمان وتعزيز اليقين، التفكر في نعم الله تعالى الظاهرة والباطنة، فهو يؤكد على ضرورة الخالق وكماله. والله أعلم.

194. شروط تحرر الأمم

ما علمنا ولا علم التاريخ أن أمة تحررت وحررت بلادها بالكلام والشعارات، بل بالخروج والمقاومة والجهاد والعرق والدماء والتضحيات الجسيمة !! وما علمنا ولا علم التاريخ أن أمة تحررت وحررت بلادها وقد لزم علماؤها ومفكروها وصلحاؤها البيوت، مطالبين الجماهير بالخروج والمواجهة، بل كانوا دائماً في المقدمة!! رأينا هذا مع الصحابة والتابعين، ومع جيل التحرير ضد التتار والصليبيين، كما رأيناه في أوروبا وهي تنشد الانعتاق من قبضة الكنيسة والإقطاع المتغول!! بدون نزول العلماء والمشايخ والدعاة والمفكرين والمشاهير إلى ساحة المواجهة، وبدون أن يعطوا من أنفسهم النموذج والقدوة على الصبر والاحتساب والتضحية، فإن أمد الاستعباد والهوان سيطول!! والله المستعان

195. الولاء والبراء

يقول الحق تعالى عن اليهود وعلاقتهم بالدين الذي جاء به نبيهم موسى عليه السلام: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة/81]. فتأمل كيف أن الله تعالى أثبت أن اتخاذ اليهود الذين يدّعون الإيمان، الكافرين أولياء، يحبونهم ويميلون إليهم، كان ذلك لعدم إيمانهم حقيقة بما أنزل على موسى عليه السلام، إذ لو كانوا مؤمنين حقاً ما اتخذوهم أولياء! ثم بين سبحانه أن هذه المحبة والارتباط النفسي أورث هؤلاء اليهود اتباعَ الكافرين في أنماط حياتهم الفاسقة والمنحرفة واللاهثة وراء الشهوات، فقضية الفسوق والانحراف عن الوحي، وقضية التشبه بالكفار واتخاذهم أولياء، قضيتان تتحركان في إطار التأثر والتأثير، كلاهما يؤثر في بعض، وكلاهما يتأثر ببعض! وها نحن اليوم نرى العلمانيين والحداثيين الذين يدّعون الإسلام يفعلون الشيء نفسه مع الغرب! فهم مع دعوى الإسلام،

يأخذون من الغرب أفكاره وتصوراته، ومعاييره وقواعده، وسلوكياته في نشاطات الحياة وعلاقاتها المختلفة، حتى وصل الأمر بهم لبذل الجهود في محاولة تطويع الإسلام للمنظومة الفكرية الغربية!

196. غاية أعداء هذا الدين

الغاية التي يطمح إليها أعداء هذا الدين هي أن يصير القرآن والسنة، الدين والعقيدة، بما فيها من ثوابت وأركان، وضوابط وأصول، مجالاً للرأي والأخذ والرد، بلا معايير ولا معالم، إلا ما تقرره الأهواء تحت مسمى (عقلي ليس للبيع)، وما تتطلبه خطة الديانة الإبراهيمية، تحت مسمى (كل الطرق تؤدي إلى الله). وهكذا تسقط في حسك أيها المسلم قداسة العقيدة وعزة الإيمان وتميز الإسلام! علماً أن النبوات _خصوصاً النبوة المحمدية_ ما جاءت إلا لتميز الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والتوحيد من الشرك . وأما الله تعالى فقد قال لك واضحة صريحة: ﴿قَد جاءَكُم بَصائِرُ مِن رَبِّكُم فَمَن أَبصَرَ فَلِنَفسِهِ وَمَن عَمِيَ فَعَلَيها وَما أَنا عَلَيكُم بِحَفيظٍ﴾. [الأنعام: 104]، وأما رسول الله ﷺصلى الله عليه وسلمفقد قال: ﴿قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك. مَن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ﴾. ولهذا؛ فالمسلم الذي ينصح لنفسه، يجعل هذه الحقيقة نصب عينيه، ثم لا يبالي بالشعارات المزخرفة، ولا اللفتات المزينة، فالحق حق لا يكون أبداً باطلاً، كما أن الباطل باطل لا يكون أبداً حقاً، وإن عمل المبطلون على التزييف والتلبيس!

197. الظلم ظلمات يوم القيامة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [صحيح مسلم]. وإنما كان الظلم ظلمات يوم القيامة، لأن يوم القيامة تكون الصور والأشكال تبعاً لحقائقها، فلما كان الظلم يسبب للمظلوم همّاً وانقباضاً وحيرة، وكان يشحن نفسيته بالغضب وشعور العجز، لا جرم أن يخوض ظالمه يوم انكشاف الحقائق في الظلمات ليجد الحيرة والهم وشعور اليأس والعجز. إن الذي تعرّض للظلم، كتشويه سمعته، أو إسقاط قيمته، أو أخذ ماله، أو حرمانه من حقوقه، أو تزييف عقله، أو إهانته وتعذيبه، هذا الشخص يدرك جيداً معنى انقلاب الظلم يوم القيامة إلى ظلمات، لا يجد منها الظالم مخرجاً إلا إلى جهنم، ليذوق وبال ظلمه وبغيه. ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول: ﴿اللَّهُم أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ﴾ [سنن أبي داود]. وإنما ينتشر الظلم في الأمم إذا لم يكن لديها وحي إلهي

معصوم، أو كان معها وحي إلهي لكنه محرف، أو كان معها وحي إلهي معصوم لكنها انحرفت عنه، إذ لا يمكن إقامة العدل في علاقة الأفراد فيما بينهم، وفي علاقة الحاكم بالشعب، إلا بالوحي الإلهي الذي يهذب النفس، ويضبط الغرائز، ويرسم طريق الحق، ويعطي كل ذي حق حقه دونما محاباة لأحد على أحد، وأما بدون الوحي الصحيح، فيكون مرجع التعامل بين الأفراد فيما بينهم أو بين الحاكم والشعب، هو الأهواء المنفلتة، والأفكار القاصرة، فينتج بينهم من الظلم بقدر ما يتّبعون من أهوائهم وشهواتهم وآرائهم.

198. نتيجة عدم الإيمان بالآخرة

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ (النمل 4). هذه آية عجيبة! انظر للنتيجة المترتبة على عقيدة (عدم الإيمان بوجود الحياة بعد الموت)، تجد أنها (العمه، الذي يعني الحيرة والضلال والتردد والقلق). وانظر للجاهلية المعاصرة، أفراداً ومجتمعات، تجد هذا المعنى ساطعاً! لقد أنكروا الآخرة أو أفرغوا الإيمان بها من مضمونه وأبعاده، فكانت النتيجة الحتمية هي اللهاث المسعور وراء الشهوات، والتمركز حول الذات، وهذا نتج عنه شيوع الأمراض وانتشار الجرائم وترسخ الطغيان، بالإضافة إلى القلق والتوتر والشعور بالاغتراب والعبثية!! إن عدم الإيمان بالحياة بعد الموت يعني أن كل شيء مباح!! ولهذا ترى الجاهليين اليوم يتعاملون على أساس أن كل شيء مباح دون حد أو قيد إلا ما يعود على النظام السياسي العام بالنقض، فقد فتحوا أبواب الجنس بلا ضوابط، وفتحوا أبواب التجارة في كل شيء بلا قيود، وفتحوا أبواب نهب خيرات الشعوب المستضعفة بلا رادع، وفتحوا أبواب استنزاف الأرض بلا نهاية!!

199. إطار رؤية المسلم للواقع والتاريخ

يمكن للمسلم أن يستوعب ما يحدث له وما يحدث في الواقع الاجتماعي والبشري، خصوصاً الأحداث المؤلمة والظروف الضاغطة والعراقيل الخانقة، فهو يمكن أن يستوعب وجود الألم والظلم، ووجود المرض والفقر، ووجود الشقاء والبؤس والحروب، يمكنه استيعاب ذلك في الإطار الذي تحدده له عقيدته ورؤيته الوجودية، وأصول مكوناته وهي: (أولاً) هناك سنن ربانية حاكمة على الحياة البشرية وضابطة لنشاطاتها وصارمة ومطردة في نتائجها، في الخير والشر، السعادة والمأساة، الاستقامة والانحراف، الاستقرار والاضطراب، كما أنها لا تحابي أحداً، بل تشمل كل الناس في كل زمان ومكان، وبغض النظر عن إيمانهم أو كفرهم، طاعتهم أو معصيتهم. (ثانياً) الإنسان كائن حر مريد مختار، وهو لذلك كامل المسؤولية عن

تصرفاته ونشاطاته ومواقفه. هذه الحرية والإرادة والفاعلية وثيقة الصلة بالغاية النهائية التي قصدها الله سبحانه من وراء خلق الإنسان في عالم الدنيا، وهي غاية العبودية بمعناها الشمولي المتمركز حول معنى الابتلاء. (ثالثاً) الأحداث والوقائع في عالم الدنيا لا تنتهي فيها بل الدنيا مجرد فصل ضمن رواية كبرى، ومن هنا، فأحداث الدنيا بما فيها من خير وشر، استقامة وانحراف، عدل وظلم، سعادة وشقاء، طاعة ومعصية، هذه كلها تمتد آثارها ومآلاتها إلى ما بعد الموت، وهناك في الآخرة يكون الحساب والجزاء النهائي "الجنة/النار". ضمن هذه العناصر والركائز إذن يستوعب المسلم أحداث الدنيا، الخاصة به والعامة للناس، وفي إطارها يتعامل مع الوقائع المختلفة، ومن ثم يجد التوازن والاستقرار ويجد السكينة والطمأنينة، لأنه يدرك أن هناك أبعاداً تتجاوز الحس المادي، وغايات تتعالى على الإطار المادي، وهذا ما يجعل رؤيته مركبة ذات زوايا مختلفة وامتدادات مختلفة وآفاق فسيحة. وهذا عكس الملحد، فهو ضمن رؤيته الإلحادية التي تؤكد له أن لا إله والحياة مادة، وأن العالم مسطح بلا تركيب ولا أبعاد، وأن هناك عبثية بلا غايات ولا مقاصد، وأن كل شيء نسبي سائل هلامي بلا ثبات ولا معايير مطلقة. ضمن هذه العقيدة المختزلة، لا يمكنه استيعاب ما يحدث ولا فهم دلالاته ولا التعاطي معه في سياق المعنى الإنساني المقدس، كما لا يمكن _نتيجة لذلك_ أن يجد الراحة والاستقرار النفسي والعقلي، لأنه يعيش حالة توتر مفتوح وقلق وجود بلا نهاية !

200. ثمرة كظم الغيظ

قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿من كظم غيظاً وهو قادر على أنْ ينفذه دعاه الله ﷻ على رؤوس الخلائق يخيّره من الحور العين ما شاء﴾ [سنن أبي داود]، لأنه لما كان الغيظ يعني امتلاء النفس بالألم والانقباض وهذا فيه ضغط ومعاناة، ومن ثم تطلب النفس تصريف هذه الشحنات الضاغطة. إلا أنّ المؤمن حين يمسك عن تصريف تلك الشحنات التي عادة تكون لها آثار وعواقب مؤسفة ووخيمة، حين يفعل ذلك احتساباً لله سبحانه، لا عجب أن يكون ثوابه عنده تعالى مناسباً لجنس حاله المتوترة والمنقبضة، فكان هو الأنثى. وذلك لأنّ الأنثى لما كانت بطبيعتها مسرة للنفس وبهجة للقلب في الرجل، وكأنها مفتاح يطلق للروح إشعاعها، ويثير فيها جمالها، ناسب في الحكمة الإلهية أن يجازي الرجل الكاظم للغيظ من الحور العين ما شاء. أي لدينا هنا صورتان: قبض (كظم للغيظ) يقابله بسط (متعة المرأة)، والله أعلم.

201. الجمال في الأفعال

عندما يحصر الإنسان همّه وتفكيره على إقامة الجانب الوظيفي لرغباته وحاجاته (أكل، زواج، تأليف، عبادة.. إلخ)، دونما اعتبار للجانب الجمالي فيها، فضلاً عن الجانب التعبدي فيها، حينها تصير حياته بائسة تافهة بلا معنى ولا مذاق! لقد وضع لنا الإسلام باقة من الآداب والأحكام لكل شيء نمارسه من رغباتنا وغرائزنا في حياتنا اليومية نشاطاتنا المختلفة، كما حثّنا على ضرورة الإتقان والإحسان فيما نقوم به، وكل هذا لكيلا تكون هذه الممارسة محصورة في حضيض الغريزة ووهاد الضرورة، بل نمارسها في أفق الجمال والمعنى، فهذا حري أن يرتقي بنا من القيام بنشاطاتنا قيام الغفلة، إلى القيام بها قيام المشاهدة لآيات الله تعالى في الذات والكون والحياة.

202. المطالب الحقيقية للعلمانيين

بالنسبة للعلماني، فإن المفتاح السحري للتقدم والازدهار والتقدم إلى مصاف دول الرفاه، يكمن في: (أولاً) تعرية المرأة، وتحليلها من كل الضوابط، لتكون كلأ مباحاً للاستمتاع بها لكن بدون تبعات ولا مسؤوليات. (ثانياً) إبعاد الإيمان والعقيدة والدين من مجالات الحياة ونشاطاتها وعلاقاتها، لتكون المنفعة والمصلحة إطارها ودائرتها. (ثالثاً) فتح الحدود أمام الثقافات والأفكار والفلسفات والمذاهب الغربية، لأنها وحدها أمارات النضج والتنوير والعقلانية. ولهذا؛ فإن كل كلام هؤلاء "العلمانيين/الحداثيين/الليبراليين" حول الإبداع، وبكائهم على الإبداع، وتقديسهم للإبداع، إذا قمنا بتحليله سنجده يصب في أحد تلك العناصر الثلاثة الآنفة الذكر، بل كلها، لأنها متشابكة ينتج بعضها عن بعض، ويولد بعضها بعضاً! ولأجل هذا، لا سبيل لتحرر الأمة ما لم تتحرر أولاً من هؤلاء الجنود المخلصون للجاهلية الغربية، فهم يعملون في كيان الأمة عمل فيروس شرس إذا دخل الجسم! ولما كان لهؤلاء المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الولاء للغرب والجاهلية الغربية، هذه الخطورة البالغة، لا عجب أن وجدنا الوحي يقرر بأن المنافقين أشد عذاباً من الكفار في الآخرة؟

203. الله سبحانه في العلمانية

حقيقة العلمانية هي: أنّ الله سبحانه خلق الخلق عبثاً؛ ولذلك لا يحق له سبحانه التدخل في شؤون الإنسان! ونبادر هنا للتنبيه على أنّ هذا التصور الكامن في العلمانية كفر صريح وزندقة صارخة، رغم كل التبريرات التي يطرحها العلمانيون بزخرف من القول غروراً! إنّ من بديهيات عقيدتنا؛ أنّ الله سبحانه أعظم من أن يخلق شيئاً عبثاً، فهو الخالق العظيم والإله الحق، ولهذا نفى ذلك عنه بوضوح: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا

خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون/115]. والنتيجة الضروريّة لذلك هي أنّه سبحانه لم يترك الإنسان سدى لا يؤمر ولا يُنهى، كما قال: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة/36]. ولذلك فهو وحده الذي له الحق في وضع التشريع ومنهج الحياة.

204. إهمال تربية الأبناء

إذا كان مقصد الزواج الأعظم هو استمراريّة النسل في الوجود؛ فإنّ العناية بهذا النسل مقصد عظيم في النبوات والشرائع. ذلك لأنّ الغاية النهائيّة التي لأجلها خلق الله تعالى الإنسان في الدنيا هي العبادة بمفهومها الشامل، ومن ثم، فإنّ الاهتمام بالنسل ليكون في مستوى هذه الغاية المقدسة، ضرورة واجبة وفرض حتمي. لكن؛ في عصر الجهل بمعنى الانتماء للإسلام، انصرف جمهور الآباء عن الاهتمام بهذا المعنى! فمن جهة لا يقدمون لهؤلاء الأبناء القدوة الحسنة في محبة الله وطاعته والالتزام بعبادته، فكيف يمكن أن ينشأ هؤلاء الأبناء وهم لا يرون في آباءهم القدوة الحسنة! ومن جهة أخرى، صار الآباء يتعاملون مع أبنائهم تعاملاً مادياً دنيوياً صرفاً، ولهذا ينظرون للبنت نفس نظرتهم للابن، كلاهما يجب أن يدرس لكي يحصل على العمل ومن ثم المال، ولا يهمهم الآثار الوخيمة على هذه البنت والتي تترتب على هذه الدراسة والخروج اليومي في سبيلها، ثم لاحقاً على الخروج اليومي للعمل والوظيفة!

205. اعترافات نصارى أسلموا

حين تسمع لبعض النصارى الذين كانت لهم مراتب مهمة في السلك الكهنوتي، ثم نوّر الله قلوبهم ودخلوا الإسلام، تجد مجموعة من القواسم المشتركة بينهما، وهي: **(1)** منذ صغرنا كنا نتساءل عن العقيدة النصرانية وعقلانيتها وموضوعيتها، فكيف يُعقل أن الإله صفعه البشر؟ كيف يعقل أن الإله صُلب على خشبة؟ كيف يعقل أن الإله واحد وثلاثة؟ لكن المعلمين والأساتذة كانوا يمنعوننا من طرح السؤال! **(2)** منذ صغرنا يحرص المعلمون والأساتذة على غرس كره الإسلام في نفوسنا، ويحظرون علينا مجرد لمس القرآن فضلاً عن قراءته، ويؤكدون لنا أن القرآن من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم، ويقررون في عقولنا أن الإسلام دين الشيطان والعنف والقسوة! **(3)** حين يسلم أحد منا من ذوي المكانة في النظام الكنسي، تحرص الكنسية على إغرائه بالمال والامتيازات الدنيوية والترقيات في الكنيسة، من أجل التراجع عن الإسلام، ثم تنتقل إلى التضييق والمتابعة والترهيب! **(4)** الاعتراف بحرص الكنيسة على الترويج للكتب التي تطعن في الإسلام، وبيعها بأثمنة زهيدة جداً لفسح المجال لجميع الناس الاطلاع عليها، لأن هذا عامل مهم

لتنفير النصارى من الإسلام، وتشكيك المسلمين فيه! قلت: ومع كل فضائح ومخازي الكنيسة التي لا تزال تبرز للعلن وتُكشف للناس، حتى لو قال قائل بأن الكنائس وعلى رأسها الفاتيكان هي واقعاً منظمات مافيا لصدق، مع كل هذا تحرص هذه الكنائس على خداع الناس بشعار "المسيحية محبة وديانة سلام ويسوع مات على الصليب لأجل الناس"!

206. العقد بين الله والعبد

العقد بين الله تعالى والإنسان هو الموت على الطاعة، وليس الحياة في الطاعة، لأنّ الإنسان مخلوق للبقاء وليس للفناء، ومن ثم، كان الموت على الطاعة هو أساس تحقق وعد الله تعالى في البقاء بعد الموت في عالم السعادة. قال ربنا تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ [طه/74،75]، أي مَن يموت على الكفر دخل النار، ومَن يموت على الإسلام دخل الجنة. إلا أنّه ينبغي التنبيه على وثاقة الصلة بين الجانبين، أعني الحياة في الطاعة والموت عليها، فقد مضت سنّة الله تعالى أن من عاش على شيء مات عليه.

207. كثرة الأديان

من شبهات الملاحدة الرائجة بين الشباب، شبهة تقول: هناك كثرة في الأديان، وكل دين له إله، فأي إله من هؤلاء هو الإله الحق؟ ولكي نعرف هذا الإله الحق يجب أن ندرس هذه الأديان وهي تعد بالعشرات أو المئات؟ والحقيقة أن هذا القول خبل في الرأي وسوء تصور للقضية. فوجود الله سبحانه ليس قضية محتملة ومبهمة، بحيث يمكن أن تتنازعه جوانب شتّى، بل يكفي أن تفهم معنى الإله لتعرف الإله الحق إذا عُرض عليك، بدون أن تبحث في معطيات الأديان الأخرى عن إلهها. مفهوم الإله يتحدد في كونه متصفاً بالكمال والعظمة اللانهائية، في ذاته وصفاته، وجوده وجود حقيقي واقعي، إلا أنه مباين للعالم ومتجاوز للمخلوقات، لكن ليس كمثله شيء. ولقد نبّه القرآن على هذه المنهجية، أعني مجرد استيعابك لمعنى الإله كاف لإدراك صواب هذا الدين أو ذاك في عرضه للإله الذي يؤمن به، وذلك في قصة سحرة فرعون، فهم كانوا ملاحدة مشركين، لكن بمجرد أن بهرتهم معجزة النبي موسى، أدركوا أن الإله الذي جاء يعلن بأنه رسوله هو بالضرورة الإله الحق فبادروا إلى الإيمان، ولهذا حين أعلنوا إيمانهم قدموا بأنهم آمنوا برب العالمين، ثم أضافوا بأن هذا الرب هو رب موسى وهارون: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ. فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الشعراء/45-48]. ومن ثم

لم يحتاجوا لدراسة أديان زمانهم وآلهتهم. بل هذه المنهجية كانت بديهية عند كل أقوام الأنبياء المشركين، لأنها مقتضى العقل الصحيح، فلا يوجد قوم طلب من نبيه مهلة دراسة الأديان الأخرى ليقارنوا بين الإله الذي جاء يخبر عنه والآلهة التي جاء بها غيره، حتى جاء ملاحدة هذا العصر فركبوا متن السفه والتهور!

208. ضرورة التجديد

أحد أهم عناصر استمراريّة العلاقة الزوجيّة وتماسكها وسعادتها، هو ممارسة الزوجين للتجديد بينهما بشكل مستمر. فالإنسان بطبعه يملّ من كل شيء اعتاد عليه. ولعل من دلالات حديث الوحي عن عنصر التجديد في حياة أهل الجنة، هذا الذي نقول. من الخير إذن للزوجين أن يبذلا جهدهما باستمرار لتجاوز عقبة الملل بينهما، حتى يستطيعا الاستمرار معاً في أفق حياة زوجية سعيدة وممتعة، خصوصاً في ظروف الواقع المعاصر وضغوطه وتحدياته. هناك كثيرون غفلوا عن هذه الحقيقة وأهملوا الالتزام بهذا المبدأ (مبدأ التجديد) فتحولّت حياتهم إلى جحيم كئيب، قد اغتيلت فيه كل المعاني الجميلة التي كان يمكن أن يعيشوا في ظلالها لو أنهم استوعبوا ضرورة التجديد المستمر!

209. أصناف النساء

النساء ثلاثة أصناف؛ فمنهن صنف لا يصلح لها ولا يُصلحها إلا الرقة الحنون والعذوبة السيّالة، وبقدر ما تجد من هذا مع زوجها، تشعر بأنوثتها تتفتّح وتتألق، ومن ثم، تستطيع البذل بسخاء. ومنهن صنف لا يصلح لها ولا يُصلحها إلا شيء من الرقة ممزوج بشيء من الشدة، وبعضٍ من الرفق محفوف ببعض من الحزم، وبقدر ما تجد من هذا مع زوجها، تشعر بقيمتها، ويكون ذلك طاقتها للاشتغال. ومنهن صنف لا يصلح لها ولا يُصلحها إلا قدر زائد من الشدة، ومنسوب أعلى من الحزم، وبقدر ما تجد من زوجها كل ذلك، تتحسّس قيمة أنوثتها، ومن ثم تندفع نحو العطاء. حرمان الصنف الأول من مزيج الرقة والرفق يُشعرها بالتمزّق والاغتراب عن أنوثتها، وحرمان الصنف الثاني من مزيج الرفق والشدة يُشعرها بالتمادي والتعالي، وحرمان الصنف الثالث من منهج الحزم يُشعرها بالتمرد والطغيان والاحتقار لزوجها.

210. مستند التسليم للوحي

أمرنا الله تعالى بالتسليم وعدم تقديم عقولنا وأفكارنا وأهوائنا على الوحي فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات/1]. وهذا يتضمن أنّ القرآن والسنة

يعرضان للمسلم منظومة معرفة يقينيّة صادقة، سواء ما تعلّق بالخالق في ذاته وأسمائه وصفاته، أم ما تعلّق بالإنسان والكون والمصير والغيب المجهول كله. ومن ثم، فالمعارف القرآنيّة والنبويّة ليست ظنيّة كما توهم بعض المبتدعة قديماً وحديثاً. إنّ القول بأن الوحي يفيد الظن دون اليقين فرية عظيمة وضلال بعيد! وسر يقينية الوحي يرجع إلى أنه تنزيل من رب العالمين، فلابد أن يكون كلام الله تعالى حق مطلق. وأيضاً لأن الغاية من خلق الإنسان العبودية لله تعالى، وهذه لا تكون إلا بمعرفة المعبود ومعرفة الطريق إليه، فينتج عن هذا أن مقصد الوحي تحقيق هذين الأمرين. أما التقدم بين يدي الوحي في العلميات أو العمليات، وهو ما يتضمن ظنية الوحي وقصوره، نقض صارخ لكمال الله المطلق، وللغاية التي خلق لها الإنسان.

211. انتصار الجاهلية المعاصرة

أحد أعظم الانتصارات التي حققتها الجاهلية المعاصرة، أنها أوهمت الإنسان أنه حر، وصدقها في ذلك! علما أن الإنسان لم يعان العبودية في عصر منذ كانت البشرية كما يعاني اليوم!! هناك أطنان من القوانين والتشريعات التي تخنق نشاط الإنسان!! وهناك تزييف رهيب للوعي يتم عبر الإعلام، بأخباره وبرامجه وأفلامه، كل ذلك لإبقاء المتلقي عبدا للأجندات العليا!! وهناك حصار أمني مرعب، يراقب كل شيء يقوم به الإنسان، رغم شيوع شعار حرية الرأي والتعبير والفعل!! لقد فرّ إنسان هذا العصر من العبودية لله سبحانه، وفيها عزه ومجده وكرامته وسعادته، فوقع أسير عبوديات شتى، فكرية وقيمية وسلوكية واجتماعية وثقافية وقانونية، وفيها ذله وتعبه وسحقه وبؤسه وشقاؤه!! قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه:124).

212. الطلاق الصامت

عندما يبدأ الزوجان الدخول في مرحلة "الطلاق الصامت"، حيث تكون العلاقة الزوجية قائمة شكلاً وفارغة مضموناً! فإنّ النتيجة الحتميّة لذلك _اللهم إلا مَن ألجمته تقوى الله_ هي الحرص على تبادل الانتقام! هذا الانتقام له أربعة مظاهر، **(الإهمال العاطفي)** تنتفي من حياتهما كلمات الحب والشوق. و **(الإهمال الجِماعي)** ينفران من التواصل بينهما في الفراش لأدنى سبب. و **(الإهمال التشاركي)** يتعمدان الحط من أعمال بعضهما مع النقد الجارح. و **(الإهمال الحواري)** يحرصان على عدم الحوار بينهما بالانشغال بأي شيء. هذه المظاهر لا تحدث دفعة واحدة، بل بشكل متدرج وبطيء. ولهذا؛ حق على

الزوجين العاقلين أن يكونا يقظين لبدايات الطلاق الصامت، قبل أن يستفحل الأمر بينهما فيعجزان عن إصلاح الخلل بينهما، فيكون في ذلك ما ذكرنا، ثم قد يصل الأمر بينهما إلى الطلاق العملي.

213. التحرر من الماضي

لا تسمح للماضي، بأخطائه وفشله ومآسيه، أن يضغط عليك! كل إنسان له ركام من الأخطاء والهفوات، وكل إنسان مَرَّ بمراحل عنيفة وتجارب فاشلة، ومن الجيّد أن تتذكر أنّك لست الوحيد الذي له (نقاط سوداء) (ونتوءات دامية) في ماضيه! في الحياة هناك أشياء كثيرة جميلة ورائعة يمكنك أن تعيش فيها وتهتم بها، وبإمكانها أن تساعدك على التحرر من الماضي والطموح لحاضر ومستقبل جدير بالنبل والعظمة والارتقاء! في حياتي عرفت أشخاصاً كانوا يتمتعون به من الإمكانيات والمهارات إلا أنهم كانوا بؤساء تعساء، وكان العنصر الأساس في مأساتهم هو العيش في الماضي الكئيب، سواء ما تعلق بأخطائهم، أو بأخطاء الآخرين في حقهم! إن أخطاء الماضي ومآسيه مفيدة لنماء الشخصية، وثرائها، والارتقاء إلى آفاق ممتدة. والذي بلا أخطاء وبلا تجارب فاشلة، لا يمكن إلا أن يكون ساذجاً في شخصيته وتفكيره وأحلامه!

214. معرفة الغيب

يتمنى الإنسان لو يعلم الغيب، لكن.. لو أن الناس حقاً يعلمون الغيب لكانت حياتهم جحيماً رهيباً وسجناً كئيباً! لا أحد سيتزوج، لا أحد سينجب، لا أحد سيدرس، لا أحد سيعمل، لا أحد سيجتهد، لا أحد سيسافر، وما شئتَ بعدُ من صور الحياة وشتى النشاطات! إذ ليس شأن من الشؤون إلا وهو محفوف في أوله وآخره ببعض الألم والشقاء وبشيء من التوتر والفشل. والإنسان بطبعه يكره الألم وينفر من الفشل. بل أعظم من هذا، لو كنا نعلم الغيب لكانت شخصية الإنسان في منتهى السذاجة والسطحية والغباء والاختزال، وذلك أن نماء الشخصية وثراءها، وعمق نظرتها واتّساع آفاقها، لا يكون ولا يمكن أن يكون إلا بخوض التجارب والخبرات، الإيجابية والسلبية، والناجحة والفاشلة، فكلما اتسعت دائرة التجارب المعنوية والمادية وجد الإنسان مخزوناً مهما يساعده على تصحيح أخطائه وتسوية مواقفه واكتشاف مواطن الخلل في آرائه وتبصّر معاقد الحكمة في الأحداث المختلفة.

215. انتفاء السببية

يقول الملحد: قد أُسلّم لك قاعدة السببيّة، لكن اكتشاف العلم لعالم الكوانتم (تحت الذري) قد هدم هذه القاعدة التي يجعلها المؤمنون أبرز دلائلهم على وجود الإله، وبذلك سقطت فكرة الإله من أساسها! لكن، نحن يمكن أن نرد بأن القاعدة تقول: عدم العلم ليس علماً بالعدم، أي إنّ جهلك بالشيء لا يعني عدم وجوده، فأنت تجزم بانتفاء السببية في عالم الكوانتم لمجرد أنّك لا تعلم ذلك! ومع ذلك، سنسّلم ـــجدلاًـــ أن هذا العالم العجيب غارق في العشوائية والفوضى واللاسببية، إلا أننا حتى في هذا التسليم لا نجد أدنى مشكلة، لأننا نقول: حركة عالم الكوانتم الفوضويّة والعشوائيّة إنما أدركها العقل كذلك لأنّها نقيض مبدأ السببيّة الجوهري في قاعدة مبادئ إدراكه الفطرية، إذ من خواص العقل عندنا، خاصيّة: خاصية ثنائية الإدراك، أي إنّ العقل لا يدرك الشيء إلا بنقيضه ومقابله. وأيضاً، فإن هذه الفوضى والعشوائية نفسها دلالة واضحة على وجود مصدر خارج عالم الكوانتم هو الذي أراد أن تكون حركته وعلاقاته كذلك، وإلا فلنا أن نسأل عن سر كون العالم الظاهر خاضعاً لمبدأ السببيّة في علاقات عناصره المختلفة، عكس عالم الكوانتم الخاضع لمبدأ العشوائية في علاقاته عناصره، كما يزعم الملحد؟ وعلى كل حال، فنحن لا نناقش في المرحلة الأولى وجود السببي في عالم الكوانتم من عدمها، بل نناقش قاعدة السببية العقلية أولاً وقبل كل شيء، فإذا ثبتت فهي ثابتة فيزيائيّاً حتى وإن لم يكتشفها العلم، فمنطق العقل أوسع من العلم الطبيعي. فالسببية لأنّها خاصة من خواص الإدراك لا يمكن أن ينفصل عنها العقل ليشتغل خارج نطاقها.

216. ادرس لتعمل

عندما يُرسخ الوالدان في عقل الطفل فكرة (الشهادة الدراسية تعني وظيفة كبيرة، والوظيفة الكبير تعني الحياة الناعمة)، فهما بهذا العمل يُشكلان تفكيره بطريقة سلبيّة للغاية ويغرسان فيه بذور العلمانية! إذ ستكون زاوية رؤيته ماديّة، ضيقّة ومحدودة! نعم؛ ربما سيكون ملتزماً بالفرائض الدينيّة والآداب الأخلاقيّة، لكنه في طريقة تفكيره، وفي نمطه في الحياة، وفي نظرته للأشخاص والأشياء والأحداث سيكون منفصلاً عن الرؤية الإسلامية الربانيّة ومفاهيمها القيمية! وقد يتعلّل بعض الآباء بأنّ الأمر لمجرد التحفيز من أجل تحقيق إنجاز أعظم، لكن حين ينحصر التحفيز في الماديات فهنا المشكلة! إن غرس الرؤية القيمية للذات وللحياة ضرورة تربوية قبل أن تكون ضرورة إسلامية.

217. الطمع في الدنيا

من طمع في الدنيا بما ليس من طبعها شقي طويلاً! ولهذا من المهم أن ندرك أن بعض الهموم، وبعض المشاكل، وبعض الحرمان، وبعض المعاناة، وبعض الخسارة، أمور طبيعية لأننا في الدنيا، والدنيا دار بلاء وهموم ولم يخلقها الله تعالى لتكون دار سعادة كاملة وهناء دائم. وقاعدة الحياة أن كل من استقامت حياته من جانب اعوجت عليه من جانب آخر، ولو صفت الدنيا لأحد من الخلق لصفت للأنبياء عليهم السلام، ولهذا كانوا قدوة لنا، وكانت لهم هموم ومشاكل، تناولهم الغنى والفقر، والصحة والمرض، وموت الأحبة والمعارف، والزواج والطلاق، وغير ذلك.

218. دلالة مُشكل القرآن

لك أن تقول برهاناً على صحة النبوة والقرآن: القرآن الكريم يحتوي على آيات (تُوهم) عند بعض الناس وجود تعارض بينها. والكلام المتعارض يُوجِب على العقل إثبات النقص لقائله. لكن البحث في الآيات المتعارضة يكشف دقة الانسجام بينها. فالنتيجة هي أنّ القرآن الكريم يستحيل أن يكون كلاماً بشريّاً، لأمرين اثنين (**أولهما**) كل كلام بشري بقدر ما تفتّشه وتبحث فيه تكتشف وجود شيء من التعارض والاختلاف بين مفرداته، لأنه كلام مخلوق، ولا عجب، فكل مخلوق محدود الكمال. (**ثانيهما**) القرآن الكريم بقدر ما تُفتشّه وتبحث فيه بموضوعية وفي إطار النسق المعياري الخاص به تكتشف مزيداً من الانسجام والتناغم والدقة المطلقة بين مفرداته، لأنه كلام الخالق، ولا عجب، فالخالق مطلق الكمال. إذن، وجود تلك الآيات المتعارضة ظاهريّاً نفسها برهان ساطع على صحة النبوة المحمدية، وأن القرآن كلام الله تعالى العظيم.

219. النظر في الشبهات

كثرة النظر في الشبهات، مثل كثرة النظر في الشهوات، فكما أن هذه لابد أن تترك أثراً ما في النفس والسلوك، فكذلك تلك لابد أن تترك أثراً ما في العقل والتفكير. والقضية هنا لا علاقة له بنيتك وغايتك، بل لها تعلق بطبيعة النفس البشرية. على أن القول بضرورة الابتعاد عن الشبهات، ليس المعنى أن هناك مجموعة معينة من الأفكار تسمى شبهة، فلو كان الأمر كذلك لكان أهون بكثير مما عليه في الواقع، ألا ترى أن البعض يتخذ من زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين عائشة شبهة، وآخر يتخذ من بعض معارك النبي صلى الله عليه وسلم شبهة، وآخر يتخذ من فشل "الأحزاب الإسلامية" شبهة، وآخر يتخذ من وجوده في الدنيا شبهة، وغير هذا مما هو في الحقيقة أشبه بهذيان الحمقى!! فالمقصود _إذن_

بالشبهة وجود معطيات يُلبّس بها الشيطان على الإنسان، مستغلاً بعض العوامل فيه، كالجهل بالشرع، أو ضعف الإيمان، أو عدم التسليم للوحي، أو اتّباع الهوى، أو الغرور والعجب، أو غير ذلك من موانع الاقتناع والفهم. ولهذا، فما يكون شبهة عند زيد قد يكون أمراً واضحاً عند عمرو، وإنما يختلف الأمر بين الفريقين بسبب ما ذكرت لك من الموانع التي هي في نهاية الأمر تلبيسات إبليس!! وإذ قد فهمت هذا المعنى، فافهم _أصلحك الله_ أن حثّ أهل العلم على الابتعاد عن مواطن الشبهات، يقصدون به أساساً مَن ليس لهم علم مؤصل وفهم صحيح، ثم يشيرون به إلى أن النفس قُلّبٌ ومسارب الشيطان غامضة، فقد يُلقي إبليس في قلب الرجل الصالح الشبهة من بعيد، ثم لا يزال ينفخ فيها شيئاً فشيئاً، حتى يتوهمها حقاً!!

220. تفسيق الأسرة

أسلوب الإغراء بمبلغ معيّن من المال يُسيل اللعاب، مقابل الإجابة على أسئلة معيّنة حول مسلسل غرامي مدبلج! أسلوب علماني خبيث وخطة شيطانيّة فاجرة، هدفها أن يظل المشاهد حريصاً على التدقيق في كل كلمة وكل حركة وهو يتابع حلقات المسلسل، على أمل أن يتمكن من الإجابة لاحقاً، فيربح الآلاف الموعودة! الذي يحدث أنّه خلال هذه المدة الطويلة من متابعة المسلسل _وهي لا تقل عن مائة ومائتي حلقة_ وعبر آلية التكرار والإيحاء اللاشعوري تترسخ في نفسيّة المشاهد أفكار وسلوكيّات وأحلام معيّنة تكون مطبوعة بالطابع العلماني المادي، ومن ثم تكون النتيجة أنّ هذا المشاهد سينسج حياته على منوالها ويُشكّلها في إطارها! ولكي تعلم أنّ الخطة مقصودة ولها غاية ماكرة، أنهم لم يكتفوا بالدبلجة باللغة العربية، ثم انتقلوا إلى الدبلجة باللهجة العامية، من أجل أن يصلوا إلى مختلف شرائح المجتمع!

221. العلمانية المتوحشة

في سياق الظروف والملابسات والعوامل التاريخية التي مر بها الغرب؛ لم يكن من الممكن أن تكون الدولة الغربية العلمانية إلا وحشاً ناعماً! هذه الوحشية الناعمة ضروريّة لتحقيق الهيمنة الشمولية على المواطن، بذرائع شتّى، كتحقيق الرفاه والأمن والحريات الخاصة والعامة! وهي تتجلّى في العمل على إعادة صياغة وعي الفرد وتنميط وجدانه عبر التعليم والإعلام والقوانين، بما يتناسب مع رؤيتها العلمانية المنفصلة عن الدين والإله العظيم. وبهذا ينغمس الفرد في بوتقة أوهام الحرية والرفاه والأمن، ويظل يلهث وراء السراب الخادع بعد أن تكون قد ملأت عليه أقطار نفسه وتفكيره. ومن ثم؛ يفقد بذلك القدرة على التحرر، فيظل رهينة لدى الدولة وهو يظن أنه حرٌّ طليق!

222. أقوى دليل على وجود الله تعالى

من الأخطاء الشائعة بين الشباب بشكل خاص؛ أن تجده يطلب منك (أقوى دليل لإقناع الملحد بوجود الله)! والحقيقة أنه لا يجب عليك يا مسلم شرعاً ولا عقلاً أن تقنع الملحد، فالأنبياء عليهم السلام أنفسهم لم يُبعثوا إلى الناس لإجبارهم على الاقتناع بضرورة التوحيد والإيمان وجعل شريعة الله تعالى مصدرهم الوحيد للحكم وتنظيم شؤونهم، بل بُعثوا عليهم السلام بالبشارة لمن استجاب والنذارة والوعيد لمن أبى واستكبر. وإنما كان الأمر كذلك لأنّ الاقتناع مسألة شخصية تتدخل في إيجادها أو منعها مجموعة من العوامل المختلفة والمتشابكة. لهذا فالمسلم غير ملزم بإقناع الملحد أو غيره، بل يجب عليه فقط أن يعرض الأدلة المختلفة من الوحي والعقل والفطرة والعلم والواقع. حين يقوم بذلك يكون قد قام بواجبه الشرعي وأبرأ ذمته وأقام حجة الله تعالى على الملحد. أما أن يقتنع الملحد أو لا يقتنع فتلك مشكلته الخاصة لا دخل لنا فيها.

223. كمال الله تعالى

تأمل هذه الكلمة ترشد إن شاء الله: لديك أصل يقيني وهو (الله تعالى متصف بالكمال). النتيجة هي: كل كلام الله تعالى ــالعقيدة، الشريعةــ، وكل أفعال الله تعالى ــالكون والحياةــ، وكل أقدار الله تعالى ــالفرد والمجتمعــ: كل هذا حق، يستحيل في دلالة العقل أن يتطرق إليه أدنى ظلم أو فساد أو كذب أو تناقض. لماذا؟ لأن كمال الله سبحانه يمنع هذا الظلم أو الفساد أو الكذب أو التناقض، إذ تطرّق ذلك إلى الوحي أو القدر يتضمن بالضرورة الجهل والعبث والنقص، ومن الواضح أن كمال الله تعالى وعظمته ينفيان الجهل والعبث والنقص، إذ لو أمكن تصور تطرق ذلك إلى الوحي والقدر لسقط مفهوم الألوهية. فإذا ثبت عندك هذا المعنى، فاعلم أن حكمة العقل قبل ضرورة الشرع، تُوجب عليك الإقرار بأن عدم العلم بأبعاد الحكمة في الوحي، عقيدة وشريعة، وفي القضاء والقدر، وفي الخلق والفعل، هذا الجهل بهذه الأبعاد لا ينفي وجودها، لأن توهمك عدم الحكمة يُسقط ضرورة إيمانك بألوهية الله. فليكن ــإذنــ كمال الله أصلٌ واضح عندك، فإذا التبس عليك شيء من الفروع والجزئيات فرُدّه إلى ذلك الأصل، وابذل من الأسباب (الصحيحة) ما يفتح لك باب الفهم في الوحي والقدر، فقد تكفل الله تعالى لمن طلب الحق بطرق الحق أن يهديه إلى الحق. وأما البائس، فهو الذي يدعي البحث عن الحقيقة لكنه يفعل بطرق فاسدة، فلا يزال

يتقلب بين أطباق الحيرة والشكوك والشبهات، ولا يزداد إلا ضلالا وانحرافا وظلما، يتلاعب به الشيطان وهو يحسب نفسه مفكراً عبقرياً. وهذه عقوبة الله الخفية في هؤلاء، لأن الحق أقدس من العبث معه.

224. الانسجام الجنسي

أحد أهم أسباب حدوث الطلاق هو عدم انسجام الزوجين في علاقتهما الجنسية! فكثيرون تمضي عليهم الشهور والأعوام دون أن يكتشفوا فعلاً حياتهم الجنسية! في الواقع هناك أسباب مختلفة في إطارها تنشأ هذه المشكلة، أبرزها: سوء فهم الحياة الجنسية، وكيفيتها وفنونها وأهدافها! وهناك التصورات الخاطئة والمغلوطة عن الحياة الجنسية! ولهذا؛ فإنّ أول ما ينبغي على الأزواج هو إدراك خطورة الغريزة الجنسية وآثارها الكبيرة على الكيان الزوجي والأسري، ثم ضرورة الحوار الثنائي بوضوح وصراحة للوصول إلى تحقيق التقارب جنسيّاً. ولا شك أنهما حين يفعلان ذلك، يكونان قد قطعا نصف المسافة نحو الاستقرار والسعادة الزوجية والأسرية.

225. العلمانية المتوحشة

مما يغفل عنه كثيرون أنّ كافة المفاهيم التي يتم تداولها في فضاء الفلسفة والثقافة الغربيّة، وامتداداتها المعرفيّة والتطبيقيّة، هذه المفاهيم نشأت وتشكّلت في أجواء مشحونة بالكره للدين، وبالنفور من الإله، وبالرغبة الجامحة في تأليه الإنسان وتقديس العلم التجريبي وتحييد الخالق وإبعاده عن نشاطات الإنسان! إن تاريخ أوروبا يخبرنا بأنّ تجربة الإنسان الأوروبي مع الدين والإله تجربة بائسة وخانقة، كالحة وفاشلة تماماً! ومن ثم؛ كان من الطبيعي يوم أُتيحت له الفرصة أن يتمرد وأن يثور ضد الدين والإله وكل ما له صلة بهما لم يتردد في ذلك! ولقد كان هذا أحد أهم دوافعه للانتشار في الأرض، محتلاً الشعوب الضعيفة، وناهباً خيرات بلادها، ومدمراً لهويتها وثقافتها وتاريخها!

226. أخبار آخر الزمان

عندما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلامات آخر الزمان، وكيف سيكون حال المسلمين، من انحراف وفساد وضياع وهوان، لم يكن ــحاشاه عليه الصلاة والسلامــ يريد أن ينفخ فيهم الوهن والسلبيّة، بل بالحريّ أنّ ذلك يتضمن دلالات عظيمة، منها (الدلالة على نبوته من جهة إخباره بالغيب القادم)، ومنها (تهيئة المسلم فكريّاً ونفسيّاً لكي لا يُصدم فيُفتن)، ومنها (أداء الواجب الرسالي الذي عليه فيُعذر

أمام الله تعالى)، ومنها (توكيد ثبات كيد ومكر وتآمر أعداء هذه الأمة عليها)، ومنها (التنبيه على ألا مخرج من هذه الأوضاع المؤلمة المؤسفة إلا بالعودة إلى الوحي)، ومنها (التحذير من المساهمة في ترسيخ أسباب هذا الضعف والتمزق والضياع بين المسلمين).

227. الإسلام والدولة

ما جرى لهذه الأمة منذ مئة عام وزيادة، يؤكد على جريمة الذين ينادون بأن الإسلام ليس ديناً ودولة! فهذا الظن كما أنه يحمل الجهل بطبيعة الإسلام، أو خبث النية وسوء الضمير، فهو يتضمن إساءة لله تعالى. فالقرآن والسنة كلاهما، طافح ببيان أن الإسلام نزل ليكون دين البشرية إلى قيام الساعة، وأن الله تعالى لن يتقبل من أحد سوى الإسلام، وأن الحساب يوم القيامة لتحديد المصير الأبدي سيكون على الإسلام. ولذلك تجد في القرآن مئات الآيات _فضلاً عن أحاديث السنة_ تضبط حركة المجتمع ومختلف نشاطاته، وتضع العقوبات والزواجر لحماية المجتمع من المفسدين والمجرمين، بل حتى بخصوص العلاقات الخارجية مع العالم تجد هناك نظاماً يتضمن كيف ينبغي أن تكون، فحين يأتي أحد وينفي عن الإسلام كل هذا، ويرغب في حصره في الشعائر التعبدية وفي زاوية ضيقة من زوايا الحياة العامة، فهذا فيه تكذيب لله تعالى ولرسوله الكريم، واتهام صارخ لهما بالعبث والتدليس! والتاريخ خير شاهد، فيوم كان للمسلمين قوة تحميهم، شيّدوا حضارة لم تعرفها البشرية من قبل ولا من بعد، وانتشروا في الأرض يرفعون رايات التوحيد والعدل والرحمة، ثم لما تركوا اكتساب القوة، ضربهم العدو ببطش شديد، فهم منذ أكثر من مئة عام أشبه بالقطيع بلا راع يحرسه من الذئاب المفترسة! إن الحق لابد له من قوة ضاربة تحميه من جرأة المفسدين والمناوئين وإلا تحول إلى أحلام وأساطير.

228. أهداف الطلاق

أحد أهداف التشريع الإسلامي للطلاق، هو محاربة الزنا المستتر والإباحية المتخفية. أي إن الشارع يقول لك: لم تستطع الاستمرار مع هذا الشريك، لتحقيق الأشواق الفطريّة وتلبية الرغبات الطبيعية، رغم كل محاولات الإصلاح، لا مشكلة، فلستَ ملزماً بالاستمرار معه إلى الممات، بل تستطيع الانفصال عنه، بل ذلك حق من حقوقك الشرعيّة، ولك مع ذلك أن تبحث عن شريك آخر مناسب لإشباع غريزتك الجنسية وبناء أسرة جديدة في إطار النظافة والطهارة والاستقامة. أما لو حرّم الإسلام الطلاق، فكانت تكون النتائج أن المجتمع رجالاً ونساء _إلا فئة قليلة_ سينطلقون لإرواء الغريزة الجنسية في الخفاء، مع

الإبقاء على مظهر الزواج واستمراريته. لأن غريزة الجنس لها سلطان قاهر على الإنسان، ولا يمكن ضبطها إلا بمعاناة شديدة وجهاد كبير، وهذا من الواضح أن الناس ليسوا كلهم يستطيعون ذلك.

229. سحق نفسية السجين

تعتقد إدارة السجون أن "إهانة وإذلال السجين" عنصر مهم في تحقيق عقوبته ولغرس الرغبة فيه للابتعاد عن الجريمة مستقبلاً! لكن الذي يحدث هو أن السجين حين يُعامل بهذا المبدأ، فإن نفسيته تزداد تفككاً، وهذا يعمل على خنق ما في أعماقه من معاني الإنسانية والفضيلة! فلا يخرج من السجن إلا وهو ممتلئ سخطاً وحقداً على كل شيء، ومتبنيّاً رؤية سوداء متشائمة، ولو في المستوى اللاشعوري! والنتيجة هي أن الجرائم ترتفع وتيرتها باطراد، والتكلفة المالية للسجون تزداد، والمجتمع يستقبل مزيداً من النفسيات المحطمة! ولو أن إدارة السجون تعمل على إعادة تكوين السجين فكريّاً وسلوكيّاً ومهنيّاً، لخرج منه إنساناً آخر، ينفع نفسه وينفع مجتمع.

230. من ضوابط الصفات

من الضوابط التي ينبغي استحضارها حول الصفات الإلهيّة، ضابط (الصفات في نفسها شيء، وفي آثارها شيء آخر). أي إنّ الله سبحانه متصف بصفات حقيقيّة، كما أن ذاته المقدسة ذات حقيقيّة. هذه الصفات اللهُ سبحانه متصف به قبل أن يخلق الخلق وبعد أن خلق الخلق. فمثلاً (ضحك الله) كما ورد في السنة، يتضمن (إثبات صفة الضحك) بدون بحث في كيفيّتها، ويتضمن (أثر هذه الصفة) في الوجود المخلوق كالرضا والثواب والرحمة. وأيضاً (استواء الله على العرش) كما ورد في القرآن، يتضمن (إثبات صفة الاستواء) بدون بحث في كيفيّته، ويتضمن (أثر هذا الاستواء) في الوجود المخلوق كالملك والهيمنة. وقس على هذا كل الصفات. ولما غفلت بعض الفرق المبتدعة عن هذا المعنى، خبطت طويلاً في هذا الباب، فتارة أعلنوا التعطيل، وطوراً رفعوا التأويل، ومرة ردوا السنة!

231. أسئلة المعنى

أحد أكبر الأسئلة التي تسبب للملحد الدوار والمغص، أسئلة لماذا؟ لأنها تشير إلى المعنى والقيمة والغاية والقصد، مثل: لماذا الوجود موجود؟ لماذا الكون بهذا الشكل والقوانين الفيزيائية؟ لماذا هذا التنوع الهائل في الحياة والكائنات؟ لماذا أنا الإنسان هنا؟ لماذا هذا العقل؟ لماذا هذا الشعور؟ لماذا أفكر؟ لماذا

أتطلع دائماً لواقع أفضل؟ لماذا القيم والأخلاق؟ لماذا الذكر والأنثى؟ لماذا قانون الزوجية قاهر؟ لماذا لدينا القدرة على التحرر من ضغط الماديات؟ لماذا.. ولماذا.. سلسلة طويلة لا تنتهي! والواقع أن أسئلة المعنى والغاية لا يمكن للإنسان أن ينفصل عنها أو أن يتحرر من قبضتها، إلا بمعاناة شديدة وضغط عنيف، لأن الفطرة الإنسانية، في عقلها وضميرها، تقتضي البحث عن المعنى، أي إن الإنسان كائن متسائل بفطرته. إن الملحد الواعي، عندما يفكر تفكيراً جاداً، فإما أن يعود إلى الإيمان أو أن ينتحر، وليس هناك طريق ثالث!

232. إعلان رفض التعدد

من المواقف الشائعة بين البنات والنساء، حتى من المحجبات والمنقبات، إعلان رفض التعدد، وقد قالت لي واحدة من هؤلاء ممن تزعم أنها طالبة علم شرعي: لن نقبل بالتعدد أبداً!! بل وصل الجنون ببعضهن أن تقبل أن يزني زوجها ولا يتزوج أخرى!! لكن، ما تجهله هؤلاء، أن هذا الرفض له صورتان: (**1**) رفض لذات التشريع الإسلامي، وهذا ناقض من نواقض الإيمان، ولذا فهو كفر. فقد أجمع أهل العلم على أن رفض حكم شرعي ثابت مع العلم به كفر مخرج من الملة. وحسبك أن تعلم أن هذا الرفض يتضمن أن الشرع ظالم للمرأة بتشريع التعدد، وأنه متحيز للرجل ضدها، كما تقول النسويات الصريحات بأن الأديان متحيزة للرجل! ولهذا تجد أن كل من كان هذا حقيقة موقفها تحارب التعدد وتجاهد في سبيل نشر رفضه بين البنات وتزيين التمرد على التعدد في نفوسهن، أي إنها عملياً تحارب الله ورسوله، وإن كانت محجبة وطالبة علم شرعي وتقوم الليل وتصوم النهار! (**2**) رفض نفسي مع التسليم للشرع، واعتقاد أن الله ورسوله لا يشرع إلا ما فيه الخير والمنفعة حتى وإن كرهته النفس. وهذا النوع من الرفض لا شيء فيه ولا حرج على صاحبته إن شاء الله، بل هي مأجورة عليه لخضوعها لأمر الله ورسوله ومجاهدتها هواها. وما تكرهه النفس من التكاليف الشرعية لا يؤاخذ به المسلم، كما قال الله تعالى في شأن القتال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:216]، والمسلم مأمور بالتسليم للشرع وإن كرهت النفس بطبعها. ولهذا تجد صاحبةَ هذا الرفض تحتفظ به لنفسها ولن تجدها تصول وتجول في مواقع التواصل ومجالس النساء معلنة ذلك. ولهذا من المهم أن تحذر المسلمة، والحمقاء من تعبث بدينها!!

233. استعمال "الله" في الترجمة

من الأخطاء الشنيعة التي يقع فيها كثير من التراجمة المسلمين لمقالات المفكرين والفلاسفة والأديان الأجنبيّة، ترجمة الإله الذي يتحدث عنه المؤلفون الأصليون في كتاباتهم بـ(الله سبحانه)! مكمن الخطأ في

هذه الترجمة هو أنّ الله ﷻ كما يقدّمه الإسلام يختلف بشكل جذري وجوهري عن الإله الذي يتحدث عنه أولئك الكُتّاب والمؤلفون، سواء من حيث ذاته وصفاته وأسماؤه أم من حيث علاقته بالإنسان والكون والحياة. ولهذا، فاستعمال لفظ الجلالة في الإسلام لترجمة لفظ الإله في الكتابات الغربية خطأ شنيع، ولا شك أنّ هذه الترجمة والإصرار عليها قد أحدثت تشويشاً بالغاً عند الشباب المسلمين غير المطلعين.

234. تحكيم الشريعة

تم تعطيل الحكم بالشريعة منذ عقود طويلة، وتم إحلال المنظومة الجاهلية في حكم المجتمعات المسلمة، ثم ما زالت الأصوات ترتفع بضرورة تحكيم الشريعة في نشاطات الحياة المختلفة، لكن، من مظاهر الخلل التي وقع فيها بعض هؤلاء، أنهم يحصرون مبررات هذه الدعوة في أن تحكيم الشريعة سيجلب لنا العزة والازدهار! وهذا بلا شك خلل خطير في الفهم والرؤية، بل هو بهذا الحصر خلل وشرخ في العقيدة! نعم؛ لقد أشار الله تعالى نفسه للجانب المادي في إقامة أحكام الشرع، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ﴾ [المائدة:66]، ولكن بيان لبعض الآثار المترتبة على الالتزام بالشرع، وليس هو الأساس والمنطلق. ومن هنا؛ ينبغي أن نفهم بأن التحكيم والاحتكام للشريعة واجب شرعي ليس لأنه سيجلب للأمة العزة والازدهار، بل لأنّه حق خالص لله تعالى على كل من ينتمي للإسلام، بغض النظر عن أي شيء آخر. علماً أن العزة والازدهار أثرٌ ضروري لتحكيم شريعة الله تعالى في النفس والمجتمع، كما هو ثابت في تاريخ هذه الأمة. فالواجب حين يقال للشباب بضرورة تطبيق الشريعة، أن ذلك ليس من باب مناكفة العلمانيين، أو لأن ذلك سيجلب للأمة الرفاه والازدهار، بل هو قبل أي شيء آخر واجب شرعي ومقتضى من مقتضيات الإيمان.

235. التهور العقدي

في تاريخنا الإسلامي، نجد هناك مجموعة من المذاهب والفرق، وأرباب هذه الاتجاهات كانوا من جهابذة المعقول وسماسرة الفكر، علماً وذكاء واطلاعاً، ومع ذلك، من السمات البارزة أنك تجد كل هؤلاء المنتسبين إلى الإسلام، الكثير من الاختلافات والنزاعات، التي قد تصل أحيانا إلى التبديع والتكفير، ومع ذلك، فإن الجميع كانوا ضمناً يقررون توافق الوحي والعقل والعلم، ولذلك تجدهم حريصين للغاية على التوفيق بين الوحي والعقل والعلم، بل حتى حين يعجز البعض عن التوفيق تجدهم يجنحون إلى التفويض، والتفويض يحمل دلالة العجز عن الفهم، وليس إثبات تناقض الوحي مع العقل. أما اليوم فتجده جاهلاً

جهولاً، لا يعرف ألف باء في العلوم الشرعية، فينفخ فيه الشيطان، فيقفز للإعلان بكل وقاحة وسفاهة (اكتشفت وجود تناقضات في القرآن) أو (بعد بحث طويل صرت أشك في القرآن). والغبي لا يدري أنه إنما أُتي من قِبل جهله وطيشه، ومن جهة اتّباعه هواه بغير هدى من قانون الحق! والأعجب أن تجد بعض الشرعيين يبررون من طرف خفي ما وقع فيه هؤلاء وصدر عنهم، فخانوا أمانة العلم، وأعانوا الشيطان على العشرات أو المئات من المراهقين والشباب بخداعه لهم بشبهاته وفتنته!!

236. القوامة تكليف وتشريف

القوامة (تكليف) و (تشريف)، فمَن قام بواجباتها ازداد ترقياً في درجات شرفها، ومن أهملها وتنازل عنها ازداد هوياً في دركات خستها. أجل أيها الرجل، أنت مكلف ومشرّف، ولا تنخدع بما يقال (القوامة تكليف لا تشريف)، فهذا القول بيّن التناقض، واضح التهافت، إذ لا تكليف بلا تشريف، فهل رأيت مثلاً ملكاً يكلّف عامياً بشأن من شؤون الدولة؟ بل لا يكون ذلك لأن لأهل الوزارة والنيابة والمكانة والشرف!! على أن القول بأن القوامة تكليف وتشريف لا يعني حق ظلم الزوجة والبغي عليها وإلحاق الضرر بها، والتعامل معها بأسلوب الاحتقار والدونية، هيهات، فمَن سلك هذه السبيل فهو ظالم لنفسه، مستدع غضب الرب من فوق سبع سماوات. إذ ما جُعل لك عليها حق القوامة إلا لتحسن إليها وتحوطها من الأذى. فالزوجة سكن الروح، وحب القلب، ومتعة النفس، ورفيقة الدرب، فيها شيء من نفسك، وشيء من الجنة، فهي لذلك عرضك وشرفك وسعادتك وراحتك.

237. زيف التنمية البشرية

وعدوهم في دورات التنمية البشرية المختلفة بالنجاح الكبير، بالشخصية الرائعة، بالإنجاز الفائق، وبكثير وكثير من الأحلام، وزيّنوا لهم ذلك بفيديوهات الاستمتاع بالدنيا التي زعموا أنّهم حصلوا عليها بعد اتّباع تعاليم التنمية البشرية، كما استوردوا لهم قصصاً من هنا وهناك ليؤكدوا لهم صحة الوهم الذي خدعوهم به! فماذا كانت النتيجة؟ عندما يخرج هؤلاء الشباب اللاهث وراء السراب إلى الواقع المر الذي يحيط بهم، هنا يكتشفون الحقيقة المزعجة: لقد استُنْزِفت جيوبهم، وأُهدرت أوقاتهم، وبِيعَت لهم الأوهام! ولأنهم يثقون بأولئك المدربين، يتجهون بإلقاء اللائمة على أنفسهم، واتهام أنفسهم بالعجز والقصور وعدم بذل الجهود الكافية، وعدم امتلاك الذكاء الكافي، ولذلك لم تتحقق أحلامهم كما أكد لهم أولئك المدربون!

238. الترقي في إثبات وجود الله

القول بأنّ إثبات وجود الله ﷻ لا يمكن أن يكون مائة بالمائة، بدعوى أنّ ذلك يعني انتفاء قيمة الإيمان بالغيب، باطل من الأباطيل! والحقيقة أنّ هؤلاء الذين يروجون لهذه الفكرة قد اختلطت عليهم الأمور، فقد خلطوا بين (إثبات وجود الله بالأدلة والبراهين)، وبين (الترقي في توكيد هذا الإثبات لوجود الله)! فنحن نثبت وجود الله ﷻ بشكل قطعي مطلق بأدلة فطرية عقلية، ودعائمها في الكون والحياة والوحي والتاريخ، وهي أدلة لا يمكن التشكيك فيها، إلا أنّ معرفتنا بالله تعالى تتسع دائرتها عبر الزمن ومن خلال انبساط المعرفة والخبرة، فيكون إثبات وجود الله تعالى من جهة ثابتاً مستقراً لا يتزعزع، ومن جهة مرتقياً مستمراً بلا حد ولا نهاية. فأنت لا يمكن أن تشكك في وجودك، لكن، كلما درست جسم الإنسان ازددت علماً بوجودك، ولا يعني هذا أن إيمانك بوجودك كان ضعيفاً.

239. المؤمن والملحد

يتفق المؤمن والملحد في المسرات والمضرات الدنيوية. لكن؛ من الفروق بينهما، أن الملحد يعيش مسراته ومضراته داخل إطار الرؤية العبثية، العدمية، وانتفاء القيمة والمعنى والغاية، فبالنسبة له، الأمر ليس أكثر من أرحام تدفع وأرض تبلع، وإذا فكر في لحظة الموت الذي هو بالنسبة له نهاية الرحلة وعودة إلى العدم، فلا شك أن مسراته تتنغص عليه، كما أنه يشعر بالحسرة الأليمة لفوات كثير من الشهوات التي لم يستطع إدراكها، أو على معاناته المحتومة في إطار سياق المجتمع وظروف الواقع وطبيعة السنن الحاكمة لحركة الوجود. أما المسلم، فهو يعيش مسراته ومضراته داخل إطار الرؤية القيمية، والمسؤولية والقداسة والفضيلة، لأنه يدرك أن وجوده الدنيوي مجرد محطة عابرة في مسار الأبدية التي سينتقل إليها في أية لحظة بنزول الموت. ومن هنا يجد العزاء في كل الألم والمعاناة التي قد تمر به، وانتظار البديل الأفضل في عالم الجنة، كما أنه يجد القدرة النفسية والإدراكية على ضبط رغباته وشهواته، لأنه محكوم بضوابط الإله الخالق، فلا النعمة تُبطره ولا النقمة تضجره. القضية إذن ليست في المتع واللذات أو الألم والمعاناة، بل في المنطلقات والقيم والمبادئ التي يتحرك في إطار كلٌّ من المؤمن والملحد، ولذلك تختلف حتى طبيعة التعاطي مع هذه المسرات أو المضرات، وطبيعة تليقها على مستوى الوعي والشعور والسلوك.

240. الزواج تبادل خدمات

الزواج في نهاية المطاف تبادل مصالح عبر تلبية الاحتياجات الأربعة "الدينية، النفسية، العاطفية، الجنسية". ولهذا، بقدر ما يحرص الزوجان على هذا التبادل والتلبية يعظم الحب بينهما ويترسخ ويمتد. إذا

عرفت هذا، عرفت سر طلاق كثيرين بعد أشهر قليلة من الزواج ممن دخلوه بالحب والغرام، بمعنى أنهم –أو أحد الطرفين– غفلوا عن كون الحب يقتضي تبادل تلبية تلك الاحتياجات، بل توهموا أن الحب مجرد مشاعر حالمة في القلب! وهذا خطأ شنيع، فالمشاعر والمعاني النفسية (الحب، الكره، الإيمان.. الخ) تنمو بالأعمال وتزداد بالمواقف وتموت وتقل بالإهمال واللامبالاة ! وهذا كله وثيق الصلة بحقيقة مركزية في الإنسان، وهي أنه بحكم كونه مخلوقاً فهو بفطرته وطبعه ينشد الكمال، لأن المخلوق ناقص بطبعه، وكل ما حقق له هذا الكمال (ولو وهماً) فإنه يقبل عليه وينجذب إليه ويرغب فيه. فالرجل والمرأة كلاهما يطلب الزواج لتحقيق معنى الكمال عبر التبادل والتلبية. ولهذا السر نجد الرسول ﷺ يقول في مواصفات الزوجة الصالحة: ﴿إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله﴾ ، لأن هذه المعاني (الجمال، الطاعة، الحفظ) تحقق معنى الكمال للرجل بحسب فطرة الرجولة فيه. وبالنسبة لكمال المرأة يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿خيركم: خيركم لأهله﴾، فكان حسن معاملتها والصبر عليها وإعفافها عاطفياً وجنسياً مما يحقق لها الكمال بحسب فطرة الأنوثة فيها. فاعقل هذه المعاني تعش حياة زوجية طيبة هانئة، إن أكرمك الله بشريك يعقل، واحذر الأوهام المنتفخة بلا معنى!

241. فلسفة العيد

يرتبط مفهوم العيد في المجتمعات البشريّة بجملة من المفاهيم والمضامين الكامنة، ذات الامتدادات العقدية والنفسية والاجتماعية والتاريخية. أي إن مفهوم العيد في الحقيقة يختزن رؤى فلسفيّة وجودية شاملة. ومن هنا، فالعيد يشبع في صاحبه نزعة (الانتماء) إلى جماعة لها رؤية معينة، كما يلبي فيه حاجة (الاعتراف) به كائناً له قيمة وأصول راسخة. ولهذا تجد حتى الإلحاد وأديان الوثنية تعتني بالأعياد. من أجل ذلك جاء النهي الشرعي عن الاحتفال بأعياد الكفار، لأنّها مشاركة فكرية ووجدانية، ستترسخ مع مرور الزمن وكثرة التكرار لها مضامينها الفلسفية في الوعي، وهذا ما سينتج عنه مع مرور الزمن وكثرة التكرار كذلك جملة من الآثار في الواقع العملي. يمكن أن أشير هنا مثلاً إلى إهمال هؤلاء الذي يحتفلون اليوم برأس السنة الميلادية الاحتفال برأس السنة الهجرية!

242. الإسلام والنظريات العلمية

صحيح أنّ الإسلام لا يحتوي على نظريات علميّة جاهزة، لأنّ ذلك ليس من وظيفة الوحي ولا من طبيعة الدعوة التي تنشد وضع منهج حياة شامل ومتكامل للفكر والسلوك والتنظيم. ومع ذلك نقول بأنّ

الإسلام تجاوز وضع النظريات العلمية من أجل أن يفسح المجال لطاقات العقل أن تتفتح وتعمل عملها الطبيعي من خلال البحث المستمر والتفاعل الدؤوب مع عناصر الكون وقوانينها وعلاقاتها ونتائجها. فعمل العقل في اكتشاف الكون والحياة سواء أخطأ أم أصاب أهم في نظر الإسلام من أن يقدم له نظريات محددة وجاهزة. لأنّ هذا العمل الدؤوب وهذا الاجتهاد المتواصل من أبرز عوامل التعرّف على الله سبحانه والترقي في مدارج قربه، وهذه غاية نبيلة يقدسها الإسلام ويثني عليها.

243. الملحد والنظرة الجزئية

أساس مشكلة الملحدين في التعاطي مع القضايا الوجودية الكبرى، هو سقوطهم في فخ «التفكير الجزئي». والحال أن هذه القضايا تتطلب «التفكير الكلي»، بحكم أنها تتعلق بأبعاد لانهائية وبنظام في غاية التركيب والتعقيد والتشابك. والملحد في تفكيره الجزئي يشبه شخصاً رأى أمامه قصراً فخماً، لكن، بدل أن يظل على مسافة منه لتكون الصورة واضحة المعالم في عينه وحسه، أخذ يقترب ويقترب منه مركزاً نظره على نقطة معينة في أحد الحوائط، حتى لم يعد يرى سوى سواداً في سواد! فهكذا الملحد أغرق نفسه في جزئيات هنا وهناك في هذه القضايا الكبرى، فالتبس عليه الأمر، ولو أنه نظر إليها نظرة شمولية وفكر فيها تفكيراً كلياً لعصمه ذلك من الالتباس والحيرة والشكوك! ولأهمية التفكير الكلي والنظرة المعيارية وجّه القرآن الكريم إلى ضرورة رد المتشابه أي الجزئي" إلى المحكم أي "الكلي"، وأشار إلى أن المفسدين والمناوئين يركزون على خطة "الإغراق في المتشابهات/ الجزئيات" لتحقيق هدف غرس الشكوك في النفوس، عكس أصحاب التفكير الكلي والنظرة المعيارية الذين يردون المتشابه إلى المحكم، فلا تختلط عليهم الحقائق: ﴿هُوَ الَّذي أَنزَلَ عَلَيكَ الكِتابَ مِنهُ آياتٌ مُحكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذينَ في قُلوبِهِم زَيغٌ فَيَتَّبِعونَ ما تَشابَهَ مِنهُ ابتِغاءَ الفِتنَةِ وَابتِغاءَ تَأويلِهِ وَما يَعلَمُ تَأويلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرّاسِخونَ فِي العِلمِ يَقولونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنا وَما يَذَّكَّرُ إِلّا أُولُو الأَلبابِ﴾. [آل عمران: 7]

244. تضخيم مكانة المرأة

تركيز بعض المشايخ والدعاة على كرامة المرأة في الإسلام، وحقوق المرأة في الإسلام، ومكانة المرأة في الإسلام، نتيجة تأثر خفي بالخطاب العلماني الليبرالي النسوي! وهذا التأثر الخفي يشبه تأثر بعض هؤلاء بخطاب التنمية البشرية، فتراهم يتحدثون عن نفس المضامين لكن بنكهة إسلامية ومدخلات شرعية وأقوال ومواقف تاريخية! كما أنه يشبه تأثر بعض "الإسلاميين" بالخطاب العلماني في الحريات والديموقراطية

والأحزاب وحقوق الإنسان وغير ذلك، لكن مع عرضها بلمسات شرعية وانتقاء أقوال فقهية! واعلم أن الحق لا ينصر إلا بالحق، والرغبة في نصرة الحق لا تبرر تمييع الحق، ولهذا تجد خطاب المتأثرين بالليبرالية والنسوية يفرز معطيات لم تخطر ببال أصحابه، خصوصاً على المدى البعيد! فهذا الخطاب الإسلامي المعلمن المَنسْوَن الذي يضخم شعار تكريم الإسلام للمرأة وحقوقها، وأنها ذات قدرات وطاقات جبارة يمكن أن تسهم بفعالية في نهضة الأمة، هذا الخطاب المختزل آخذ في تخريج جيل من البنات "المحجبات وحاملات شهادات جامعية شرعية" لا يكاد يوجد فرق ذي بال بينهن وبين النسويات الصريحات!

245. جيل الصحابة

إحدى أروع سمات جيل الصحابة الفريد ﷺ؛ أنّهم لم يكونوا أهل جدل بل كانوا أرباب سلوك وعمل، بل كانوا ينفرون من كل ما لا ينبني عليه عمل مطلوب أو مرغوب شرعاً. لقد كان لهم وعي بصير بمهمة القرآن في حياة الإنسان، والغاية التي يقصدها بمختلف تعاليمه. ومن ثم كان لهم رضي الله عنهم صلة وثيقة بالله ﷻ وعالم الخلود، حتى وهم يخوضون غمرات الواقع ويكابدون ضغوط الأعداء. أما حين سقط الأخلاف في أوحال الجدل واللغو الباطل تحت مسمّيات برّاقة وشعارات زائفة، لم تلبث الأمة أن سقطت تحت أقدام الاحتلال!

246. وجود الله والسنن الاجتماعية

من أهم مباحث العقيدة ومعرفة الله سبحانه التي يحسن بالمسلم العناية بها، مبحث سنن الله تعالى في الأمم والمجتمعات. وهو مبحث ثري وعميق، يزيد المؤمن إيماناً بوجود الله تعالى وكماله وعظمته. فهو يكشف لنا أن الله سبحانه وثيق الصلة بحركة الحياة، وليس كائناً ذهنياً لا علاقة بالوجود، كما أنه يكشف لنا أن الله سبحانه قد خلق الإنسان والحياة والكون بالحق ولغاية عظيمة وحكمة بالغة، وأيضاً يكشف لنا أن الله سبحانه قصد قصداً لجعل هذه السنن ثابتة ومطردة وصارمة ليفهم العاقل أن الأمر جدٌّ ليس بالهزل، ومن ثم تكون لهذا المبحث آثار عميقة على وعي المسلم ونفسيته وسلوكياته. ولكل هذه الاعتبارات وغيرها اعتنى القرآن الكريم بهذا المبحث ولفت إليه النظر وحثّ على تأمله ودراسته. وهذا ما ينبغي على الشاب المسلم اليوم الوعي به وهو يتعامل مع الإيمان كما يقرره القرآن والسنة، لتكون للعقيدة حرارتها وأنوارها في عقله ووجدانه وكيانه كله ونشاطاته المختلفة، وليس كما يقرره ما يسمى بعلم الكلام.

247. موقف الفقهاء من العقل

مواجهة العلماء في تاريخنا للفلسفة لم تكن أبداً مواجهة للعقل، ورفضاً للعقل، كما يروج لذلك أعداء هذا الدين، ومناوؤه، وكيف يصح ذلك والعقل في ديننا له قيمة لم يمنحها له أي دين بل ولا أية فلسفة عرفتها الجاهليات المختلفة! فالعقل في ديننا مناط التكليف، وأساس التعرف على الله تعالى والتقرب إليه، وما زال الله سبحانه يحث على التفكير والنظر، ويوجه بضرورة تنمية العقل، حتى إنه حرم كل ما من شأنه أن يشوش على العقل أو يزيّف نظره، كتحريم الخمر، والشرك، والخرافة، والقول بغير علم. وحسبك أن تعلم أن الله تعالى لم يذم العقل والفكر قط، بل إنه أشار إلى أن أحد أسباب دخول أهل النارِ النارَ هو عدم استعمالهم للعقل. ومن ثم، فالفقهاء الذين رفضوا الفلسفة وشنّعوا على من رفع شعار العقل، إنما كانوا في الواقع يرفضون "العقل اليوناني" بعد أن توهم المنبهرون به من بني جلدتنا أنه "عقل كوني مطلق" وأنه "مرجعية معيارية نهائية"، وأنه "لا ثقة بشيء من العلوم ما لم يُسلك سبيل التفكير اليوناني"، جاهلين أو متجاهلين أن العقل اليوناني نشاط حدث في إطار الشخصية اليونانية، وروافدها المختلفة، من لغة ومجتمع وتاريخ وثقافة وديانة. ولذلك فالدعوة الضمنية ــبل والصريحةــ لأهل العلم كانت بضرورة تجاوز العقل اليوناني، وأن الوحي الإلهي المتمثل في القرآن والسنة هو الذي يجب اتخاذه مرجعية معيارية عليا، وإطاراً لتأسيس النظر العقلي، إذ إن الوحي الإلهي "الإسلامي" يتيح للعقل النماء والارتقاء بما لا يمكن أن يطمع فيه العقل اليوناني أو غيره من العقول المتفقدة لمرجعية الوحي المعصوم. معركة الفقهاء ــإذنــ مع الفلاسفة الذين انبهروا بالعقل اليوناني، كانت في أساسها معركة مرجعيات، ومعركة عقل رباني يستقي تصوراته ويتلقى عقائده، ويبني مبادئه ومعاييره من الوحي الإلهي المعصوم، مع عقل أهوائي بروافده الوثنية ورواسبه الاجتماعية الخاصة بالشخصية اليونانية.

248. ضرورة العدة للزوجة

العدة للمرأة بعد الطلاق أو وفاة الزوج؛ شريعة إسلامية متميّزة، تحمل دلالة ساطعة على إدراك الإسلام لنفسية المرأة، فيمكن القول بأنّ تشريع العدة جاء مراعاة لمجموعة من الأمور الخاصة بالمرأة، وهي: إعطاؤها فرصة للتعامل مع الوضع الجديد بعد أن أصبحت بلا زوج. وفرصة للتأمل في حياتها الزوجية السابقة بايجابياتها وسلبياتها. أما على المستوى الجسدي، فالعدة تعطي فرصة للمهبل لكي يجدد نفسه، إذ ماء كل رجل يحتوي على معلومات مشفرة مختلفة عن ماء أي رجل آخر. فالمهبل خلال الزواج يتعود على التعامل مع شفرة ماء الزوج ويبرمج نفسه على ذلك، ولكي يكون مستعداً للتعامل مع ماء رجل آخر، يحتاج لمدة زمنيّة تقارب مدة العدة الشرعيّة. ومن هنا؛ فالعدة تتضمن بُعداً نفسيّاً وأخلاقيّاً واجتماعيّاً،

وليس لمجرد استبراء الرحم، وبما أننا اليوم نستطيع معرفة هل هناك حمل أم لا، إذن يكفي عمل تحليل طبي، وإذا ثبت عدم احتواء الرحم على حمل، فلا معنى للعدة! وهذا كما ترى مصادمة لشرع الله تعالى!

249. حقيقة التنمية البشرية

من خلال مطالعاتي في مجال التنمية البشرية، أستطيع أن أقرر بأنّه مجال محفز ومثير، يجعلك تشعر كأنّ روحاً حياة جديدة تسري في كيانك، لأنّك تستطيع أن تحقق كل ما تريد! لكن؛ هناك جانب مخفي وصامت، فالتركيز على قوى العقل الفائقة، اللاشعور الباطني، الطاقة الداخلية، القدرات الخارقة التي يتمتع بها الإنسان، وهذه شعارات مشحونة برؤى فلسفية مناقضة للعقيدة الإسلامية، أقول هذا التركيز نتيجته هي تضخم الذات في المتلقي والقارئ، فيتوهم بأنّه فعلاً يستطيع أن يحقق كل ما يشاء، يكفي فقط أن يريد ذلك وأن يلتزم ببعض التمارين! وهكذا يجد المسلم نفسه قد ألغى اللهَ ﷻ من حسابه! إن هذا التصور هو في الحقيقة (مخدر) للإنسان، والذين يمارسونه إنما يبيعون الوهم للشباب! إن العقيدة الإسلاميّة تقرر للمسلم أن مشيئته مرتبطة بمشيئة الله تعالى، وأن هناك سنناً ربانيّة في الحياة، ومن ثم، لا يمكن أن كل يحقق ما يريد.

250. إلهان اثنان

لماذا لا يوجد إلهان اثنان؟ الجواب هو: لأنّ شرط الألوهيّة هو الكمال المطلق في الذات والصفات، وهذا الكمال اللانهائي يعني أنّه يستحيل على العقل المخلوق أن يحيط به علماً. ببساطة لو لم يكن للإله الكمال اللانهائي في ذاته وصفاته، لكان محدوداً، ناقصاً، عاجزاً، وضعيفاً، ومن ثم، لا يمكن من الناحية العقلية أن يكون إلهاً، لأنّه فاقد لشرط مفهوم الألوهية. فإذا افترضنا وجود إلهين اثنين، فلا مانع من افتراض وجود آلهة كثيرة جدّاً، ولن يكون أحدها أحق بالكمال المطلق من باقي الآلهة، وهذا لا يستقيم على منهج العقل، إذ إن تصور كمال هذا الإله ينفي الكمال عن الإله الآخر، فأحدهما بالضرورة لا يكون إلهاً. والسؤال الأهم: أين الإله الثاني أو الثالث؟ لماذا لم يعرفنا بنفسه عبر رسول يبعثه إلينا؟

251. الدين والعلم

حين تُطرح مسألة علاقة الدين بالعلم، وأن هناك صداماً بينهما، وبطبيعة الحال يذهبون مذهب التفضيل للعلم والإزراء على الدين، هنا من حقنا أن نسأل أي دين يقصدون؟ فهناك دين الإسلام، ودين

النصرانية، ودين الهندوسية، وغير ذلك من الأديان؟ وليست هذه الأديان سواء، وإن حرص هؤلاء المزيفون للحقيقة على عرض الأمر على أن كل الأديان سواء. ثم نسأل أي علم يقصدون؟ فهناك علم يتعلق بالإنسان، وعلم يتعلق بالحيوان، وعلم يتعلق بأشياء الأرض، وعلم يتعلق بالكون الخارجي، وغير ذلك، كما أن هناك الفرضية العلمية، وهناك النظرية العلمية، وهناك الحقيقة العلمية، فأي قسم من كل هذه الأقسام يقصدون؟ ثم نسأل هل مطلق العلم مع صدام مع مطلق دين الإسلام بما أننا مسلمون ولا يعنينا شأن النصرانية أو غيرها؟ أم أن هناك فقط معطيات معينة يقال إنها في صدام مع الإسلام؟ وهل هذه المعطيات المعينة فرضيات أم نظريات أم قطعيات؟ وهل القول بتصادمها مع الإسلام ناتج عن نص قطعي في الإسلام إن كان قرآناً يكون قطعياً في الدلالة وإن كان في السنة يكون قطعياً في الثبوت والدلالة أم هو فهم جزئي للقائل بالتصادم أو فهم جزئي منقول عن أحد العلماء؟ فهذه بعض الأسئلة التي ينبغي أن تشدد عليها خلال مناقشة هذا الموضوع، ولا يحسن بك أن تنخدع لهم بفكرة (الدين يتصادم مع العلم الحديث)، فهذه الفكرة أحبولة إبليسية ينشدون بها إيقاعك في الفخ.

252. يربحان معاً أو يخسران معاً

العلاقة الزوجية مثل علاقة الفراش بين الزوجين، لها حالتان لا ثالث لهما: إما (**التعاون**)، وهذا يعني: اللذة الماتعة، والسعادة الدائمة، والانسجام المتواصل، والاستقرار الثابت، رغم ما قد يتخللها أحياناً من فتور وتراجع في التفاعل. وإما (**الشقاق**)، وهذا يعني: الألم القاسي، والحرمان العنيف، والتنافر المتوتر، والاضطراب القلق. في الحالتين معاً؛ من الواضح أنّه بقدر ما يكون هناك تعاون فعّال تكون النتائج أكثر إيجابية وتشجيعاً ورغبة في مزيد من العطاء والتضحية، وبقدر ما يكون هناك تعاند وشقاق تكون النتائج سلبية ومحبطة ونفوراً عن مزيد من العطاء. للأسف فإنّ كثيرين لا ينتبهون لهذه الحقيقة تحت ضغط أوهام وخرافات وأفكار، فيدفعون الثمن باهظاً!

253. طريق الدعوة

طريق الدعوة إلى الله سبحانه؛ ليس مفروشاً بالورود والأزاهير، بل هو طريق فيه الكثير من الأشواك والعراقيل! في هذا الطريق ستجد مَن يشكك في نواياك، وستجد مَن يتهمك في شرفك، وستجد مَن ينفخ فيك روح الإحباط واليأس، وستجد مَن يقلل من شأن ما تقوم به، وستجد مَن يحاربك حتى بأقذر

الوسائل، وستجد مَن يتتبّع زلاّتك وأخطائك! إنها سنة الله تعالى في الأنبياء والصالحين من قبل. إنّها ليست دعوة للصدام، بل من الحكمة تفاديه ما أمكن، ولكنها بيان لحقيقة هذا الأمر وطبيعة السير فيه.

254. التوكل والأسباب

في التصور الإسلامي، الأخذ بالأسباب الممكنة لا يتعارض مع التوكل، والتوكل على الله سبحانه لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب الممكنة، بل هما مطلوبان معاً، مثل جناحي الطائر لا يستطيع الطيران إلا بهما معاً. وذلك يرجع إلى أن الإسلام يقرر **(أولاً)** هذا الوجود بما فيه خلق لله تعالى وملك له، ولهذا لا يكون شيء إلا بإذنه وإرادته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. **(ثانياً)** الحق تبارك شأنه وضع لحركة الإنسان نظام سنن ثابت وصارم، تؤدي فيه المقدمات إلى النتائج، فمن أهمل مراعاة هذه السنن فعلى نفسه جنى ولربه عصى. **(ثالثاً)** الإنسان له الحرية والإرادة والقدرة على الاختيار، وهو فاعل حقيقة لمختلف تصرفاته ومواقفه واختياراته، ولذلك هو مسؤول مسؤولية كاملة. في إطار هذه العناصر الثلاثة، كان ترك الأسباب بالكلية أو الاعتماد عليه بالكلية مناقضاً لمبادئ الإسلام وأسس العقيدة. ولهذا تجد في القرآن والسنة والسيرة الكثير جدّاً من مؤكدات حقيقة تكامل التوكل والأسباب.

255. شعبوية النسوية

الذي يتم عمله اليوم، بل ومنذ عقود، هو تحويل الرؤية النسوية الفلسفية إلى تصورات شعبية بين البنات والنساء، عبر تحييد النقاش في الأسس الفلسفية ولوازمها الكامنة، وكذا، النقاش حول السياق الاجتماعي والتاريخي الغربي الذي نشأت فيه الرؤية النسوية! وهذا كما يحدث مع الإلحاد، فالإلحاد يتم تحويله إلى قناعة شعبية بين الصغار والمراهقين والشباب، عبر خطابات "شعبوية" و"سطحية" و"مختزلة"! هذا التحويل له نتائج مهمة جداً بالنسبة للأهداف الكلية على المدى البعيد لسماسرة النسوية، فهم يدركون أن النقاشات النظرية للأسس الفلسفية للنسوية ليست من شأن عموم النساء والبنات، كما أنهم يدركون أن الطرح النظري لابد أن يتقاطع مع المصارحة الرافضة لمنظومة العقيدة والشريعة الإسلامية، وهذا وذاك سيخلخل الخطة وسيحد من انتشار التصورات النسوية وأفكارها، ومن ثم، لا شيء أفضل من تحويل القضية إلى خطابات شعبية، سطحية، مختزلة، تدغدغ نفوس البنات والنساء، من خلال الإيهام بأن الهدف هو المطالبة بحقوق المرأة المهضومة لا أقل ولا أكثر، خصوصاً مع وجود بيئة اجتماعية واقتصادية وإعلامية

خصبة لتحقيق هذا الانتشار! ولهذا السبب تجد "طالبات جامعيات في تخصص شرعي تتبنى إحداهن هذه التصورات دون انتباه لأصولها الفلسفية وصدامها مع منظومة العقيدة والشريعة الإسلامية!

256. مقاصد التعدد

لا توجد امرأة يمكن أن ترحب بالتعدد صادقة من نفسها، فالأمر له ارتباط بطبيعة الأنوثة. لذلك يجب احترام رفض الزوجة للتعدد من حيث المبدأ. ثم؛ يأتي دور الحوار البنّاء لشرح المسألة والحرص على الإقناع. نعم، هناك زوجات تتعامل مع التعدد بأبعاد مختلفة، **(البُعد الأخلاقي)**، أي رغبتها في المساهمة من تقليل "العنوسة"، و**(البُعد الاجتماعي)**، أي رغبتها في تماسك المجتمع من التفكك، و**(البُعد الديني)**، أي رغبتها تحصيل الثواب لمجاهدتها نفسها من أجل تكثير المسلمين ومساعدة أخت مسلمة لتلبية نزعاتها الفطرية. ومع هذا يجب الاعتراف بأنّ ما يقوم به بعض الرجال والكيفية التي يعرضون بها مسألة التعدد، غير مقبول بتاتاً، بل ينم ذلك عن قلة الوعي! فأي فائدة يجنونها من تصوير إباحة الإسلام للتعدد على أنه حكم ضد المرأة، ويجب عليها الخضوع لها وإلا كان عاقبتها الغضب والعذاب!

257. عرب الجاهلية

من السفاهة أن يأتي قومٌ في عصرنا الحاضر، لا يدعون نقيصة إلا ألصقوها بعرب ما قبل عصر النبوة، رغبة منهم في إثبات قيمة القرآن الكريم! إنّهم لا يدركون أن مضمون كلامهم تهمة شنعاء للقرآن نفسه وقيمته المعرفية والقيمية! وذلك كلامهم يتضمن فكرة أن القرآن نزل على قوم سُذج أغبياء، يتمتعون بضحالة وسطحية لا تختلف عن غباء وسطحية همج أدغال إفريقيا أو غابات الأمازون أو جبال أوروبا! وكيف يصح هذا، والله سبحانه وصفهم بقوة العارضة في الجدل والحجاج: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم/97]، كما وصفهم باتساع المكر والدهاء: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم/46]. وكانوا إذا أنصتوا للقرآن يكاد فؤاد أحدهم أن ينفلق لشدة وعيهم لدلالات الآيات وأبعادها المختلفة. إن اصطفاء الله سبحانه العربية والعرب لرسالته دليل ساطع على تهافت تلك الدعوى!

258. لذات الدنيا

من عجائب لطائف رحمة الله تعالى؛ أنك لا تجد شيئاً من لذّات الدنيا ومباهجها، إلا وتجده محفوفاً بالأقذار والمشاق، وممزوجاً بالمخاوف والإرهاق! وذلك ليعلم أولوا الألباب أن هذه الدار ليست لهم بدار،

وإنما هي محطة يوشك عنها الرحيل، وأنهم ليسوا بأبناء هذا العالم الفاني، وإنما دخلوه كعابر سبيل إلى وجهة أخرى، فلا يغترون بهذه الدنيا ولا يألفونها ولا يلهثون وراء تلك اللذات والمسرّات. ولك عبرة بأعظم لذات الدنيا الحسيّة كلها، هي لذة النكاح، إلا أنّها قد جمعت عجائب، فهي سريعة الانقضاء، منتنة الرائحة، مرهقة متعبة، ولا يحصل عليها صاحبها إلا من أقذر موضع في الجسم! فسبحان الحكيم الخبير!

259. توهين الولاء والبراء

من أعظم انتصارات الدجاجلة المعاصرين والعلمانيين المنافقين، أنهم استطاعوا توهين وتهوين عظمة الإسلام وتميزه في عقول الشباب ونفوسهم، فصار الشاب المسلم لا يرى تميزاً بينه وبين النصراني واليهودي والبوذي، وغيرهم!! بل الأدهى أنهم استطاعوا ترسيخ فكرة خطيرة جداً وهي أن معيار الأفضلية والتميز ليس العقيدة والديانة بل ما يسمونه بالأخلاق الإنسانية كالمحبة والتسامح!! والحقيقة أن من أهم مقاصد النبوات، خصوصاً النبوة المحمدية، مقصد التمييز بين المسلمين والكافرين، لأن الإسلام لا يؤمن بخرافة وحدة الأديان أو وهم الأخلاق الإنسانية، بل معياره الوحيد هو العقيدة الربانية الحقة. وبهذا يمكن أن نفهم بأن الغاية النهائية من هذه الخطة، إضعاف الشعور بتميز الإسلام، ورفع معيارية القيم الإنسانية، هي الفصل البطيء للمسلم عن الإسلام، لينتج عن هذا، أنه لن يعود يتعامل مع الأشخاص والأحداث والأفكار بميزان العقيدة والأحكام الشرعية وقيم الإسلام، بل كما قلنا بميزان القيم الكونية التي هي واقعاً قيم حددها الغرب في إطار رؤيته المادية العامة، واستراتيجيته للهيمنة العالمية.

260. محبة الطفل

محبة الطفل غريزة في كل أم وكل أب، فالطفل قطعة من الروح والجسد، وهو الذكر الباقي بعد لحظة الوفاة. لكن، من الأخطاء التي يكون دافعها هذا الحب الكبير للطفل، هو أن تمنعيه من خوض التجارب لاكتساب المهارات والخبرات، بدعوى الخوف عليه! فلا شك أنّ التصرف غير طبيعي وله عواقب وخيمة جدّاً، فعندما تحرمين طفلك من الاكتشاف واكتساب الخبرات، ومن ثمَّ تحاصرينه بالتوجيهات والتعليمات المرهقة، فاعلمي أنّك لا تفعلين شيئاً سوى أنّك تُسهمين في اغتيال شخصيّته وتحرمينه من النمو الطبيعي! إن تجربة واحدة يخوضها الطفل، أهم في تشكيل شخصيّته من عشرات النصائح والتوجيهات التي يُمكن أن تقدمينها له وهو محروم من التجارب! نعم، ينبغي ضبط الطفل وتأديبه على الالتزام واتّباع القواعد، لكن من المؤكد أنّه يحتاج للنشاط التلقائي ليكون فرض الأدب والتزام القواعد معنى وقيمة.

261. قيمة الرسول صلى الله عليه وسلم

من الفروق البارزة بين النبي محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من مُدّعي النبوة، أنه عليه الصلاة والسلام ثبت إلى آخر لحظة على مبادئه العقديّة والأخلاقية والتشريعيّة التي جاء لينشرها ويرسخها في العقول والقلوب، كما أنه عليه الصلاة والسلام مارسها في نشاطات حياته وعلاقاته المختلفة بكل صدق وإخلاص، وبكل عمق وسمو، وبكل حماس وتفان. لقد استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم ــ بتوفيق الله ﷻ ــ أن يترجم بصورة دقيقة كيف أن الإسلام منهج حياة شامل ومتكامل، يمكن أن يعيشه الإنسان وأن يكيّف حياته حسب تعاليمه. أما غيره من مدعي النبوة فكانت قصة حياتهم على صورة أخرى، فلا هم جاؤوا نظرياً بما يصح أن يكون أدلة على النبوة، ولا هم عاشوا حياتهم بما يصح أن يكون براهين على أنهم أنبياء، بل في الجانب النظري جاؤوا بالتناقض والتهافت وسخف القول والرأي، وفي الجانب السلوكي لم يكونوا أفضل من الفجار الفسّاق الطغاة الجبابرة الذين يتبعون أهواءهم!

262. بساطة العقيدة الإسلامية

أجمل شيء في العقيدة الإسلامية، أنها عقيدة بسيطة فطريّة، وأنها عقيدة وثيقة الصلة بالحياة، فلا هي بالألغاز المعقدة، ولا هي بالتصورات الذهنية الباردة البعيدة عن نشاط الحياة وحركتها، فكل ما يحتاجه الإنسان من المعارف العقدية قد بسطه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بأقرب عبارة وأحسن بيان وأعمق دليل، ولذلك يقبلها مختلف طبقات الناس حين تُعرض عليهم عرضاً صحيحاً، ودخول الكثيرين من مختلف الفئات والطبقات والأعراق والاتجاهات قديماً وحديثاً خير دليل. بل هناك عجيبة أخرى؛ وهي أن الذكي والمفكر والموسوعي حين يحاول فهم هذه العقيدة الربانيّة بشكل مختلف عما يفهمه المسلم البسيط السليم الفطرة، يقع في إشكاليات وشبهات، كما يجد من الحيرة والتوقف والشكوك ما الله به عليم، كما تراه في تراث المتكلمين والمتفلسفين!

263. محاربة الإسلام

حين يملك الإلحاد السلطة يتتبع الإيمان حتى في أعماق البيوت؛ بل وفي مجاهل الخطرات النفسية! حدث هذا في الاتحاد السوفيتي حين حارب الإسلام والنصرانية، واليوم نشهده في الصين الشيوعيّة الملحدة وهي تحارب المسلمين الإيغور، وتشدد الضغط عليهم لكي ينسلخوا عن إسلامهم وعقيدتهم، وكما حدث في كل مكان تمكن فيه الإلحاد من السلطة! وهذا أيضاً ما يحدث في بلدان العالم الإسلامي بعد سيطرة

العلمانية على مقاليد الحكم، فتراها دائبة في سلخ المسلمين عن دينهم بالتعليم، وترسانة القوانين، والإعلام، وتغيير أحكام الشرع، والتضييق على أهل العلم والدعوة. إن طبيعة الإلحاد والعلمانية لا يمكنها أن تقبل بالإيمان والتعايش معه، بل تندفع لإقصائه ومحاربته بكل عنف وضراوة كلما أمكن ذلك. فعبث الإلحاد لا يمكن أن يقبل مسؤولية الإيمان، ودنس الإلحاد لا يمكن أن يقبل نظافة الإيمان، وفوضى الإلحاد لا يمكن أن تقبل نظام الإيمان! هذه هي الحقيقة الثابتة رغم تلك الشعارات البرّاقة التي يرفعونها لغرس فكرة أن الإلحاد هو السبيل الوحيد لتحقيق التسامح والمحبة والسلام والرفاه للبشرية!

264. زنا وليس خيانة

في الديانة العلمانية، يقولون عن زنا الزوج أو الزوجة، (خيانة زوجية)! والسر في هذه التسمية يرجع إلى أن العلمانيين يعتبرون الأمر، مسألة خاصة، وحرية شخصية، وشأن متعلق بطرفي الزواج، ولا دخل لغيرهما في ذلك، ولهما وحدهما حق تقرير مصير ومستقبل علاقتهما الزوجية بعد هذا الفعل، فإن شاءا الاستمرار فلهما ذلك وإن قررا الفراق فلهما ذلك! أما في الديانة الإسلامية، فذهاب الزوج إلى امرأة غير زوجته أو الزوجة إلى رجل غير زوجها لا يسمى خيانة زوجية، بل له وصف آخر واسم آخر، وهو أنّه جريمة زنا، وإثم عظيم، وموبقة مهلكة. لأن الإسلام لا يعتبر ممارسة أحد الزوجين للجنس مع غير زوجه شأناً خاصّاً، وحرية شخصية، لهما وحدهما فقط أن يعالجا الأمر بينهما كما يرغبان، بل يعتبر هذه الجريمة والموبقة العظيمة انتهاكاً لحق الله تعالى، ولحق جماعة المسلمين، ولحق دستور الوحي، ولحق ناموس الفضيلة، ولذلك رتَّب على اقترافها عقوبة أليمة وتوعد صاحبها بالعذاب الشديد.

265. الرتابة المملة

خذ حذرك من الرتابة المملَّة في نشاطات الفكر والسلوك، وفي طريقة تفاعلك مع الأشخاص والأشياء والأحداث! فالرتابة تبلّد الحس وتغتال العقل وتخنق الروح، ولهذا تجعلك تشعر بالغربة، والاضمحلال والتفكك! وينتج عن ذلك كله فقدان الإحساس بالمعنى والغاية والمسؤوليّة! وفي توجيه النبي صلى الله عليه وسل: ﴿أكثروا من ذكر هاذم اللذات﴾ [صحيح ابن حبان]، وتقرير الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة/18]، علاج لآفة الرتابة. وذلك لأن التذكر الدائم للموت والمصير المحتوم بعد الموت يحرر النفس من قبضة المادية واللهاث المسعور وراء شهواتها، كما أنّ بيان الله ﷻ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك/2]، يشحن العبد المسلم بحس

المسؤوليّة الدائمة، فهو في الدنيا عابر سبيل يمكن في أية لحظة أن يغادرها إلى عالم الخلود الأبدي، الذي هو عالمه الحقيقي.

266. اقتضاء العقل لوجود الله تعالى

اقتضاء العقل لوجود الله تعالى أعظم من كل اقتضاء. فطبيعة العقل تستلزم بالضرورة وجود خالق هو مصدر وسبب هذا العالم، بما يعج به من أشخاص وأشياء ونظم ومكونات وعلاقات فيزيائية. ولهذا استحال أن ينفي الإنسانُ وجودَ الله تعالى من حيث الفكرة والمبدأ، إلا لو استطاع أن يحذف مبدأ السببيّة من عقله. ولهذا قالت الأنبياء لأقوامهم المنكرين: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم/10]. هذا الاقتضاء هو الذي يجعل الملاحدة يبتكرون آلهة مختلفة، كالقول بأن الطبيعة أزلية، أو أن قوانين الفيزياء كافية لنشأة الكون، أو أن كائنات فضائيّة هي سبب الحياة على الأرض!

267. مفهوم الجاهلية

الجاهلية ليست مرحلة زمنية معيّنة ولّت وانتهت، كما يتصور كثيرون، ويربطونها بما قبل الإسلام! بل نقول الجاهلية وثيقة الصلة بشروط وجودها في حياة الإنسان والمجتمعات، أي إنّ مفهوم الجاهلية في جوهره فكرة وعقيدة ورؤية، يتشكّل في إطارها النشاط الإنساني بمختلف مظاهره وتشعباته، الثقافي والسلوكي، الفردي والاجتماعي. ولهذا؛ فالجاهليّة تتحرّك في التاريخ بقدر ما يتوفر لها من شروط الوجود والحياة والنماء، وتنتفي بقدر ما تنتفي هذه الشروط. ويمكن القول بأن هناك جاهلية جزئية وجاهلية شاملة، والمقصود بالجاهلية الجزئية أن يكون الإطار العام للفرد والمجتمع هو الإسلام، لكن هناك الكثير من المخالفات لهديه، والمقصود بالجاهلية الشامل أن يكون الإطار العام للفرد والمجتمع غير الإسلام، بل الأهواء والتقاليد والعلمانية والتوصيات الخارجية. ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم بأن المهدي سيخرج في آخر الزمان ليعيد الحكم بالإسلام فلا يقبل غيره، ثم ينزل عيسى عليه وسلم داعماً لهذا المعنى.

268. مسؤولية الزواج

شباب من الجنسين يسألونني (نرغب في الزواج، لكننا نخاف ألا نكون في مستوى المسؤولية، ونخاف من المأساة التي يعيشها كثيرون). هذا الخوف ناتج عن **(1)** النظرة المثالية للزواج، بتأثير الخيال الجانح أو المسلسلات الغرامية. **(2)** النظرة المتشائمة للزواج، بتأثير كثرة قصص الطلاق والصراعات الزوجية. **(3)**

النظرة المختزلة للحياة، بتأثير الغفلة عن طبيعة الدنيا والإنسان والواقع. ولهذا، من المفيد أن يدرك هؤلاء الشباب أن السعادة الزوجية لا تعني حياة خالية من بعض المشاكل والمنغصات وحتى بعض الصدامات، بل حين تخلو من كل ذلك على طول الخط فهي في الحقيقة ليست على ما يرام. دورك هو أن تحرص على أن تكون زوجاً رائعاً، وهذه الروعة لا تعني أنك خال من بعض العيوب والنقائص، وإنما تعني أنك حريص على تطوير الإيجابيات وتقليل السلبيات، وأنك عندما تقع في خطأ تبادر سريعاً للإصلاح. حين تكون كذلك وتحرص عليه، تكون قد أدّيت دورك الواجب عليك. أما الآخر، فإن كان قائماً بدوره فذلك حظك السعيد، وإن كانت الأخرى فذلك حظك المؤسف، ولا تلام على ذلك. لقد عشت سنوات طويلة بين أمل وألم، بين سعادة ومأساة، فلماذا تنتظر أن تكون حياتك الزوجية مفروشة بالورود والأزاهير على طول الخط؟!

269. تأثير وسائل التواصل

ساهمت وسائل التواصل الاجتماعي في هيمنة الأهواء وتضخم الأنا الشخصيّة. فهذه الوسائل فتحت المجال واسعاً وبدون حدود ولا قيود لكل أفراد المجتمع أن يكتبوا ما شاؤوا من السخف والتفاهة! وأن يناقشوا ويعترضوا على الآخر حتى وإن كان يسبقهم بسرعة الضوء في الوعي والمعرفة والإدراك! وفي سكرة المنشورات والتعليقات، مع الجهل بأصول العلم وضوابط المعرفة وآداب التعبير والحوار، من الطبيعي أن تخفق رايات الأهواء عالياً، لأن الكل يريد أن يكون البطل المنقذ، ولأن الكل يعتبر أطروحاته هي الحل الأمثل، ولأن الكل يرفض أن يخسر المعركة وينسحب منها! إنه لأول مرّة في التاريخ استطاعت طبقة الجهّال أن تنشئ لنفسها سلطة معنوية قوية!

270. اقتضاء العقل للنبوات

النبوات من أبرز مقتضيات العقل ومتطلّبات الفطرة. فالعقل بطبيعته يميل دائماً للحصول على معرفة يقينية عن الذات والإله والعالم والمصير، غير أنّ أقصى ما يمكنه الحصول عليه هو المعرفة المجملة. أما التفاصيل حول أصل الإنسان، حقيقة الخالق، الطريق الموصلة إلى السعادة الدنيوية والأخروية، فهذه كلها وغيرها من الأسئلة الوجودية الجوهرية، لا يمكنه الحصول عليها وإدراكها بنفسه، إلا أن يكشف له الخالق سبحانه تفاصيل ذلك بحسب ما يطيق تحمّله من المعارف، وهذا لا يكون إلا بالنبوات. ولهذا كانت النبوات أعظم مصدر للكمال البشري وأعظم نعمة ربانيّة على الإنسانيّة.

271. حقيقة العلم الطبيعي

العلم الطبيعي بمختلف فروعه النظرية والتجريبية؛ يتضمن افتراضاً مفاده يمكننا صياغته على الشكل التالي: «هذا الكون رغم أنّه دقيق البناء، ومحكم التركيب، وفي غاية التعقيد، إلا أنّنا يمكننا التعرّف عليه واكتشافه». ولولا هذا المعنى الكامن في نشاط العلم والعلماء، إذن لكانت سيرة العلم عبر التاريخ مجرد عبث أو ترف أو حماقة! ومن هنا، فالعلم ليس سوى عمل دؤوب واجتهاد مستمر للكشف عن أسرار هندسة الكون والحياة، وهذا يعني أنّ العلم لا ينشئ حقيقة كونية، بل وظيفته ودوره هو العمل على اكتشافها في شتّى مظاهرها، من حيث العناصر والعلاقات، ومن حيث القوانين الناظمة والضابطة. ولهذا ما زال القرآن يحث ويوصي بالنظر والتفكر في آيات الله تعالى في الكون، ففي ذلك دلالة على ما قلت من إمكانية التعرف والاكتشاف، وهو ما قرره القرآن نفسه بفكرة التسخير الإلهي للكون للإنسان، وفيه دلالة مهمة جداً، وهي أن التأمل في الآيات الكونية والبحث فيها واكتشاف أسرارها من أعظم أسباب الترقي في معرفة كمال الله تعالى وعظمته وجلاله، فهذا الوجود كله ليس سوى مرايا لأسماء الله وصفاته.

272. أهمية الهدية بين الزوجين

الرومانسيّات بين الزوجين مهمة جداً، فهي تضفي على الحياة الزوجية البهجة والسرور، وتمنح الزوجين شعور الحب والدفء والحنان والشوق والإعجاب. ومن أجمل هذه الرومانسيات المعبرة التّي يمكن أن يفعلها الزوجان: تبادل الهدايا. ذلك لأنّ الهدية تختصر الكثير من الكلام، وتصور الكثير من المشاعر، وتعكس الكثير من الأشواق. فرسالة الهدية التّي ينشد المهدي إيصالها إلى شريكه هي: أنا أفكر فيك كثيراً، أنا مهتم بك جدّاً، أنت معنى كبير في حياتي، أنا حريص على البقاء معاً حتّى لحظة الموت. ولهذا كانت الهدية بين الزوجين من أعظم أسباب توطيد المودة بينهما ورفع منسوب الحب في القلب، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿تهادوا تحابوا﴾. والهديّة بهذا الاعتبار لا تتعلّق بقيمتها الماديّة، بل بإيحاءاتها النفسيّة والعاطفيّة.

273. الفكرة والفعل

في الحالة الطبيعية يكون الإدراك الجلي للفكرة سبباً في تعميق الشعور بها وجدانيّاً، والاتحاد بينهما يُولّد الحرص على الممارسة التطبيقيّة. ثم إنه بقدر الممارسة التطبيقيّة للفكرة يتعمق الشعور بها وجدانيّاً، وبقدر الشعور بها يتجذر الوعي بها معرفيّاً، وهكذا يظل الأمر دائراً بين تأثير وتأثر، الكل يؤثر في الكل

والكل يتأثر بالكل. هذه هي طبيعة الإنسان، فهو في الحقيقة فكرة وفعل، ولا يمكن أن ينفصل فعله عن فكرته، ولا فكرته عن فعله. هنا يمكننا اكتشاف سر اقتران الإيمان والعمل الصالح دائماً في المدونة القرآنيّة. وإنما كان هذا الاقتران من أجل أنّ الإيمان مُدرك عقلي وشعور وجداني، والعمل الصالح هو التطبيق لذلك المدرك وذلك الشعور. ولذا قال علماؤنا السابقون: (الإيمان اعتقاد بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان).

274. اقتضاء الفطرة للأبدية

الأبدية مُكَوِّن أصيل في فطرة الإنسان، فالإنسان بطبعه ينزع نحو الكمال المعرفي والنفسي، إذ بقدر ما يحقق منهما بقدر ما يشعر بالقيمة والتقدير والاعتراف، ولذلك هو عمليّاً لا يعيش الآن بل يعيش دائماً في المستقبل، تفكيراً وتخطيطاً وأحلاماً. لكن في إطار كون دنيوي محدود وضيّق وقاصر، يكتشف الإنسان أنّ هناك طاقات هائلة تموج في أعماقه لا يستطيع تفعيلها وتنشيطها، فهو يبحث عن الكمال، الجمال، السعادة، الخلود، الحريّة، وطبيعة الدنيا بظروفها وعراقيلها وإكراهاتها تمنعه من ذلك، فلا يجد سوى الحنين إلى عالم لانهائي تتحقق فيه كل تلك الأشواق والطاقات. وبسبب هذه النزعة الجوهريّة في طبيعة الإنسان، وجدنا الملاحدة يحتجون على عدم وجود الله تعالى، بدعوى أن هذه الدنيا التي نعيش فيها مليئة بالقصور والشرور، ومحاطة بالحدود والقيود!

275. الإنسان الحداثي

الإنسان الحداثي بسبب الانفصال عن الإله يعيش حياته بأسلوب (اللحظة العابرة)! هذا الأسلوب يفرض عليه الحرص على استغلال كل لحظة للحصول على مزيد من المتعة! وهذا اللهاث المسعور بدوره يفرض عليه الحرص على الاستبدال السريع، طلباً لمتعة جديدة غير مكتشَفَة! كل ذلك يقوم به لأنه يعتقد أن ليس له فرصة إلا مدة حياته، ثم يصير هباء في مجاهل العدم! ولهذا يشعر بضرورة المسارعة والانغماس في المتعة قبل فوات الأوان! والحقيقة أن هذا اللهاث المحموم يخفي شعوراً عميقاً بأفول الذات! ولذلك حتى في قمة المتعة يشعر الفرد الحداثي بالاغتراب، والوحدة، والتمزق، بل بقدر ما ينغمس في أوحال المتع واللذات يتضخم في نفسه ذلك الشعور المفزع العنيف! في هذا الإطار يبدو من الطبيعي أن تتمزق الأواصر الاجتماعية، لأن الكل يبحث عن متعة جديدة، وليس لديه وقت للتوقف!

276. الجماع والحب

السر في تقوية الجماع لمشاعر الحب بين الزوجين وتهييج عواطفهما الوجدانيّة المختلفة، يتجلّى في أنّ الإنسان عندما يمتلئ بالحب؛ يميل تلقائياً إلى تحقيق هذا الذوبان الوجداني مع حبيبه في شكل فعل مادي، يكون بالاتحاد معه جسديّاً، ومن ثمَّ يحرص على الاقتراب منه أكثر، لأنّ الاتحاد الجسدي لا ينفك عن الاتحاد الروحي. ثم عند تحقيق هذا التماهي الجسدي والنفسي في شكل الممارسة الجنسيّة، ينتقل الإنسان إلى رغبة أخرى، وهي تخليد هذا الحب بينه وبين حبيبه، في شيء ظاهر ملموس، وهو معنى الإنجاب. فلستَ تجد زوجين محبين لبعض إلا وهما يحرصان على الإنجاب، ليس فقط بدافع غريزة الأبوة والأمومة فيهما، بل أيضاً بدافع تخليد حبّهما الجميل في شكل طفل.

277. الانبهار بالفكر الغربي

بئس ذلك الإنسان، الذي قرأ شيئاً قليلاً أو كثيراً في فلسفة الغرب، فانتفخ عجباً وغروراً، فلم يترك نقيصة إلا ألصقها بأمتنا وتراثنا وعلمائنا! ومن عجب أنّك لا تجد لأحد منهم ابتكاراً وإبداعاً، بل مجرد ترداد واجترار لما يدور في الفضاء الفكري والفلسفي الغربي، وإعادة تدوير إشكاليتهم الناتجة عن سياقهم التاريخي والاجتماعي والحضاري، وطرحها باللغة العربية كأنّها إبداع متفرّد أنشؤوه إنشاءً! إن أحدهم يظن أنّ كثرة التأليف في استعراض المذاهب الفلسفيّة الغربية وشحن المقالات والمؤلفات بالمصطلحات الغربية، يجعل منه فيلسوفاً قديراً ومفكراً عظيماً، وهو ليس سوى ببغاء يردد ما حفظ!

278. فتن آخر الزمان

الرسول صلى الله عليه وسلم حين حدثنا عن الملاحم والفتن التي ستعصف بالأمة كلما دنا الزمان وتقدمت البشرية نحو النهاية، فذلك لكيلا يفزع المسلم، ولكيلا تهوله الفتن، ولكيلا تزلزله الأحداث. فلا شك أن مَن له علم مسبق بما سيحدث لا يتفاجأ كثيراً حين تقع الوقائع، لأنه يكون محصّناً فكريّاً ونفسيّاً من الصدمة، مثل شخص شاهد التوقعات الجوية في مدينة يريد السفر إليها، وتم التحذير بأنه ستكون هناك أمطار كثير وعواصف رعدية، فلا شك أنّه حين يصل إليها ويجد الأمطار والعواصف لن يتفاجأ كثيراً، لأن له علماً مسبقاً بذلك، والمفروض أنه قد أعد العدة لذلك، فكذلك الأمر هنا. وقد أكد صلى الله عليه وسلم هذا المعنى حين أخبر بأن العاقبة للإسلام وأن النصر آت، مهما طال أمد الاستكبار الجاهلي! ولو كان الشباب اليوم على معرفة بهذه الحقائق، لما سقط كثيرون منهم في أوحال الشكوك والإلحاد، واليأس والقنوط بسبب ما يجري!

279. تعقيد الإنسان

الإنسان عندما يتحرك في الواقع بشتى علاقاته وملابساته فإنّما يتحرك فيه وهو يحمل رصيداً ضخماً من الأفكار والتصوّرات والمشاعر والأشواق والطموحات؛ وهو رصيد كما ترى متشابك جدّاً. من أجل ذلك يصعب جداً التنبؤ بمواقف الإنسان في اللحظة التالية، وليس فقط في المستقبل البعيد! إنّ الإنسان لا يمكن أن يُختزل في بُعْدٍ واحد كأنه قطعة جماد صلبة يمكن وضعها تحت المجهر للإحاطة بها علماً، ومن ثم ضبطها وتحديد اتجاهاتها وتفاعلاتها! إنّ مأساة الإنسان الحديث خير دليل على أن الإنسان ليس بُعداً واحداً، بل مجموعة أبعاد متشابكة! لقد حرص الفكر الغربي على أن يتعامل مع الإنسان على أنه جزء من الطبيعية، وبما أن الطبيعة يمكن إخضاعها والسيطرة عليها والتنبؤ بها، فكذلك الإنسان، ومن ثم ألغى مختلف الأبعاد المكونة والأصيلة في كيانه، فدفع ثمناً باهظاً للغاية جرّاء ذلك!

280. الزواج قطعة فسيفساء

الحياة الزوجية مثل قطعة فسيفساء، فكما لا يمكن أن تحتفظ هذه القطعة بجماليتها وقيمتها الفنية إذا تم إسقاط أو كسر بعض قطعها، فكذلك العلاقة الزوجية لا يمكن أن تكون وأن تحتفظ بجماليتها وقيمتها وقداستها إذا أهمل الزوجان بعض جوانبها. بل لا يمكن عادة أن يجد الزوجان متعة جانب من علاقتهما وجانب آخر منها متوتر ومضطرب: لا يمكن مثلا أن يكون الجانب العاطفي متوترا ويكون الجانب النفسي مستقرا، ولا يمكن أن يكون الجانب النفسي مضطربا والجانب الجنسي سعيداً. بل عادة تنعكس طبيعة العلاقة الزوجية، سعيدة أو بائسة، على الأطفال وتنشئتهم وشخصيتهم. وهذه الحقيقة.. حقيقة أن العلاقة الزوجية كلٌّ واحد، متشابك ومتداخل، وكل جانب فيها يؤثر على باقي الجوانب الأخرى.. يجهلها كثيرون، لكنهم يدفعون رغم ذلك الثمن باهظا، من سعادتهم واستقرارهم وتماسكهم!

281. الصدمة الحضارية

من الناحية النفسية عندما يصاب الإنسان بالصدمة الحضارية؛ فإنه يحرص تلقائيّاً على الانتماء إلى الحضارة المتفوقة، لكي يتفادى إحساس الهزيمة والضعف والفشل! وفي المقابل فإنّه يحرص على الطعن والإزراء على هويّته التاريخيّة والثقافيّة، ويشكك في قيمة مرجعيّته الدينيّة وصلاحيّتها! ولهذا يحرص الإعلام الغربي على تعظيم الحضارة الغربية والتشكيك في كل ما لا ينتمي إليها، وهو نفس الدور الذي يقوم به الإعلام العلماني في بلداننا، لأنّ فك ارتباط المسلم بالإسلام يجعله يتقبل البديل المعروض أي الحضارة

الغربية! الصدمة الحضاريّة أحد أبرز عوامل سقوط الشباب اليوم في فخ العلمانية والإلحاد، خصوصاً وهم يفتقدون للتكوين المعرفي والنفسي، كما يتعرّضون لسيول هائلة من الشبهات والشعارات الفاتنة! وقد عالج الإسلام صدمة الحضارة، بتعزيز صلة المسلم بالله، وبتعريفه بالسنن الربانية في الحياة، وبزيف الباطل مهما انتفخ.

282. همة الصحابة

حدّث رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم عن الدجال، فقال الصحابة: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم. قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره. هنا يثيرك أمران: (**1**) الحديث عن حدث عظيم لم يكن في الأرض مذ كانت فتنة كفتنته، ومع ذلك فالصحابة يسألون عن الصلاة، أي إن الحدث رغم هوله وفتنته لم يُنسهم شعيرة دينية مقدسة، وهذا دليل عمق ارتباطهم بهذا الدين، وأنهم قوم لم يكونوا يبحثون عن المخارج للتخفف من مسؤولياتهم تجاه دينهم وأحكامه عليهم. (**2**) الحديث يتحدث عن عجيبة من العجائب في هذا الدجال اللعين، وهي أن الأيام الثلاثة الأولى من مجموع الأربعين يوماً التي سيمكثها في الأرض، مختلفة، فهي زمانياً ليست كباقي الأيام، أي لدينا تغيير كوني في حركة الأرض والشمس، ومع ذلك لم يتوقف عنده الصحابة ليفلسفوا المسألة: كيف؟ بل منطقهم هو التسليم لله ولرسوله. فلا جرم أن نقول: إن جوهر الالتزام والتدين هو التسليم لله تعالى ولرسوله في أحكامه وأقداره، لأن التسليم هو مقتضى الإيمان.

283. الإنسان جزء من الطبيعة

بعد أن انفصل الإنسان الغربي عن الدين بفعل عوامل مختلفة؛ انفجرت في داخله رغبة عارمة لاكتشاف الطبيعة. فكان أن تعامل مع هذه الطبيعة على أنها شيء مادي، يمكن احتواؤه بالدرس والبحث، ومن ثم يمكن استغلاله واستثماره. هذه الرؤية جعلته ينزع معنى القداسة عن الطبيعة، فنتج عن ذلك استنزاف رهيب لها، والتلاعب بها في سبيل الاستهلاك الشخصي. ثم بنفس الأسلوب تعامل مع الإنسان، لأنّه جزء من الطبيعة، فهو إذن كتلة مادية، فبديهي إذن أن يخضع لنفس القوانين والآليات التي تخضع لها الطبيعة المادية! الذي يحدث حين تُنزع القداسة عن الطبيعة والإنسان هو السقوط في قبضة الاغتراب والعدمية، ثم لاحقاً الانهيار الحضاري. ذلك لأنّ الإنسان كما الحضارة لا يقومان إلا بمدى وجود

المعنى والانجذاب نحو مقدس متعالي، وحين يتلاشى المعنى ويفقد ذلك المقدس قيمته، هنا يكون الأفول حتميّاً!

284. كثرة كلام الزوجة

هناك فكرة رائجة بين معشر الرجال حول كلام الزوجة، وهي أن المرأة ثرثارة!! والحقيقة أن هذه الفكرة تشابكت فيها عناصر مختلفة، منها الإشاعة، ومنها الغفلة عن تنوع الشخصيات، ومنها عدم الالتفات للأحوال والظروف، وغير ذلك!! نعم، هناك نساء ثرثارات، ولكن هناك أيضاً رجال ثرثارون، وهذا واقع لا يمكن إنكاره!! وإذ كان الأمر كذلك، فالزوجة الثرثارة قد تكون تلك طبيعتها، وقد تكثر الكلام مع زوجها في أحوال معينة دون غيرها، وفوق هذا، لا يمكن أن نطلب من الزوجة التي يغيب عنها زوجها طيلة اليوم في الشغل مثلاً ألا تسأل كيف قضى يومه وماذا حدث، وهذا يكون من باب حب الكلام، وقد يكون من باب حب الزوج فمن أحب يحرص على معرفة أحداث حبيبه خلال غيابه، وقد يكون من باب تدعيم المشاعر والأحاسيس بينها وبينه، بل لا يمكن أن نطلب من الزوجة عدم الكلام أو تقليله وقد قضت يومها وحيدة في البيت، وإلا تحولت علاقتها بزوجها إلى جفاف وآلية وبرودة. ومع ذلك، فالزوجة العاقلة الذكية، تقدر تعب زوجها عند عودته، إلى أن يرتاح ثم تأخذ نصيبها منه ومعه، وبلا شك فالزوج حين يكون مرهقا بسبب الشغل أو حالة مزاجية سيئة أو تركيز في شيء ما، ثم تكثر الزوجة الكلام فذلك يزعجه، نفس الشيء معها أيضا، فلو تكون مرهقة أو سيئة المزج ويأتي الزوج للحديث أو المداعبة فذلك يزعجها، فالواجب إذن مراعاة الأحوال اللحظية للطرف الآخر.

285. ضغط الفتن

إذا كان كثيرون قد أدهشتهم الأحداث الجارية بسبب تكالب أمم الكفر والجاهلية على المسلمين، وكذا بسبب تكالب المنافقين الجدد على التشكيك في الإسلام، إذا كان هؤلاء قد دهشوا، فلم يعودوا يعرفون حقاً من باطل، ولا صواباً من خطأ، كيف سيكون حالهم إذا أذن الله ﷻ بخروج الدجال الأكبر، الذي لم تكن فتنة في الأرض أشد منه! لقد مضت سنة الله أن يكون بين يدي كل حدث عظيم أحداث عظيمة تنبيهاً للعقلاء بأخذ الحذر منها والاستعداد لها. ولذلك فإنّ هذه الفتن القائمة وما سيأتي من أمثالها عاماً بعد آخر، ما هي إلا ممهدات ومنبّهات على الفتنة الكبرى، فتنة الدجال!

286. لماذا لا نرى الله تعالى؟

لو ظهر الله ﷻ للإنسان في الدنيا لكان في ذلك منع لقدرات الإنسان العقليّة والروحيّة من التفتّح والنماء. إذ سيجد نفسه مضطراً للإيمان بالله بشكل اضطراري وتلقائي، وهذا فيه حرمان للعقل من البحث، والتفكر، والتأمل، وبناء تراكم علمي ومعرفي عبر الأزمنة والعصور، كما أن فيه حرماناً لطاقات الروح من التفتح والنماء والازدهار. لقد خلق الله سبحانه الإنسان في هذه الدنيا ليقوم بواجب العبوديّة، التي تتضمن الابتلاء، وهما معاً يبرزان في إطار معاناة البحث والتجربة والتأمل، وفي إطار معاناة المجاهدة والصبر والالتزام، إذ لا سبيل لبناء شخصية متوازنة، ولا سبيل لعمارة الأرض على منهاج الوحي، إلا بهذه وتلك معاً. ولهذا وجدنا القرآن دائم التنبيه على أهميّة البحث والتأمل كما المجاهدة والصبر. إذن؛ يمكننا أن نقرر بوضوح بأنّ عدم ظهور الله ﷻ للإنسان في الدنيا هو تشريف للعقل وليس العكس كما يظن الملحد!

287. جناية العلمانية العربية

تحتل البلدان العربية مراكز متقدمة في التخلف والفوضى والعجز والطغيان! وهي حقيقة من البديهيات التي لا يمكن التشكيك فيها! الذي حدث هنا هو أن العلمانيين استطاعوا أن يرسخوا في نفوس وعقول شرائح واسعة من المجتمع _خصوصاً المراهقين والشباب_ براءتهم من كل ذلك، وأنّهم لا علاقة لهم بما يجري، بل هم حريصون على تحقيق الازدهار والحريات والتقدم! بل ما فتئوا _بمختلف الأساليب المتنوعة والماكرة_ يلصقون التهمة (بالفكر الديني المسيطر)! رغم أنهم هم مَن يحكم البلاد، ويسيطر على الإعلام والتوجيه، ويحدد المقرر الدراسي لمختلف المستويات، وتنفيذ توصيات المنظمات الغربية، وكل هذا يقومون به منذ رحيل الاحتلال الغربي الشكلي! فهم عملياً منذ عقود طويلة يدأبون ليلاً ونهاراً وبكل ما توفر لديهم من الإمكانيات والوسائل في محاربة الإسلام! حتى إن السجون مليئة بالإسلاميين والمتدينين لأدنى سبب بل وبدون سبب! بل حتى عموم العلمانيين من خارج دائرة السلطات تراهم ممالئين للحكومات الفاسدة ضد خصومهم الإسلاميين، رافضين الالتزام بشعارات الحرية والديموقراطية والحقوق!

288. الرومانسية العرجاء

تعاني كثير من البنات والزوجات مما أسميه بالرومانسية العرجاء أو قل الرومانسية الحولاء! هذا العرج أو الحول، يعني أنك تجدها تهتف بالمشاعر والأحاسيس والرقة والأنوثة والحب والعشق، كما أنها تستطيع أن ترسم صورة حياة زوجية زاهية آسرة، يسودها الحب والتفاهم والغزل والشوق وما شئت بعد من هذه المعاني التي تطرب لها النفس وتهتز لها الروح. لكن.. كل هذا يجب أن يكون حسب رغبتها، فهذا الزوج المحب

ينبغي أن يكون كما تريده هي، يسايرها في كل شيء، يكون حريصاً على ألا يجرح مشاعرها الرقيقة بأدنى كلمة، ومن المهم أن يلغي من قاموسه (افعلي ولا تفعلي) لأن هذا يشعرها بأنها قاصر، ولا يجب أن ينزعج منها مهما قالت وفعلت فعدم الانزعاج من أعظم أدلة الحب وصدقه بالنسبة لها! هذه الرومانسية العرجاء أو الحولاء تدل على قصور في النضج، وسذاجة في الشخصية، وهشاشة في النفس، وسطحية في الوعي، فالحياة لا تمشي كما تحب الرومانسية العرجاء أو الحولاء، بل هناك قواعد ومبادئ إذا لم يلتزم بها المرء تحولت حياته إلى فوضى وبؤس وشقاء ومعاناة، فكذلك الزوجة هنا، يجب أن تفهم أنها ليست شيئاً مقدساً على الزوج أن يقدم لها طقوس الطاعة لتفادي غضبها، بل بما أنها زوجة فعليها إذن واجبات، وهناك أمور يجب أن تراعيها، وهناك أسلوب خاص للتعامل مع رجلها وحياتها الزوجية والأسرية.

289. الوصف الأيديولوجي

حين نصف شخصاً بوصف لإيديولوجي، مثل قولنا "فلان علماني" أو قولنا "فلانة نسوية"، فهذا لا يعني بالضرورة أننا نقول بأن هذا الشخص يعي جيداً أصول ومضامين ومآلات ما وصفناه به، "العلمانية/النسوية" في المثال، بل يعني أن هذا الشخص تحققت فيه جملة من أصول وأفكار وتصورات هذا المذهب الأيديولوجي. وإلا فنحن ندرك أن جمهور "العلمانيين" و"النسويات" مثلاً، لا يدركون أصول ومآلات العلمانية/النسوية، ومناقضتها للأصول الشرعية والعقدية في الإسلام، كما أننا ندرك أن كثيرين وكثيرات من هؤلاء إنما تشرّبوا هذه الأفكار من الإعلام والأصدقاء ووسائل التواصل الاجتماعي.

290. أقسام التوحيد

التوحيد ثلاثة أقسام **(الأول: توحيد الربوبية)**، هو أن تعتقد أن الله تعالى هو مالك الوجود كله، والقيوم عليه، والمدبر له، فلا خالق إلا هو سبحانه وتعالى. و **(الثاني: توحيد الألوهية)**، هو أن تعتقد أن لا معبود بحق إلا الله تعالى، فهو وحده المستحق للمحبة والتعظيم والرجاء والخوف، وهو وحده الواجب له العبادة. و **(الثالث: توحيد الحاكمية)**، هو أن تعتقد أن مصدر التشريع الحق لنشاطات الحياة الخاصة والعامة هو ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، أو تأسس عليهما. وإنما بُعثت الأنبياء لأجل النوع الثاني والثالث أصالة، أما النوع الأول فهو فطرة. ولذلك ما أنزل الله تعالى الشرائع ولا أرسل الأنبياء ولا أقام الجنة والنار؛ إلا لأجل التوحيد وتحقيقه. فالتوحيد هو جوهر الرسالات الإلهية، فقالوا كلهم لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾.

291. مهمة العلم الطبيعي

ليست مهمة العلم الطبيعي في شتّى مجالاته أن يكشف المعنى والغاية في الكون والحياة، فهذه المهمة خارج دائرته وبمنأى عن اختصاصه وفوق مستوى إدراكه واكتشافه. وإنما وظيفة العلم الأساسيّة هي الكشف عن طبيعة العلاقات القائمة بين مكونات الكون المادي المنظور وكيفية اشتغالها وطبيعة نتائجها. أي إنّ العلم الطبيعي يشتغل فقط داخل دائرة التسخير الرباني للجانب المادي في الكون. ومن هنا؛ فإن العلم الطبيعي لا يمكن أن يقدم للإنسان منهج الحياة الفاضلة والصالحة، ولا يمكن أن يقدم له العزاء في خضم ضغط الواقع والتاريخ والمستقبل. وإنما الذي يُقدّم العزاء النبيل لمواجهة كل ذلك هو الدين الحق، وإنما الذي يقدم له منهج الحياة الصالحة هو الدين الحق. فالدين الحق هو وحده الذي يمنح الحياة والموت معاً المعنى والقيمة والغاية، ويضفي عليهما المسؤولية والقداسة والانضباط.

292. إثراء الحياة الزوجية

التجديد في العلاقة الزوجية عنصر مهم لإثراء المشاعر النفسية، وتوطيد الترابط الثنائي، وترسيخ مبدأ التعاون والتضحية لجلب الإيجابيات وتكثيرها، ودرء السلبيات وتقليلها. كما أنه ضرورة مهمة، لا لإضفاء المتعة والجمال على هذه العلاقة والاستقرار الأسري فحسب، بل أيضاً لأن طبيعة النفس وظروف الواقع وتطور الشخصية والتقدم في العمر، كل هذا يتطلب هذا التجديد الدائم والمتنوع والمستمر، ذلك لأن من طبائع النفس البشرية سرعة الملل والنفور من كل شيء أكثرت منه واعتادت عليه، ومن هنا، فالتجديد في الحياة الزوجية مطلب متعدد القيمة، فلابد من الحرص عليه والعناية به. ثم إنك مهما نظرت في عامة أسباب مأساة الأزواج أو طلاقهم، تجد أن إهمال التجديد "العاطفي، الجنسي، النفسي" سبباً بارزاً وراء ذلك! وهذا الإهمال قد يكون بسبب الغفلة عن قيمة التجديد، وقد يكون بسبب الخوف من نظرة التفاهة من الآخر، كما قد يكون بسبب التباغض بين الطرفين! ومهما كان السبب، فإن النتيجة واحدة!

293. أفول السلفية

الذين يبشرون بأفول السلفيّة وزوالها ــبدون تفريق بين المنهج والأشخاصــ واهمون جدّاً! فالسلفية بمعنى العودة إلى المصادر الأصليّة للإسلام، هي حق ثابت لا يشك فيه مسلم يعي معنى كونه مسلماً، بل لا يشك مسلم يعي معنى الإسلام أنه ينبغي عليه شرعاً أن يكون سلفياً. ولهذا ما زال الله تعالى يأمرنا

ويحثّنا على التزام هذه العودة بشكل مستمر: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران/132]. وقال الإمام مالك بن أنس رحمه الله «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها». أما السلفية بمعنى الأشخاص والمدارس، فشيء آخر تماماً، ومن ثم فهم أيضاً يحاكَمون إلى الوحي، ولا يحاكَم الوحي إلى أقوالهم وآرائهم. وأخطاء السلفية الأشخاص والمدارس لا تنفي صحة وصواب السلفية بمعنى العود إلى الوحي وما كان عليه جيل الصحابة والتابعين.

294. قيمة التوكل

التوكل من الأخلاق الجوهرية في الإسلام. فلقد تحدث عنه الوحي كثيراً وفي مواضع شتّى. ومفهوم التوكل على الله ﷻ في القرآن يرجع إلى تحقيق هدفين، (**أولهما: هدف معرفي**) وهو أن الله تعالى هو الملك الحق، المدبر لشؤون عباده بالحكمة، الذي لا يكون إلا ما يشاء في الكون والحياة. و(**ثانيهما: هدف تربوي**) وهو أنّ النفس تتزكى من الصفات الذميمة والأخلاق المقيتة، كالغرور والعجب والانعتاق من التقوقع حول الأنا. بهذين الأمرين يستطيع المسلم أن يكون حرّاً من كل المؤثرات والعوامل المختلفة (الخوف من الفقر، الخوف من المستقبل، الخوف من الخلق)، كما يكتسب طاقة فائقة في الايجابية والفعّاليّة في نشاطات الحياة وعلاقاتها وأهدافها. ولهذا يربط الله تعالى التوكل بالإيمان: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة/51]. فبقدر الإيمان يكون التوكل، كما أنه بقدر التوكل يترسخ الإيمان.

295. العقل بين الوحي والفلسفة

خلال التاريخ الفكري والفلسفي؛ اعتقد كثيرون بأن العقل (آلة ميكانيكية) تعمل بآلية معينة بعيداً عن المؤثرات المختلفة! لكن الحقيقة أن هذا الاعتقاد مجرد وهم لا أساس له من الصحة! فالعقل بما أنه نشاط تفاعلي، بين الإنسان والمعطيات الخارجية من أشخاص وأحداث وأشياء وظروف وأحوال، لا يمكن إلا أن يتأثر بمجموعة من العوامل والظروف، من أهواء شخصية، وثقافة اجتماعية، ورواسب نفسية، وملابسات الخبرة والتجربة. ولهذا وجدنا القرآن حين يتحدث عن العقل؛ لا يتحدث عنه على أساس أنه كيان مستقل بل على أساس أنه نشاط متفاعل، تتدخل مجموعة من العوامل والعناصر في توجيه هذا التفاعل، كالأهواء والتقاليد واتباع الشهوات، رغم أن الأساس في العقل هو الخير والحق والهدى. وهذا الاختلاف في النظرة للعقل بين الوحي وما هو مستقر لدى كثيرين، له آثار جوهرية، فتصور أن العقل كيان مستقل وأنه عبارة عن آل ميكانيكية يحمل صاحبه على رفعه إلى مستوى القداسة والمرجعية المعيارية الثابتة،

أما تصور العقل على أنه نشاط تفاعلي وفعل من أفعال الروح يتأثر بالعوامل المختلفة، يحمل صاحبه على عدم منحه تلك القداسة وجعله مرجعية معيارية ثابتة، كما يحمله على اليقظة والانتباه والحرص على التزكية المستمرة لتفادي تأثير الآفات النفسية كالكبر والغرور، والآفات الخارجية، عليه وتوجيه نظره وفكره.

296. آفة الخجل في الزواج

في الزواج لا مجال للخجل لأن الأب أو الأم اقترح زواج فلانة لأنها من العائلة مثلاً، ولا مجال للخجل لأن صديق العمر لديه أخت وألح لتزوجيها، ولا مجال للخجل لأنك ذهبت لزيارة رسمية أو هناك خطبة رسمية غير أنك اكتشفت عدم إمكانية الاستمرار لأسباب موضوعية ومعتبرة. بل يجب النظر في هذه الفتاة هل تصلح أم لا، من حيث مظهرها، التزامها، أخلاقها، سمعتها، وسمعة أهلها، ثم مدى موافقتها على شروطك ومناسبتها لك، فأنت الرجل، والقوامة بيدك أنت، وأنت المسؤول الأول في الحياة الزوجية، شرعاً وعقلاً وعُرفاً. وتذكر أنك بعد الزواج أنت وحدك من سيعيش مع هذه المرأة، إن صادفت معها السعادة والهناء فلن يشاركك أحد، وإن صادفت معها التعاسة والشقاء فلن يشاركك أحد، بل أفضلهم من سيظهر حزنه لأجل معاناتك وسوء حظك. ولهذا لا تدخل نفسك جحر المعاناة ثم تندب حظك!!

297. التنفير عن العلماء

من أشد ما يتعلّل به ويُشيعه المغرضون، لتنفير الشباب من العلماء، قولهم: (اتباعكم للعلماء والأخذ بأقوال فقهاء ماتوا قبل قرون، تقديس ذميم لهم، وذنب كبير عند الله تعالى، لأنه قد نهى في كتابه عن اتباع الآباء والأسلاف)! وهذه مقالة إبليسية. فالدعوة لاحترام العلماء ليست تقديساً لهم؛ بل احترام وتقدير لتخصصهم في علوم الوحي، كما ندعو لاحترام الأطباء أو المهندسين لا لأشخاصهم بل لتخصصاتهم. والزجر لغير المتخصص عن الخوض في الشريعة، كزجر غير المتخصص عن الخوض في علم الطب. ولكن، في الحقيقة هناك أغراض خبيثة لإشاعة فكرة اتباع العلماء يعكس التقديس لهم، وهي إحداث فك ارتباط المسلم بأهل العلم، فإنه إذا فعل ذلك، وجد نفسه في العراء، إذ كان غير مؤهل للتعامل مع نصوص الوحي ومعطياته، ومن ثم إما أن يتعامل معه مباشرة أو عبر المنافقين الجدد، وكلا الأمرين عاقبته خاسرة!

298. القضاء والقدر

القضاء والقدر مُكوّن أساسي في نظام العقيدة الإسلاميّة؛ بحيث إن رفض الإيمان به تحت أي شعار كان، يُعتبر في حكم الشريعة كفراً مخرجاً من الملّة. ذلك لأنّ القدر يعكس إثبات علم الله سبحانه الكامل وحكمته البالغة ومشيئته الطليقة وقدرته غير المحدودة، ومن ثم، كان رفض هذه العقيدة طعن صارخ في عظمة الخالق ﷻ. أما فهم هذه العقيدة؛ فمن المهم أن نُفرّق بين أمرين: (**العلم الإلهي**) و(**الخلق الإلهي**). والخلط بينهما هو سبب الخلل الذي يعاني منه كثيرون! القدر الإلهي المكتوب في اللوح المحفوظ هو من القسم الأول، أي العلم فقط. ولهذا لا يستقيم أن يقال بأنّ القدر يُجبر الإنسان على فعل شيء معيّن، بل يعني فقط أنّ الله تعالى علم ما سيفعل كل إنسان، وما سيترتّب على أفعاله، بحكم سنن الله في الأسباب والنتائج. إنّ الله ﷻ أجلُّ من أن يجبر عباده على شيء. أليس الكل يتباهى بحريّته وعقلانيّة اختياراته المختلفة!

299. تبرئة الإسلام

في عصرنا الحاضر صار كثير من المسلمين اليوم كلما حدثت حادثة قتل أو هجوم على شخص غير مسلم في بلد مسلم أو من شخص مسلم، يتسابقون لتقديم طقوس البراءة من هذا التصرف وصب اللعنات على صاحبه! والحقيقة أن هذا أحد تجليات عملية شيطنة المسلم والإسلام التي ما زال الغرب ــووكلاؤه في بلداننا ــ يقوم بها ويتفنن في تشكيلها وإبرازها بمختلف الوسائل والطرق! لم نسمع من النصارى ولا من اليهود ولا من البوذيين ولا من الهندوس كلمات الاعتذار وإعلان البراءة مما يقوم به أتباعهم تجاه المسلمين هنا وهناك؟ في كل بلاد العالم يُقتل بعض السياح، ويُسرق آخرون، وتُغتصب بعض السائحات، ومع ذلك يمر الخبر كأي خبر عادي هامشي، فلماذا يحرص المسلم المعاصر على تقديم الاعتذار للغرب والتسابق للبراءة من هذا المسلم الذي فعل فعلته النكراء! أما العجيب، فهو أن تجد بعض المشايخ والدعاة هم أيضاً يتسابقون للتنديد والبراءة والاعتذار! فإن شئت أن تعتبر أن هذا من مظاهر هوان المسلمين اليوم فلا شك أن الأمر كذلك، والله المستعان.

300. رفض الزوج التغزل بزوجته

مرت علي الكثير من المشاكل الزوجية؛ ولا يكاد يوجد ضمن تلك القائمة زوجة عرضت مشكلتها دون أن تذكر أن زوجها لا يعبّر لها عن حبه وإعجابه وشغفه وشوقه! وهذا ظلم كبير للزوجة! الأمر هنا يشبه حرمانها من الأوكسجين مع انتظار أن تكون بخير وصحة وعافية! هؤلاء الرجال الذين يحرمون

زوجاتهم من الغزل الكلامي فضلاً عن الغزل الحركي، منهم من يفعل ذلك بدعوى ساذجة تقول: الرجل يعبر بالتصرفات لا بالكلام، كأن قول الرجل لزوجته: حبيبتي، حياتي، أميرتي...إلخ، ليس من التصرفات التي ينبغي الحرص عليها! ومنهم من يفعل ذلك لأنه يتوهم أن الغزل الكلامي ينفخ في الزوجة الطغيان والغرور، كأن شقاءه في العمل لتوفير معيشة كريمة لها وهي مصونة في البيت ليس من جنس ما قد ينفخ فيها الطغيان والغرور! ومنهم من يفعل ذلك لأنه يظن أن الرجولة تفرض هذا الفظاظة والتجاهل والحرمان، إما على سبيل الأفكار البيئية التقليدية، وإما لأن رأسه امتلأت بقراءة منشورات الذكورية التي تصور المرأة على أنها شيطان مريد خبيث، يجب أن يتعامل معها الرجل ــإذا اضطر للارتباط بهاــ بمنطق الحرب، لأنه إما غالب أو مغلوب! العجيب أنك تجد هؤلاء الأزواج بعد هذا يتساءلون: لماذا نحن بؤساء تعساء؟؟

301. التقدم في السن

بعد الخميس والستين من العمر يبدأ الإنسان يفقد بشكل مطرد اتصاله بالدنيا وتضعف روابطه بها. وهذا من السمات البشرية المثيرة للانتباه! يتمثل هذا الفقدان والضعف في تراجع شهواته كالأكل، والنوم، والجماع. كما في تراجع ارتباطه بالناس كضعف السمع، وضعف البصر، وضعف الحركة! والحقيقة أنّ في ذلك رسالة ربانية عظيمة لأولي الألباب؛ وهي التنبيه على أنّهم ليسوا أبناء هذا العالم الزائل ولا من هذه الدار الفانية، بل أبناء عالم آخر يختلف جذريّاً عن العالم الدنيوي. ومن ثم؛ فهذا الفقدان والضعف والتراجع يعني ضرورة الاستعداد لما بعد الموت، وأنّ الانتقال إلى عالم الأبدية قريب جدّاً، كما يعني ضرورة المبادرة للتوبة والاستغفار وعمل الصالحات لتلافي وتدارك ما فات خلال أطوار العمر الماضية. فكأن تراجع الاتصال بالدنيا (الشهوات والناس) رحمة ربانية لمساعدة الإنسان على تمتين صلته بالله تعالى.

302. شعار المسلم

شعارنا: من الله الرسالة، ومن رسولنا التبليغ، وعلينا التسليم. فحين يأتي "باحث إسلامي" أو "ملتزم متدين" أو "ملتزمة متدينة" يجد حرجاً من بعض الأحكام الشرعية فيحرص على عدم الخوض فيها، لأنه في عصر الحريات والحقوق من الأفضل عدم فتح ملفات هذه الأمور الشرعية.. أو حين يجد هؤلاء انقباضاً من بعض الأحكام الشرعية الخاصة بهم وطلب المخارج لها، رغم التدين والالتزام وشعارات الإسلام، فهنا المشكلة تكون (إيمانية، عقدية) قبل أي شيء آخر، وعلى هؤلاء مراجعة إيمانهم وعقديتهم قبل أي شيء آخر. ولهذا المعنى، تجد الله سبحانه في الكثير جداً من آيات الأحكام يبدأ ذكرها بالإيمان (يا أيها الذين

آمنوا..) أو يختمها بتعليق قبولها على الإيمان (إن كنتم تؤمنون..)، وهذا من أجل التنبيه على حقيقة إيمانية ومبدأ في العقيدة وهو: مقتضى الإيمان والانتماء إلى الإسلام التسليم لله ولرسوله في الأحكام الشرعية، وبدون هذا التسليم ــسواء وافق الرغبة أم خالف الهوىــ من الطبيعي أن هناك خللاً في هذا الإيمان.

303. وهم الحرية المطلقة

يعيش الملاحدة في وهم كبير اسمه "وهم الحرية المطلقة"! بل إنهم يجعلون هذا الوهم أحد أهم أسباب انتقالهم من دائرة الإيمان إلى دائرة الإلحاد، بحكم أن الدين قيود وحدود تمنع وتقمع الذات الإنسانية من الانطلاق والانفتاح! لكن؛ في الواقع الملحد بما أنه إنسان يعيش في هذا العالم الذي يعيش فيه كل إنسان، فهو محكوم بمجموعة من الحتميّات والقيود التي تنفي الحرية المطلقة. يمكنني أن أذكر هذه قيود: (**القيد التكويني**) أي نوعية الجنس وصفاته، والعوامل المؤثر في الجسد، فلا أحد يختار جنسه أو والديه أو زمان ومكان الميلاد. (**القيد العقلي**) أي التفكير بآليات عقليّة صارمة لا يستطيع تجاوزها في حياته اليومية، فلا أحد يمكنه رفض أصول آلية العقل في الاشتغال. (**القيد اللغوي**) أي التواصل مع الآخر بلغة محددة سلفاً من حيث القواعد والدلالات. إذن مساحة الحرية ضيّقة جدّاً! فعن أية حرية يتحدث الملحد! (**القيد السُّنني**) أي الخضوع لمجموعة سنن وضعها الخالق لضبط حياة البشرية، فرداً ومجتمعاً. (**القيد الوجودي**) أي حتمية توقف الحياة في لحظة زمنية معينة والعجز عن الاستمرار في الوجود. فإذا كان الملحد باعتباره إنساناً خاضعاً رغماً عنه لهذه القيود فعن أي حرية مطلقة يتحدث!

304. المرأة في الرسوم المتحركة

لم تقتصر عملية تزييف وعي المرأة بدورها الحقيقي الذي خلقها الله تعالى له، على الأفلام والمسلسلات والبرامج، بل انتقلت إلى أفلام الرسوم المتحركة التي يفترض أنها موجه للأطفال. ففي هذه الأفلام المرأة (وهي طفلة، وهي مراهقة وشابة، وهي أم) حاضرة دائماً، لكن هذا الحضور منسجم مع الفكرة التي يراد ترسيخها في باطن وعي الأطفال، وخصوصاً البنات. الأنثى هنا، جميلة وفاتنة، تلبس أنواعاً من اللباس الضيق والقصير والكاشف لمواطن الإغراء فيها، وجسم المرأة كلها إغراء، ومع إبراز هذا الجمال المغري، فالأنثى هنا كذلك قوية وصلبة، إنها متواجدة في الخارج مع الرجل، تعمل في وظائف مختلفة وقد تكون وظائف حساسة، كما أنها تخوض معه المعارك ضد الأعداء، في الفضاء كما في الأرض، وقد تعمل عمل الإثارة والتشويق كجاسوسة مثلاً تتحمل الضغوط، وتؤدي وظيفتها كما ينبغي، وكل هذا لا يلغي

الجانب العاطفي والجنسي فيها، فهي منجذبة إلى زميلها أو مديرها، تحبه وتعشقه، تحلم به وتتمناه لتقضي معه لحظات ماتعة وأوقاتا لا تُنسى، وقد تدخل في معركة مكشوفة أو صامتة ضد تلك المزعجة التي تحاول سرقة حبيبها منها! في هذا الإطار، لا وجود للمرأة المتدينة، والملتزمة، والمحافظة على أنوثتها وحيائها، المبتعدة عن مواطن قد تسيء إلى أخلاقها النبيلة المتلقاة من الدين، كما لا وجود للمرأة التي يحتل الإله في حياتها وتفكيرها وقيمها بُعداً مركزياً، بل هي متمركزة حول نفسها، حريتها، استقلاليتها، وخوضها معركة الحياة، أي إنها تدور في إطار دنيوي ليبرالي محض، وحتى أخلاقها فهي أخلاق علمانية. إذن بكل هذا الضخ الهائل من الإيحاءات في مضامين الرسوم المتحركة يتسلل المفسدون ليشكلوا نفسية الطفلة وشخصيتها، ثم لا تزيد الأيام تلك المضامين والأفكار الصامتة إلا رسوخاً في لا شعورها ونمط تفكيرها.

305. أحلام وهمم

كثير من الشباب اليوم لديهم أحلام العظماء وهمم السخفاء! ترى أحدهم لا يكف عن الشكوى من مآسي الواقع، واستبداد الحكومات، وتخلف الأمة، وحين تسمعه يخوض في هذا الموضوع لا يخالجك أدنى شك في أنه ذو همة عالية وطموح يطاول عنان السماء. لكن؛ سرعان ما تكتشف أنه كسول للغاية، ولا يعرف سوى الكلام والصراخ والاحتجاج! فهو لا يحب القراءة التكوينيّة، بل يفضل القراءة الخفيفة السريعة! وهو لا يحب تحميله المسؤولية، بل تراه فرحاً بكل نقد متهور للتراث وللعلماء والآخرين عموماً! وهو لا يحب أن يطالَب بالجد والاجتهاد والصبر على مشاق النهضة وتحمل الأعباء، بل لا يمانع لو يستيقظ ذات يوم فيجد كل الأوضاع البائسة التي يعيشها شخصيّاً واجتماعيّاً قد تغيرت نحو الأفضل والأجمل!

306. حقيقة شهادة التوحيد

شهادة (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) هي: تحرير للعقل من الأوهام، وتحرير للضمير من الغفلة، وتحرير للسلوك من العبث، وتحرير للحياة من التفاهة، وتحرير للمجتمع من الانحراف. وكل آيات القرآن الكريم، عمل دؤوب لتحقيق هذه الغاية المقدسة. لقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم هذه الحقيقة فعاشوها واقعاً فكانوا خير أمة أخرجت للناس، وفهمها الجيل الأول من المسلمين فانطلق في العالم يكتسحون حصون الباطل ويدمر قلاع الوهم، ويعيد للعقول أصالتها وللضمائر روحها وللنفوس نبلها وللحياة قداستها. ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

307. تحيزات الفلاسفة

كل الدراسات الجادة عن الفلاسفة والمفكرين؛ تؤكد على حقيقة مركزية، وهي وجود تحيّزات ودوافع باطنة ولاشعورية، تتحكم في توجهاتهم وقناعاتهم، وكذا تؤثر على مناهجهم في الفهم والتفسير! هذه التحيزّات والخلفيات تتشكل في إطار روافد مختلفة، كالتجربة الشخصية، البيئة الأسرية، السياق الاجتماعي، الرواسب العميقة، طبيعة الثقافة والمعرفة المتراكمة. ومن هنا، فمقولة الحياد والتجرد الكامل، كما يلهج بذلك كثيرون مجرد هراء سخيف وأساطير واهمة! لكن هذا الإصرار على الحياد غرضه إحداث صدمة وعي لدى المتلقي، ليتبنّى أفكارهم بسهولة، وإن لم يفهم شيئاً اتهم نفسه بالغباء! بل الذين ينظرون لهؤلاء الفلاسفة والمفكرين على أنهم برآء من التحيز المسبق والدوافع المترسخة والرؤى المترسبة، هم واقعاً يرفعونهم إلى مرتبة العصمة كما يفعل المؤمنون مع أنبيائهم!

308. التعامل مع المشاكل الزوجية

كيف يتصرف الزوجان الناضجان الصالحان حيال نشوب مشكلة بينهما؟ هذه بعض أهم المعالم لذلك: (**1**) لا يعتبران أي شيء يحدث بينهما مشكلة، بل هذا المعنى لا يكون بالنسبة لهما إلا لحدث كبير: كلام قاله أحدهما، أو تصرف أتاه أحدهما، مما يؤثر تأثيرا كبيرا على الآخر. ولهذا، لا يتوقفان عند الخلافات الصغيرة. (**2**) لا يتعاملان بينهما بما أسميه أسلوب المجهر، أي التربص بأدنى كلمة يقولها الآخر، أو أي تصرف يفعله، لكي يقوم معه بدور المحقق (لماذا؟ وكيف؟)، فهما يدركان أن التلقائية بينهما أحد أسرار سعادتهما. (**3**) حين يحدث حدث ما يستحق منهما أن يوصف بأنه مشكلة، هنا يتعاملان معه بأسلوب المحاصرة، أي المبادرة لمحاصرة الحدث في زاوية ضيقة، فيقومان بمناقشته بكل وضوح وصراحة ثم الاتفاق على عدم التكرار. (**4**) يدرك هذان الزوجان أن الشخصية فيهما مختلفة من حيث النوع [رجل/امرأة]، ومن حيث التكوين [التجربة، الثقافة، الأسرة..]، ولهذا لا يحاسب أحدهما الآخر من منطلق تشابه الشخصية، بل يستحضران الفروق بينهما. (**5**) يربأ هذان الزوجان بأنفسهما من فتح ملفات المشاكل بينهما للآخرين (الأهل، الأصدقاء)، فهذا خنجر مسمومة يمكن أن تهد صرح علاقتهما الزوجية، بل كل حياتهما بما فيها المشاكل تكون بالنسبة للآخرين (سر مقدس)، ولا ينخدعان بـ (صديق العمر/صديقة العمر)، لأنهما ناضجان بما فيه الكفاية لحل مشاكلهما معا، وإذا حدث أن عجزا عن

التوصل لحل، فإنها يبحثان عن شخص أجنبي لا يعرفهما معرفة شخصية، يكون معلوما بالثقة والحكمة والتجربة.

309. شعيرة الأمر بالمعروف

في ديننا يُعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة مقدسة. والحقيقة أنّ هذه الشعيرة جزء أصيل من دعوة الأنبياء، الذين ما أرسلهم الحق سبحانه إلا لتحقيق الهداية ونشر رايات التوحيد، ولكشف أباطيل الكفر والشرك ومحاربة صدّه عن سبيل الحق. من أجل ذلك فشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست خاصة بالجانب الأخلاقي فقط، ولا بالجانب العبادي فقط، ولا بالجانب السلوكي فقط، كما يتصور بعض الناس، بل تشمل أيضاً الجانب الفكري والثقافي. ولا شك أنّ هذا الجانب أعظم فضاءات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ إنه يتعلق بالعقيدة والتصور والمفاهيم، وهذه محركات الإنسان ومصنع شخصيته بمختلف نشاطاتها وعلاقاتها وأهدافها.

310. ركيزة التسليم للوحي

من أعظم أصول الإيمان وقواعد الدين ومقاصد النبوات، التسليم لله ولرسوله، في أخبار العقيدة وأحكام الشريعة. فما وصل أحد إلى الله تعالى إلا بقوة التسليم لله ولرسوله، ولا انقطع أحد دون الله إلا لضعف التسليم لله ولرسوله. فالتسليم فرع التعظيم الله ولرسوله. وسر ذلك، أن المقصد الأعلى لخلق الإنسان في عالم الدنيا، محصور في أن يكون العبد عبداً لله اختياراً كما هو عبد له اضطراراً، فأنزل الله تعالى منظومة عقائد وأحكام، منها ما تفهمه العقول مفصلاً ومنها ما لا يمكنها ذلك إلا مجملاً، ليبتلي بهما العقول والنفوس، ومدى تعظيمها له سبحانه. ولهذا، فكما يجب على العبد التسليم لله ولرسوله في القسم المفهوم مفصلاً، يجب أن يسلم له في القسم المفهوم مجملاً لأن التسليم وثيق الصلة بقاعدة الابتلاء التي بنيت عليه الدنيا. فمن لم يفهم هذا المعنى لا جرم أن يضعف التسليم في قلبه لضعف التعظيم لله ولرسوله في نفسه، فينطلق بداعية أهوائه وشعاراته يتجاوز حدود الوحي، رافضاً لما لا يرضي غروره العقلي وشهواته النفسية!

311. العلمانية حالة تاريخية

لا يمكن قبول فكرة أنّ العلمانية نشأت في الغرب، كما يروّج لذلك كثيرون! إنّ العلمانية بما أنّها رؤية شموليّة للذات والخالق والحياة والعلاقات القائمة بين هذه الأطراف، فهي حالة مصاحبة للبشريّة في تاريخها الطويل، مهما توفرت شروط نشأتها في هذا المجتمع أو ذاك، بغض النظر عن الزمان والمكان، وبغض النظر عن اختلاف الأسماء والشعارات. لقد أثبت الله سبحانه أن الفكرة والرؤية العلمانية قديمان قدم البشرية. ففي قصة النبي شعيب صلى الله عليه وسلم نجد قومه **وقد دعاهم للتوحيد وأن يكون التشريع لله خالقهم، يقولون: ﴿يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾** [هود/87]، **أليس هذا الاستنكار من قوم شعيب** عليه السلام يعكس تجذر الرؤية العلمانية فيهم بما أن العلمانية تعني فصل الحياة عن الدين والإله؟! أليس هذا هو نفس ما يدعو إليه العلمانيون المعاصرون؟!

312. مفاسد الاختلاط

اختلاط الرجال والنساء شرٌّ كله، ونتائجه كارثية جداً، فكم من فتاة وقعت في أسر شاب سيكون من المستحيل الزواج معه! وكم من شاب حدث له الشيء نفسه! وكم من متزوجة وقعت في الإعجاب الصامت والانجذاب البطيء نحو زميل الشغل أو مدير الشغل! وكم من متزوج حدث له الشيء نفسه! وكل هؤلاء يعانون بصمت معاناة رهيبة، بل بهذا كله تخربت بيوت، وتهدمت زيجات، وتفككت أسر! البعض يظن أن هذه لأنها محجبة، وأن هذا لأنه ملتحي، إذن قد تغيرت الفطرة فيهما، فلا شوق ولا نزعة ولا غريزة ولا شهوة ولا حنين! وهذا جهل كبير بطبيعة الفطرة، ففطرة الرجل وفطرة المرأة، هي هي، كذلك كانت وكذلك ستكون، بشتى نزعاتها ورغباتها وأشواقها وأهوائها، وقد خُلقت المرأة للرجل، وخُلق الرجل للمرأة، ولذلك، فطول الاحتكاك والتواصل والنظر، لابد أن يُحدث شيئاً في النفوس، فإما أن تستسلم وتسترسل فتقع في فتنة عظيمة، وإما أن تلجم رغبتها وحنينها فتقع في بلاء نفسي كبير! كيف يمكن أن تظن أن فتاة _حتى وإن كانت تقوم الليل كله وتصوم الدهر كله_ تعمل وتخالط رجلاً له حظ جيد من الوسامة ومن البشاشة والمرح، ومن الوعي والنضج، ومن الجدية في العمل وتحمل المسؤولية، كيف يمكن أن تظن أنها لن تنجذب إليه ولا تُعجب به، حتى وإن كانت تعلم أنه متزوج ولديه أبناء، هذا غير ممكن لأن الأمر ليس لها فيه خيار، بل هي مجبرة عليه من باطن فطرتها، وطبيعة نفسها. وقل الشيء نفسه عن الرجل، خصوصاً إذا كان زواجه بائساً: زوجته ليس لها حظ جيد من الجمال، أو لا تهتم به ولا تبالي، لا تروي ظمأه العاطفي

والجنسي؟ فمن بعد هذا يرحب بالاختلاط؟ لا يفعل ذلك إلا كل لم تعد تعرف من الحياء إلا لفظه، ولا من النظافة النفسية إلا شعارها! وإلا كل من يعشق إمتاع نظره في الشفاه والعيون والخدود والقدود!

313. أين دولة الإسلام اليوم؟

من الأفكار التي يحرص المفسدون على ترويجها خصوصاً بين الشبابّ؛ فكرة: أرونا نموذجاً واقعيّاً للإسلام الدولة، ليكون ذلك دليلاً صادقاً على صلاحية الشريعة لكل عصر وزمان، كما كانت في عهد النبوة والمجتمع المسلم الأول! في الواقع، فهؤلاء المفسدون في الأرض إنما يقصدون بالترويج لهذه الفكرة التشكيك في منظومة الإسلام، من حيث فاعليتها في التاريخ وقدرتها على الاستجابة لحركة الفرد والمجتمع المتغيرة والمتطورة عبر خط الزمن! إن عدم وجود هذا النموذج في واقعنا المعاصر، ليس نقصاً أو عجزاً في الإسلام، بل له عوامل متشابكة ومتعددة، أبرزها التآمر العلماني الداخلي مع الغربي الخارجي، للإبقاء على الضعف والتفكك في الأمة، من خلال مجموعة من الأساليب والوسائل.

314. تقوية اليقين

المسلم مطالب بتعزيز يقينه وتقوية إيمانه ما دامت روحه في جسده، إذ الشبهات كثيرة، والقلوب ضعيفة، وهو مأمور أن يموت على الإيمان واليقين والالتزام، لا أن يعيش كذلك فقط. ومعززات اليقين في العقل والقلب هي: الاستقامة والتزكية الروحية، والابتعاد عن المعاصي وآفات القلوب، فللأعمال تأثيرات خفية في النفس. والأخذ بنصيب حسن من العلم الشرعي الأصيل والسليم من البدع الاعتقادية والعملية. والتأمل في بديع صنع الله تعالى وعظيم خلقه، في الذات والحياة والكون، إما مباشرة أو عبر الكتب. والتفكر في أحوال الدنيا وما فيها من لطائف الأقدار وعجائب التدبير الإلهي. والتفكر في أحوال الآخرة من القبر والحشر والجنة والنار، وما في ذلك من العجائب واللطائف. التأمل في حياة الأنبياء وأتباعهم الصالحين وكيف عاشوا الإيمان، مرتبطين بالله سبحانه. والتأمل في شقاء الكفار والملاحدة والمشركين وبؤسهم وما يعانونه من الآلام والأزمات رغم أبهة الدنيا التي يتخوضون فيها. التفكر في معاني الوحي ومبادئ الشريعة وحكمها وأسرارها، فالوحي من أعظم معززات اليقين. فهذا ثمانية مصادر لليقين، بقدر تعمقك فيها يكون يقينك وإيمانك قوياً راسخاً، صافياً نورانياً.

315. نذالة المبشرين النصارى

لا تجد أنذل دعاة دين في العالم كما تجد المبشرين النصارى. لقد عجزوا عن مواجهة الإسلام بالحجة والبرهان، فانطلقوا إلى التوسل بأية وسيلة قذرة لتشويش عقل المسلم، حتى ولو أدى ذلك إلى أن يصير ملحداً، كما اعترف كبراؤهم! وتراهم في سبيل هذه الغاية الحقيرة يرصدون المليارات، لتخريج هؤلاء الدعاة الأنذال وتدريبهم على فن النذالة في الدعوة، فمن ادّعاء الإسلام لتفجيره من الداخل، إلى دس السم في العسل تحت شعار البحث والحياد والموضوعيّة، إلى الترويج للعلمانية والحداثة والليبرالية، إلى استغلال فقر وحاجة فقراء المسلمين، إلى انتحال الإلحاد للتشكيك الصريح في الإسلام والخالق! فما أعظم الملكوت الذي يبشرون به! وصدق رب العزة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال/36].

316. الافتراء على السيدة خديجة

رأيت بعض الأكاديميين يجوزون عمل المرأة لتساعد الزوج، بإنفاق أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها على النبي ﷺصلى الله عليه وسلم. وهذه مغالطة فجة، لا تليق بالمبتدئ في الطلب، فكيف بمن يحمل شهادة الدكتوراه، ويعمل في سلك التعليم؟! ومكمن المغالطة هو حذف أمثال هؤلاء الأكاديميين للسياق الاجتماعي والزمني بين عصر خديجة وعصر الموظفة المعاصرة، فقد سبق في بعض المنشورات هنا بيان أنه من الظلم والفساد والمغالطة وصف السيدة خديجة بسيدة أعمال أو امرأة أعمال، والتوسل بهذه الخدعة لتجويز خروج المرأة للعمل، فالسيدة خديجة لم تكن مثل رائدات الأعمال اليوم تباشر العمل بنفسها، وتعقد الصفقات وتقوم بالسفريات واللقاءات كما يتم اليوم في السياق الرأسمالي العلماني، أما رائدة الأعمال والموظفة اليوم فهي مجبرة ــضمن النظام الرأسمالي العلمانيــ على الموافقة على الاختلاط بالرجال، والتفاعل معهم، بشكل يومي أو شبه يومي، وفي هذا من الأضرار والمفاسد ما الله به عليم، ويكفي أن نذكر هنا بأن الرجل الذي يقبل بخروج زوجته للعمل، يوافق ضمناً على اختلاطها بالرجال، وتبادل الكلام معهم، والتواصل المباشر بهم، وعليه أن يفهم أنه ضمناً يوافق على حقها في الإعجاب الصامت بمديرها أو زميلها في المكتب أو الإدارة أو المصنع أو الشركة! وبهذا يتبين أن قياس موقف شغل المرأة اليوم على موقف السيدة خديجة قدس الله روحها، قياس مع الفارق، بل يمكن القول بأن هذه المقارنة طعن في النبي صلى الله عليه وسلم، فما كان له عليه الصلاة والسلم ــفطرة وخُلقاً وعقلاً وديانة، وهو الذي طبع على الكمال الإنساني الممكنــ أن يوافق على أن تشتغل زوجته في مثل سياق شغل العصر الحاضر الرأسمالي العلماني، فضلاً عن أن يقبل بأن تنفق عليه زوجته!

317. تقديس النجاح

مسكين أجبروه على دخول معبد النجاح بعد أن وعدوه بالأماني وزيّنوا له الأحلام! قبل أن يكون من عبيد النجاح، كان يعيش حياة هادئة وجميلة، حتى الفشل كان يجد فيه شيئاً من المتعة لأنه كان حرّاً! أما بعد لحظة ترسيمه عبداً من عبيد النجاح، لم يعد يشعر بقيمته الإنسانية، لأنّ الشعور بهذه القيمة لا يمكن أن يتحقق في بيئة لاهثة وراء سراب تحقيق الذات! لقد صار هذا العبد يشعر بأنّه مجرد شبح مبهم يلهث وراء وهم النجاح عسى أن يجد ذاته الآفلة! ولذلك يخاف من المستقبل ومن المجهول، لأنه في عصر عبودية النجاح، ليس هناك ثبات ولا قرار، بل هناك فقط القابلية للتنقل والتوتر وشعور التمزق!

318. عالم الآخرة

مثل عالم الآخرة إلى عالم الدنيا، كمثل عالم الدنيا إلى عالم الرحم ..الجنين في بطن أمه لو قيل له وراء هذا العالم الذي تعيش فيه عالم آخر، أوسع بكثير جداً، وأعجب بكثير جداً، من عالمك الجنيني، وعالمك هذا بالنسبة إليه لا يساوي شيئاً، ووجودك في هذا العالم أشبه بالحلم حين تخرج عما قليل إلى ذلك العالم الفسيح، لو قيل له هذا ما كاد عقله يصدقه، ولرأى ذلك ضرباً من السخرية والخيال والوهم والزيف. فكذلك، إنسان الدنيا الضعيف الإيمان، الساذج العقل، اللاهث وراء الشهوات، حين يقال له وراء هذا العالم الدنيوي، عالم آخر، أوسع بكثير جدا، وأعجب بكثير جدا، من عالمك هذا، وعالمك هذا لا يساوي شيئا بالنسبة إلى ذلك العالم، بل وجودك في هذا العالم أشبه بالحلم حين تنتقل عما قليل إلى ذلك العالم، حين يقال له هذا، يبادر إلى التشكيك أو التكذيب الصريح، لأن مدارك عقلك المتلطخ بالشهوات والمعاصي عجزت عن تصور ذلك، فتوهم أن العجز عن التصور يساوي الاستحالة. وإنك يا نسان خُلقت للبقاء الأبدي، لأنك كائن خالد، وإنما تنتقل من دار إلى دار، إلى مستقرك السرمدي: الجنة أبداً أو النار أبداً.

319. نشر التصوف المنحرف

إن العمل الدائب على نشر التصوف والاحتفاء برموزه والعناية بمعالمه، ليس بريئاً ولا يمكن أن يكون كذلك! لقد أدركت المؤسسات الغربية البحثية الخدمات الجليلة التي يمكن أن يقدمها التصوف في العالم الإسلامي للغرب، من حيث تخدير العقول وتزييف الوعي وغرس السلبية في النفوس وتمييع الإسلام. ومن ثمّ؛ صارت هذه المؤسسات حريصة على التوصية بضرورة الاهتمام بالتصوف، في تقاريرهم للساسة وصنّاع

القرار في بلدانهم! لقد كان التصوف في العصور الإسلامية الأولى؛ أمارة على الجد والمسؤولية والاستقامة، فكان المتصوفة مع تعبّدهم وزهدهم لا يتورعون عن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكالمشاركة في الفتوح والغزوات. أما اليوم ـــبفعل تراكم الانحراف عبر القرونـــ صار التصوف يشحن المنتمي إليه بالسلبية والانسحاب والدروشة، فلا عجب أن يهتم به الغرب وحكام المسلمين اليوم.

320. الزواج من أسباب الرزق

أرسل لي بعض الشباب يقول بأنه سمع بعض الدعاة يقول بأن الزواج من أعظم أسباب توسيع الرزق! والأخ الكريم يفكر في الإقدام على الزواج بسبب هذا القول، فهو حالياً لا يعمل وليس له رزق مستقل من وظيفة أو تجارة أو ما يشبه ذلك. قلت: لا ينبغي أن يُفهم من قول القائل بأن الزواج من أسباب الرزق أو توسيع الرزق أنه كذلك مطلقاً، بمعنى أن كل شخص لا يعمل بمجرد أن يتزوج يفتح له الله تعالى أبواب الرزق، أو كل شخص دخله ضعيف جداً لكن بمجرد أن يتزوج يوسع الله تعالى له في رزقه، فهذا بلا شك خطأ. فمنذ عهد الصحابة إلى يومنا هذا وجدنا أشخاصاً هم أهل صلاح واستقامة وتقوى، لكنهم عاجزون عن الزواج، أو أصحاب رزق هزيل وتزوجوا لكن رزقهم بقي كما هو، وهذا يدل على أن الزواج سبب من أسباب الرزق في حق بعض الناس فقط وليس الجميع، فالله تعالى كما قد يرزق ابتداء فقد يرزق بأسباب، والأسباب التي يجعلها الله تعالى مفاتيح لمسبباتها متنوعة جداً لا يحيط بها إلا الله تعالى. ولأن الأمر هكذا، فالواجب على المسلم ألا يتعامل بمثل هذا المنطق الفضفاض: "الزواج من أعظم أسباب الرزق إذن سأتزوج وسيرزقني الله"، بل الواجب عليه أن يتخذ الأسباب الظاهرة لجلب الرزق، كالوظيفة أو التجارة أو الفلاحة أو غير ذلك، ثم يتوكل على الله ويتزوج. فلو كان مجرد الزواج يفتح أبواب الرزق أو يوسعها على العبد لما فكر بعض الصحابة رضي الله عليهم في الاختصاء خشية العنت أي العجز عن الزواج مع ضغط الشهوة الجنسية عليهم، لولا أن نهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك.

321. النظام الاجتماعي في الإسلام

يحتل النظام الاجتماعي في الإسلام منزلة سامية ومقدسة، وقد شرّع له الكثير من الأحكام وقرّر له الكثير من الآداب، ذلك لأنّه يعلم أن المجتمع هو البيئة الكبرى التي تتشكل في إطارها شخصية الإنسان، وتتفتح في أجوائها أفكاره وأحاسيسه، وتتحد في سياقها وجهته وغاياته وأحلامه. ومن هنا؛ كانت العلاقات الاجتماعية في الإسلام، علاقات تراحمية. وهي حقيقة وتوجه نابع إلى طبيعة رؤية الإسلام

للإنسان. فالإسلام يتعامل مع الإنسان على أساس أنه كائن مُركّب، ثنائي البُعد من الروح والجسد. لأنّه ليس ابن الطبيعة وهذا العالم المحدود الفاني: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر/29]. وبهذا تكتسب العلاقات التراحميّة في الإطار الإسلامي مقدرة عالية على تزكيّة الإنسان وترقيّته في مدارج الإنسانيّة النبيلة، من خلال التحابب، التضحية، التكافل، والإحساس بالمسؤوليّة وضرورة المشاركة الفعّالة في حركة المجتمع.

322. فناء الدنيا

هب أن لك لذات الدنيا وما تشتهي النفس، زوجة في غاية الجمال، فيلا في منتهى الفخامة، سيارة آخر موديل، حساب بنكي ضخم، وماذا بعد؟! لا شيء، فكلما تقدم بك العمر، كلما ألمت بك خاطرة الموت، تتذكر أن كل ذلك إلى زوال مهما طال الأمد!! كل لذات الدنيا تتحطم على صخرة الموت قادم! وإن من أعجب الحقائق في وجود الإنسان أن سعادته النفسية مرتبطة بوجود المعنى المتعالي على شهوات الدنيا ورغائبها، حتى وإن كانت متنوعة وواسعة وممتدة!! وأن في اللحظة التي يفقد فيها شعور الغاية النبيلة المتجاوزة لذاته وللعالم، يفقد فيها الشعور بذاته وبالعالم، يفقد فيها الاحترام لنفسه وللحياة، يشعر فيها مجرد حثالة وذرة تافهة تغذ السير نحو مصيرها المحتوم ..نحو الفناء والمجهول والعدم!! ولهذه الحقيقة، ما فتئ القرآن يشير إلى المعنى ويعمل على ترسيخ الغاية في وعي المسلم ووجدانه، عبر حديثه عن فناء الدنيا وضآلتها، وعن وجود حياة أبدية بعد الموت، وأعظم من ذلك، حديثه عن كمال الله وعظمته وتجليات أسمائه وصفاته على مشاهد الكون والحياة والتاريخ، كل ذلك ليوثق علاقة المسلم، تفكيراً وشعوراً وسلوكاً، بالمعنى المقدس في باطن الوجود والغاية الكبرى الكامنة في أعماق الحياة.

323. في عالم مادي

في عالم مادي حيث تنعدم الثوابت وتذوب المعايير، لا يمكن أن تكون هناك ثقة بالذات، ولا بالواقع، ولا بالمستقبل، ولا يمكن أن يكون هناك يقين، ولا حقيقة، ولا مبدأ، لأن كل شيء في تغيّر مستمر بلا توقف! الإنسان هنا يكون مرتبطاً بثلاثيّة (الحرية، المتعة، الأمن)! إنّه يبحث عن الحرية، وبتحقيقها يندفع نحو طلب مزيد من المتعة. ولذا فكل لحظة تذهب بغير متعة فهي خسارة عظيمة لن تُعوض! هذا القلق والتوتر يُنتج بدوره البحث عن الأمن، ثم مع الحصول على الأمن، ينطلق نحو البحث عن مزيد من الحرية والمتعة. وهكذا يظل يدور في الدائرة. ثم يكتشف أن عليه أن يتغير باستمرار وأن يلهث

دائماً، لكي يتفادى الحرمان من المتعة والحرية والأمن! هذه الحياة البائسة رغم ما يغلّفها من زخارف وزينة، إلا أنّها تخفي تحتها قلقاً عميقاً، وشعوراً عنيفاً بالتفاهة وعدم المعنى!

324. الاختلاف بين الأزواج

لا توجد قاعدة مفصلة يمكن لكل الأزواج اتباعها لتحقيق الانسجام والتوافق، وللحصول على السعادة والاستقرار للكيان الزوجي والأسري. وذلك لأمرين (**أولهما**) أن لكل إنسان شخصيته المستقلة والتي تشكّلت عبر السنين في إطار التجارب والبيئة وغير ذلك. (**ثانيهما**) أن الإنسان في كل مرحلة عمرية _قد تطول وقد تقصر_ تتشابك مجموعة من العوامل في توجيه مزاجه وردود أفعاله واختياراته المفضلة! نعم؛ هناك ملامح عامة يشترك فيها كل الرجال، كما أن هناك ملامح عامة يشترك فيها كل النساء، لكن مع ذلك، فإنّ اختلاف الشخصيات والفروق بينهما حقيقة ثابتة لا يمكن تجاوزها والتغافل عنها. الحل إذن؛ هو الحوار الإيجابي بين الزوجين بشأن كل شيء بينهما، وبصورة مستمرة، وأن تكون هناك مرونة حيوية بينهما، وأهم من ذلك أن يفهم كل طرف، أنه يتعامل مع إنسان وليس مع آلة جامدة.

325. النفس عالم مجهول

كل إنسان تأتي عليه لحظات يشعر فيها بالحزن، ولا تخلو حياة أي شخص من هذا الإحساس قليلاً أو كثيراً، أحياناً أو دائماً! كثير من حالات الحزن يدرك الإنسان أسبابها وبواعثها؛ من فقدان أو حرمان أو خيبة أمل أو صدمة مباغتة. غير أنّ من أعاجيب النفس البشريّة؛ الإحساس بالحزن بدون سبب ظاهر، ولا يمكن ربطه بشيء محدد! نحن ندرك عقليّاً أنّ لكل حدث سبباً، لكنّا كثيراً ما نعجز عن فهم وتوصيف حالتنا النفسيّة! وهذا _لَعَمْرُ الله_ من الأمارات الدالة على أنّ في هذه النفس أبعاداً لا تزال تمتد بُعداً بَعد بُعد إلى ما شاء الله! وأنّ آليات الاشتغال فيهما تتجاوز نطاق الإدراك والنظر المادي! فلو قلنا بأن الإنسان عالم مجهول يعيش في عالم مجهول لما ذهبنا بعيداً عن الحقيقة!

326. غاية التدين

المتدين/المتدينة (الملتزم/الملتزمة)، هم بشر كباقي البشر. إي والله، فهم أيضاً يمكن أن يخطئوا، ويمكن أن يكون تفكيرهم ساذجاً، ويمكن أن يفشلوا في دارستهم، ويمكن أن يعيشوا حياة زوجية بائسة، ويمكن أن يتطلقوا، ويمكن أن يمروا في مختلف أطوار حياتهم بأزمات خانقة، ويمكن، ويمكن. بعض الناس يعتقد أن

الملتزم/الملتزمة لمجرد أنهم يحالون التزام طريق الاستقامة الشرعية في زمان الانفلات والانحراف، إذن بالضرورة ستكون لهم شخصية مثالية، وعقلية نموذجية، وحياة وردية، فالملتزم/الملازمة عندهم (يجب أن ينجح) في دراسته، في زواجه، في تجارته، في وظيفته، في علاقاته ونشاطاته! كما أن بعض الدعاة الجدد يربطون الالتزام بالنجاح، فتضخمت فكرة النجاح جداً في حس بعض الملتزمين والملتزمات، فضلاً عن غيرهم، فصار معيار صحة وقوة الالتزام هو النجاح! ونحن نقول لكل شاب وشابة، لابد من الاستقامة وعيش حياتكم بمختلف مظاهرها ونشاطاها في إطار القيم الإسلامية، لكن، لا تحملوا أنفسكم فوق طاقتها، ولا تسمحوا للآخرين أن يغرسوا فيكم وجوب أن تكونوا مثاليين، ستعيشون في شقاء نفسي رهيب!

327. تشكل المصطلحات

إن المصطلحات المعرفية، كالعلمانية والليبرالية والنسوية والديموقراطية، تُولد وتنمو في بيئتها الخاصة؛ حيث إنها في جوهرها تكون نتاج وخلاصة مجموعة من العوامل والروافد المختلفة، الذاتيّة والموضوعيّة. ولهذا؛ فحين نناقش مصطلحاً من المصطلحات القيمية، أي التي تتعلق بالإنسان والحياة والمفاهيم، لا ينبغي أن نهتم بما يقوله أصحابه وأنصاره، بقدر ما يجب علينا أن نتفهم أولاً وبشكل أهم الملابسات التاريخية والاجتماعية والنفسية التي نتج وظهر وتطور هذا المصطلح في سياقها وبيئتها. وفي ضوء هذا الفهم لتلك الملابسات يمكننا أن نُحلل المصطلح لنكتشف منطلقاته ودلالاته وغاياته الكامنة وآثاره ومآلاته في واقع الفكر والسلوك وواقع الحياة والاجتماع. وبدون هذا، من المؤكد أن الباحث ستلتبس عليه الأمور، وسيعجز عن استيعاب انعكاسات هذه المصطلحات على الفرد والمجتمع!

328. الكلام قبل النوم للزوجين

عشر دقائق دردشة هادئة وجميلة بين الزوجين قبل النوم، لها آثار إيجابية على الصحة العاطفية والنفسية والعقلية والجسدية، بل والأسرية كذلك. فنشاط الوعي لا يسكن خلال النوم، بل يكون في حركة دائبة، كما هو ثابت شرعاً وعلماً وواقعاً، والنشاط خلال النوم عادة ما يكون مرتبطاً بما نام المرء عليه وختم به يقظته، ولهذا يجد الزوجان اللذان ختما يومهما بمثل هذه الدردشة وما جاورها، يجدان حين اليقظة النشاط والحيوية والشوق، عكس من ينامون على شجار وصدام، بنفوس منقبضة وأذهان مشتعلة. فدردشوا أيها الأزواج قبل النوم بمحبة وبسمة وشوق تصحوا.

329. الكاتب الجاد

الكاتب الجاد حين يكتب وهو مقتنع تمام بما يكتب، لأنه يرى هذه الأفكار حقاً وصواباً، ومن ثم، فهي تستحق أن تُنشر بين الناس وتُشاع، وتستحق أن تعيش في عقولهم وضمائرهم، لأنّه يعتقد أنّها تستطيع أن تسهم في تجديد الوعي، وأنها تستطيع أن تساعد في تغيير الواقع نحو مستقبل أفضل. لكن؛ مع اتساع دائرة الخبرة المعرفية والتجربة الحياتية، لابد أن يتأثر الكاتب بكل ذلك قليلاً أو كثيراً، ومن ثم تراه بين محطة وأخرى يتوقف عند قليل أو كثير من تلك القناعات التي ما فتئ يناضل عنها ويناظر دونها، يسائل قيمتها ومدى فاعليّتها وإمكانية استجابتها للتحديات الراهنة. ولهذا لا يجد مفرّاً من إدخال تغييرات مستمرة على شيء من أفكاره وبعضٍ من قناعاته. وهذا سر تغيير الكبار لأفكارهم بين محطة وأخرى.

330. أسباب رواج الترحم على الكافر

الترحم على الملحد والكافر الشائع في هذا العصر: **(أولاً)** نتيجة ضرورية لعملية تمييع العقيدة الإسلامية وتزييف وعي الشباب بالإسلام. و**(ثانياً)** نتيجة ضرورية لجهل جمهور المسلمين اليوم بالإسلام، عقيدة وشريعة. و**(ثالثاً)** نتيجة ضرورية لترسيخ فكرة عدم تميز الإسلام عن أي دين أو فكر. و**(رابعاً)** نتيجة ضرورة لتعظيم مفهوم الإنسانية وتنصيبه وثناً يُعبد ومرجعية عليا. و**(خامساً)** تكذيب صارخ لله تعالى واتهامه بالتدليس، لأنه حكم أن من مات على غير الإسلام فهو في النار. ثم ليس العجب من العلمانيين والليبراليين أن يمارسوا هذا الترويج، فهو في نهاية المطاف يصب في أهدافهم الرامية تحييد الإسلام عن الحياة ليصير المسلم مسلماً اسماً بلا مسمى، بل العجب كل العجب من أشخاص يحملون شهادات أكاديمية في تخصصات شرعية، وأشخاص يرفعون شعار الفكر الإسلامي، ومع ذلك تراهم يسايرون هذه الجماهير اللاهثة، ويصادقون على شعارات أولئك العلمانيين والليبراليين في كون القيم الإنسانية فوق كل شيء!

331. الحداثيون العرب

من أهم ما يحرص الحداثيون العرب على تمييعه وفصل المسلم عنه، عقيدة الولاء والبراء، تحت شعارات برّاقة وكلمات رنّانة! والواقع أن هذه العقيدة ليست مبدأ تفرّد به الإسلام، بل هي سمة عامة في كل الأديان والفلسفات والمذاهب. فالكل يمارس هذه الفكرة في الواقع العملي مع الأشخاص والأحداث، مهما اختلفت الشعارات والمنطلقات. فالعلماني مثلاً حين يهاجم الإسلام والتراث الإسلامي، فهو عملياً يمارس الولاء للقيم العلمانية والبراء من القيم الإسلامية. الفرق بين المسلم والعلماني مثلاً، هو أنّ المسلم يستقي مبادئ وأسس الولاء والبراء من معايير ومبادئ الوحي الرباني، وهو يدور معها حيث دارت، وأما

العلماني فهو يستقي مبادئ وأسس الولاء والبراء من الأهواء والاحتكام للطاغوت الجاهلي الغربي. هؤلاء ــإذنــ في الواقع لا يطالبون بنفي فكرة الولاء والبراء، بل فقط فصلها عن المرجعية الإسلاميّة!

332. كرامة الزوج

أخيتي المتزوجة خذي نصيحة مني تنفعك إن شاء الله، احذري شديد الحذر مما يمس كرامة ورجولة زوجك، سواء بالقول أو بالفعل، فإن الرجل إذا مُست كرامته شعر بالإهانة والاحتقار، وهذا الشعور بالنسبة له يعادل قتله، ولذلك يفقد عقله عندها، فهناك من يضرب وربما قتل، وهناك من يبادر إلى الطلاق والفراق، وهناك من يمسك ولكن على مضض، غير أنه لا يعود يرى زوجه إلا شيئاً من الأشياء المهملة. فلا تحاولي العبث بكرامة زوجك، فذلك لعب بالنار، أنت أكثر من سيدفع الثمن باهظاً!

333. تعظيم المتدين

عموم الناس بفطرتهم ــرغم تقصيريهم وانحرافهمــ يعظمون الشخص المستقيم الملتزم سبيل الصلاح، إذ يرون فيه كمالهم المفقود. وبسبب ذلك كثيرون يُضفون عليه هالة مقدسة، تجعلهم يتوهمون عصمته من الأخطاء! لكن في الواقع؛ فإنّ صلاح الإنسان واستقامته، لا يقتضي بالضرورة، أنّ تكون كل آرائه حق وكل مواقفه صحيحة! لهذا ينبغي أن نفرّق بين صلاح الشخص وتقواه وورعه، وبين ما يعرضه من أفكار ومواقف وأنظار، فنقبل منها ما يوافق الحق ونتجاوز ما كان على غير ذلك، مع حفظ مقامه وتوفير كامل الاحترام والتقدير لشخصه واجتهاده. والذين لا يفهمون هذه الحقيقة لا شك أنهم يسقطون في صنميّة مقيتة تغتال فيهم حيوية العقل، كما تصرفهم عن حقائق الوحي.

334. من معايير الدين الحق

الإنسان متديّن بفطرته؛ يبحث دائماً عن منظومة ذات شعب معرفية وسلوكية وتشريعيّة، تكون مرجعيّة معياريّة لنظام الفكر والحياة. لكن مع كثرة الأديان واختلافها بفعل عوامل متعددة، لابد من تحديد معايير تُنقد في ضوئها الأديان لمعرفة الحق من الباطل. أحد أهم هذه المعايير هو (معيار القدوة)، أي أن يُنظر في مدى استجابة نبي هذا الدين لمتطلّبات الاقتداء بين مختلف طبقات الناس، بحيث يستطيع كافتهم أن يروا فيه ذلك البرهان الحسي الواقعي لما يدعو إليه ولما يشعرون أنهم بحاجة إليه. خذ مثلاً يسوع في النصرانيّة المحرّفة؛ حين تدرسه في إطار (معيار القدوة) تكتشف أن شخصه ونمط حياته دليل على أنّ

النصرانية ديانة باطلة، إذ هناك مسافة شاسعة بينه وبين الحياة! فيسوع كما يُعرض، لم يكن زوجاً، ولا أباً، ولا سياسيّاً، ولا عسكريّاً، أي أنه لا يصلح لاتخاذه قدوة في الحياة الخاصة أو العامة، وهذا هدم للنصرانيّة!

335. مأساة الإنسان الغربي

مسكين الإنسان الغربي.. قديماً عاش في أوهام الأساطير اليونانية، واليوم يعيش في أوهام العلم الطبيعي! قديماً عاش في عبودية ضاغطة للكنيسة، واليوم يعيش في عبودية ضاغطة للمادية! إنها المادية التي لم تكتف بتفكيك شخصية الإنسان الغربي، بل انتقلت به لتفكيك وتدمير شعوب العالم! هكذا هو الإنسان في طبيعته، بمجرد أن يمتلك أسباب القوة والغلبة يسيح في العالم مدمراً ومتسلّطاً ومستنزفاً للشعوب المغلوبة المقهورة تحت جبروته، كذلك الإنسان الغربي، تاريخه تاريخ العنف في أجلى مظاهره! لا نحتاج لتأمل طويل لكي ندرك بأنّ هذه المأساة بصورتيها (عيش الأوهام، وعيش الطغيان)، ترجع أسبابها وعللها إلى أنّ الإنسان الغربي لم يعرف الوحي الإلهي في نقائه وصفائه وحقائه، بل عرفه دائماً مشوباً بالكثير من الأوهام والأساطير، وبالكثير من الركام والانحرافات!

336. المرأة والحب

المرأة مع الحب صنفان، امرأة تضع الحب فوق نفسها، ولذلك تراها حريصة على تمتين علاقتها بزوجها والتودد إليه والصبر معه وإطلاق العنان لخيال الابتكار لإضفاء البهجة والجمال على هذه الوشيجة المقدسة. وامرأة تضع الحب دون نفسها، ولذلك تراها لا تبالي في أي مسار سارت علاقتها بزوجها، حتى ولو كانت المؤشرات تؤكد على أن نهاية الطريق قد تكون الطلاق، لأن عنادها، وغرورها، وكبرياءها المنتفخة، كل ذلك شوه الحب في قلبها!

337. لذات الدنيا

لقد جربنا لذات الدنيا المختلفة، من طعام وشراب وزواج وسفر وحب وما شئت بعد، فلم نجد لذة منها تخلو من بعض المنغصات أو لا يعتريها شيء من المعاناة، بل وجدنا أن هذه اللذات كافة إذا تجاوزت الحد فيها فقدت النفس معناها ولم تعد تتذوق متعتها، بل تنقلب إلى مأساة لا تزال تدفع بك من ألم إلى ألم، ولا تزال تخرج بك من هم إلى هم، فكان ذلك برهاناً ساطعاً على أن هذه الدنيا ـ وقد مُزجت لذاتها بمعاناتها، وتخرج همومها من متعها ـ ليست بدار تستحق الإخلاد إليها واللهاث وراءها، ولهذا قال رسول

صلى الله عليه وسلم: ﴿الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له﴾. فنسأل الله تعالى برد العيش بعد الموت.

338. إدراك وجود الله تعالى

القول بصعوبة إدراك وجود الله تعالى، وأن الأمر يحتاج لقفزة إيمانيّة تتجاوز العقل، لأنه بالعقل لا يمكن تحقيق ذلك.. هذا القول في حقيقته إساءة بالغة لله ﷻ! كما أنّ فيه حطّاً شنيعاً على مهمة الأنبياء عليهم السلام! وكذلك فيه انتقاص صارخ من قيمة العقل الإنساني! إن الحق تعالى لم يخلق الإنسان عبثاً، بل خلقه بالحق وللحق، فمن أجل ذلك قد كشف له من الأدلة ونصب له من الأمارات والبراهين في الأنفس والآفاق، فضلاً عن الشرائع والنبوات ما يكفي _وزيادة_ للجزم ليس بوجوده جل مجده وحسب، بل بضرورة وجوده سبحانه. ولذلك لما كانت أدلة التوحيد وبراهين الإيمان واضحة بيّنة _اللهم إلا من آثر العناد والتعصب الأعمى واتّباع الهوى!_ لم تكن مهمة الأنبياء الدعوة لإثبات وجود الله، بل لتوحيده وإفراده بالربوبية والألوهية والحاكمية. وبهذا يكون القول بصعوبة إدراك وجود الله تعالى صادراً عن شخص لم يعرف الوحي معرفة صحيحة، أو لم يقدره تقديراً كما يجب له، بل آثر اللهاث وراء أوهام الفلاسفة والمفكرين الذين يعظمون عقولهم ويجعلونها المرجعية العليا لكل شيء!

339. تمجيد الاختلاف

تمجيد ثقافة الاختلاف تحت مبررات وشعارات شتّى، كما يحرص على ترويجها ذلك كثيرون؛ ليس بريئاً، بل هو يروم إنشاء حالة تمرد على علوم الشريعة وأصولها ومبادئها! إنّهم يدركون أنّهم إذا نجحوا في غرس هذه الثقافة بين طبقات المجتمع المختلفة، فإنّهم سيصلون إلى حالة الفهم السائل للإسلام، وبالتالي سيسهل عليهم تمرير ما شاءوا من الأفكار والتصورات، كما التلاعب بالضوابط والثوابت العقدية والشرعية! ولهذا صرنا اليوم نرى مراهقين وشباباً لم يشموا رائحة العلم، يرددون كلاماً أكبر من عقولهم، من قبيل ضرورة التجديد والاجتهاد، وأن الصحابة والعلماء مجرد بشر مثلنا فلا علينا ألا نبالي بأقوالهم، وأن الفقهاء تآمروا مع السلطة السياسية لإخفاء مجموعة من الحقائق وتزييف أخرى، إلى غير هذا من الأفكار التي صارت رائجة بينهم!

340. جهد بلا محصول

بعض الأزواج يقول: أفعل الكثير من أجل زوجي، لكنه لا يُقدّر ما أقوم به لأجله! في الواقع؛ فإنّ المثال المفضل الذي أرد به على هؤلاء هو: قد تقضي الزوجة في المطبخ لتحضير وجبة ساعة وساعتين وربما أكثر، ويكون مظهرها شهيّاً.. لكن؛ هناك عنصر واحد إذا لم تتم إضافته، ذهبت تلك الساعة أو الساعتان سدى، ولم يشفع المظهر اللذيذ للوجبة لتناولها.. إنها ملعقة الملح! فكما ترى، هو مقدار قليل، لكنه مهم ودوره حاسم وقيمته فعّالة جداً. فهكذا العلاقة الزوجية، أحياناً نركز على أشياء كثيرة، ولا نبالي بشيء معين يكون هو مفتاح قلب الطرف الآخر، فإذا بكل تلك الجهود تذهب سدى ولا يكون لها رصيد ذي بال!

341. الاستفادة من تجارب الآخرين

نمر بتجارب جميلة أو خبرات محزنة. نقرأ ونطالع عصارة عقول شتى من أمم مختلفة في مجالات متباينة. نسمع لقصص الناس السعيدة والمؤسفة، المفرحة والمؤلمة. في الحب والكره، في النجاح والفشل، في الزواج والطلاق، في السمو والانحطاط، في الثبات والعجز، فلا نجد بُداً من أن نقدم نصائحنا وتوجيهاتنا لغيرنا، لا لأننا نراهم أدنى منا منزلة أو أضعف منا عقلاً أو بلا خبرات ذات بال، بل لأننا نحب تنبيههم إلى بعض الأمور التي من المحتمل أن تجلب لهم السعادة كما جلبتها لنا، وإلى بعض الأشياء التي من المحتمل أن تجلب عليهم المأساة كما جلبتها علينا. إن الإنسان لا يمكن أن يخوض كل التجارب، وإذا خاضها فلا يمكن أن ينتبه لكل ما فيها من أسباب الفشل والمأساة أو عوامل النجاح والسعادة، فتأتي نصائح وتوجيهات الآخرين بزاد الخبرة لديهم ورصيد التجربة عندهم لتساعده على هذا الاكتشاف.

342. تعارض العقل والوحي

ها هنا قاعدة مهمة جدّاً بخصوص علاقة العقل بالوحي، وهي: «ليس في ديننا شيء يخالف العقل؛ ولكن في ديننا أشياء لا يدركها العقل تفصيلاً». إنّ عدم الإدراك المفَصَّل لمعطيات الوحي الإلهي لا ينفي الإدراك المجمَل الممكن للعقل ولا يتعارض مع القول به، لأن الله تعالى خلق الإنسان لمعرفته ولعبادته، فهو إذن مخلوق بالحق وللحق، فمحال جداً أن يتعارض هذا العقل مع الوحي، والإحالة هنا بسبب ما ذكرت من الغاية من خلق الإنسان، وأيضاً بسبب منافاة كمال الله تعالى وعظمته لذلك. ولهذا؛ كان من وظائف الشرائع تفصيل مجملات العقل. ويترتب على هذه الحقيقة، أن العاقل السليم العقل من الأهواء المختلفة والأوهام اللاهثة، لن يجد شيئاً في تضاعيف النبوات يقول ليته لم يكن، أو شيئاً لم يكن يقول ليته

كان. ومما يعزز هذا المعنى، أن الوحي لم يذم العقل مطلقاً، بل ذم الذين لا يحسنون استعمال عقولهم، كما أنه حاكم الناس في كثير من المواضع إلى فطرة عقولهم، وفي ذلك دلالة ساطعة على أن أساس العقل الحق.

343. سخف الليبرالي العربي

لا يفتأ الليبراليون يتهمون الإسلاميين بأنهم لا يقرؤون إلا لأنفسهم! لكن حين يدرس الإسلاميون الغرب، فيجدون نقد الذات وانزعاج الغربيين من واقعهم الرهيب، والأزمات التي تخنقهم، والمآل الكالح الذي ينتظرهم، والاعتراف بوقوف رواسب التاريخ في تشكيل الكثير من رؤاهم وأفكارهم، والتصريح بالتآمر على الإسلام والمسلمين.. حين يستعرض بعض الباحثين المسلمين ذلك ويأتون بشواهده من الدراسات والكتابات الغربيّة، فماذا يفعل الليبراليون؟ إنّهم يسارعون باتهام هؤلاء الباحثين بالسذاجة في تحليل الغرب، والإيمان بفكرة المؤامرة، وتضخم الذات بنقد الغرب! والحقيقة أنّ هذا المجون الفكري الذي يتّسم به العلمانيون العرب يعكس حالة انصهار واستعباد نفسي وثقافي رهيب! كأن الغرب بالنسبة لهم هو المقدس الذي يُحظر الاقتراب منه، إلا بالتعظيم والإطراء!

344. حقيقة الحب

عندما تحب فأنت في الحقيقة تظن أن هذا الشخص بإمكانه أن يُلبّي لك احتياجاتك، وأنه لذلك يمكن أن يُشعرك بالكمال بعد النقص، وبالوجدان بعد الفقدان، وبالسعادة بعد الحرمان، وبالأمل بعد الألم! ألا ترى أنه كم من شخصين تزوجا عن حب؛ ثم بعد الزواج لم يلبثا إلا قليلاً حتى أعلنا الطلاق، فعاد القلب ممتلئاً بالكره والنفور، بعد أن كان يتدفق بالحب والإعجاب! والسبب أنهما _أو أحدهما_ لم يمنحا بعضهما ما كان ينتظره كل واحد من الآخر، بل أهملا _أو أحدهما_ سقي زهرة الحب بينهما لتظل تمنح القلب حياته وبهجته! وهذا من أبرز الأخطاء القاتلة للعلاقات الزوجية!

345. شخصية الإنسان

شخصية الإنسان ليست وليدة اللحظة الراهنة، بل هي مجموع عوامل ومدخلات متشابكة، تمتد إلى مرحلة الطفولة، مروراً بالمراهقة وصولاً إلى المرحلة التي يعيشها المرء (الرجل والمرأة). فهناك البيئة الأسرية، وهناك الخبرات والتجارب، وهناك الطباع والميول، وهناك الثقافة والوعي، وهناك العادات والتقاليد، وهناك الإعلام والمجتمع، كل هذه العناصر تتدخل بنسبة معينة في تشكيل شخصية الإنسان باستمرار، ومن ثم

تتدخل في تشكيل قناعاته وسلوكياته. إذن من الخطأ أن تنظر للآخر أو أن تنتظر أن يعاملك مجرداً عن كل عوامل بناء شخصيته والإطار الذي تشكلت فيه عبر السنين. وإنما تكمن الفضيلة والتفاضل بين الناس في مدى قدرتهم على ضبط العناصر السلبية على التدخل كثيراً في نشاطاتهم وعلاقاتهم وسلوكياتهم.

346. طبيعة نظام الدنيا

شاء الحق تبارك وتعالى أن يكون نظام عالم الدنيا قائماً على سُنّة الأسباب، فلا شيء في حياة الإنسان كما فضاءات الكون والحياة يمكن أن يتحرّر من هذه السنّة الربانيّة الحاكمة والضابطة لحركة الكائنات. انطلاقاً من هذه الحقيقة؛ فإنّ الظواهر الاجتماعية لا تنشأ من فراغ، بل تنشأ بأسباب وعوامل مختلفة ومتشابكة. كما أنها لا تبرز دفعة واحدة؛ بل تظهر عبر مُدَدٍ زمنية ممتدة. وأيضاً فإنّ هذه الظواهر لا تستمر قائمة بنفسها؛ بل تكون هناك روافد تغذّيها وتمدها بأسباب البقاء والنماء. ولهذا؛ فإن معالجة أية ظاهرة (قلة الزواج، الإلحاد، الرشوة، الزنا..) لن تكون ناجعة ما لم تُحدَّد أسبابها وعوامل نشأتها، وما لم تُحدَّد روافد استمراريّتها. فهذان شرطان أساسيان لابد من اعتبارهما في أي بحث عن الحلول، ثم يأتي الشرط الثالث وهو المعالجة الشمولية. بدون هذا، فإن الأمر لا يعدو أن يكون مراهم لتهدئة الألم مع بقاء المرض نشطاً!

347. الحاجة لزلال كوني

إن أحوال المجتمعات اليوم في الشرق والغرب؛ من حيث الرؤى والمفاهيم والسلوكيات والعلاقات، لتؤكد على أنّ البشرية اليوم قد وصلت إلى مستوى تحتاج فيه فعلاً إلى حدث كوني مزلزل، حدث يهز بنية النظام العالمي، حدث يوقظ الشعوب من شرودها التائه وكبرائها المنتفخة! خلال التاريخ الطويل؛ حين تصل الأمم إلى مستويات عالية في الفساد والكفر والفسوق والطغيان، يأذن الخالق سبحانه بحدوث حدث رهيب عقاباً لها وإعادة التاريخ إلى مساره الصحيح. إنّ حاجة البشريّة اليوم لهذا الزلازل الكوني الرهيب، حقيقة تاريخية كما أنّها حقيقة شرعية قدرية. ولهذا جاء الخبر الصحيح بوقوع ملاحم عظيمة في آخر الزمان، ثم عودة الخلافة الراشدة، ثم لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق وحثالة البشر.

348. ظلم المطلقة

من مظاهر التخلف لدى شريحة واسعة من أفراد المجتمع؛ تلك النظرة الدونية للمرأة المطلقة! فهي بالنسبة لهم، فاقدة للصلاحية والأهليّة الزوجيّة، لأنّها لو كانت صالحة للزواج ولبناء أسرة، لحافظت على زواجها الأول، ولما سارع طليقها لتطليقها! إنهم لا يريدون أن يفهموا أن المطلقة إنسان له أفكار ومشاعر وأشواق، وقد تكون في نفسها رائعة جدّاً، غير أنّها لم تصادف من زوجها سنداً وعوناً لتثوير تلك الروعة الكامنة فيها. إنّ أحد أهم أغراض الطلاق إسلاميّاً هو إعطاء فرصة جديدة للنجاح للمطلقين والمطلقات. فالإسلام يدرك أنّ قضية النجاح زواجيّاً متشابكة بين الطرفين معاً، كما أنّها وثيقة الصلة بطبيعة الشخصية ومكوناتها فيهما معاً، وقد ينجحان في تحقيق علاقة تواصلية فعّالة بينهما، وقد يفشلان أو أحدهما، ومن ثم لا يكون هناك مبرر للإبقاء على هذه العلاقة الراسبة مهما فشلت كل المحاولات.

349. الهشاشة النفسية

صارت النفوس تعاني من هشاشة مثيرة جدّاً، حتى إنها لا تريد ولا تطيق أن تقرأ أدنى شيء يقول لها بأن الأمور تسير في مسار مبهم وغامض ومجهول، علماً أن النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم ما فتئ يتحدث عن أن الدنيا لن تزداد إلا شرّاً وظلماً وفساداً، وعلماً أن الدراسات الاستشرافية والتي تكون خلاصة معطيات متشابكة تقرر الشيء نفسه، فيصدق مجمل تقاريرها، وهذا وذاك نتاج سنن الله تعالى الثابتة والصارمة والمطردة في حياة البشرية، وهي لا تعرف العبث والمحاباة والجهل بها. هذه الهشاشة المستشرية في نفوس الجماهير هي نتيجة حتمية لضعف الإيمان، والجهل بأحاديث المصطفى الأكرم، وعدم الوعي بسنن الله تعالى في الحياة، حب الدنيا والتكالب عليها، وكراهة الموت. لقد صار أكثر الناس يحبون ضمناً هراء دجاجلة التنمية البشرية الذين يغرسون فيهم هوس التفاؤل والنجاح، وميوعة عمائم التخدير والتزييف، لكن كيف تكون النتائج؟

350. نزول عيسى في آخر الزمان

ما فتئ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن آخر الزمان؛ ومن هذه الأنباء أن الله تعالى سيُنزل عيسى عليه السلام. وسر ذلك ـــوالله أعلمـــ أنّه لما كان آخر الزمان هو زمن الحضارة النصرانيّة المحرفة، وكان أتباعها يزعمون أنّ صليبيّتهم حق بدليل الثراء الحضاري الذي يعيشون فيه، قضى الله تعالى أن ينزل سيدنا عيسى صلى الله عليه وسلم لكشف هذا الباطل الخادع والضلال المزيف للحقيقة! ولذلك كان قتله عليه السلام للدجال الأكبر إشارة لانتهاء عصر الدجل والتزييف والتدليس الذي تمارسه الحضارة الغربيّة

باسمه عليه السلام. وكان قتله للخنزير وكسره للصليب إشارة لانتهاء مسرحية الكنيسة التي استمرت لقرون طويلة، لأنهما رمزان أصيلان في المسيحيّة المحرفة. وكان حكمه عليه السلام بالشريعة إعلاناً بأنّ دين الله تعالى الحق هو الإسلام. والله أعلم

351. انتشار الإسلام بالسيف

لم يكن حرص المستشرقين على إشاعة أن الإسلام انتشر بالسيف لأجل مجرد تنفير الناس من الإسلام، بل كان يعكس أيضاً عملية إسقاط نفسي على الإسلام لحدث واقع في النصرانية! وذلك لأن النصرانية لم تنتشر يوماً بسبب العرض العقلاني لها أمام الآخرين، ليكون الخيار لهم في قبولها أو رفضها، وما كان يمكنها ذلك، إذ لم تؤسس تأسيساً ينسجم مع فطرة العقل، ولذلك حاربت الكنيسة العقل وشددت على أنّ الإيمان شيء وجداني ولا دخل للعقل فيه.! بل إنّ النصرانية انتشرت دائماً بالسيف وبكثير من الدماء، وبكثير من الخبث والخداع والمتاجرة بفقر وعوز الآخرين، ليس فقط في جغرافية العالم الإسلامي، بل حتى في شتى مناطق العالم! والتاريخ في الأربعة قرون الأخيرة خير شاهد وأفضل برهان.

352. الصفات الذميمة في الزوجين

أقبح صفة في الزوج البخل، وأقبح صفة في الزوجة العناد. يمكن تأويل هذا المعنى بربطه بطبيعة الرجل والمرأة. فالمرأة لما كانت تحب الزينة والرفاه والرومانسية بطبعها، كان بخل الزواج المادي والمعنوي بغيضاً إليها. والرجل لما كان يحب السلطة والقوة والحكم بطبعه، كان عناد الزوجة وتعاملها معه بأسلوب الندية بغيضاً إليه. ولهذا، تجد البخل والعناد السبب الخفي في كثير من حالات الجفاف والبرود والآلية بين الزوجين، بل وحالات الطلاق والفراق ولو بعد سنوات من الزواج!

353. طبقات المجتمع

خلال تاريخ البشرية القديم، كانت هناك طبقة الأسياد، وطبقة العبيد، وطبقة العلماء، وطبقة العوام، وطبقة الأغنياء وطبقة الفقراء. لكن في الخمسين سنة الماضية من عصرنا الحاضر أُضيفت لأول مرة في التاريخ طبقتان أخريان وهما: (طبقة العزاب/العازبات)، و (طبقة كُتّاب الرأي الأميين)!! الأولى، نتجت عن الرأسمالية المعاصرة ونمط الحياة الحديثة. والثانية، نتجت عن إتاحة الإنترنت بمواقعه المختلفة للعموم. إن شيوع طبقة العزوبة/العنوسة، له آثار سلبية عنيفة على مستوى الشخصية وعلى مستوى المجتمع، وما تعلق

بذلك من الأخلاق والآداب. وشيوع طبقة الكُتّاب الأميين له آثار مرعبة تتمثل في شيوع التفاهة الفكرية. وهذا وذلك ينتج عنه ظهور جيل بلا ثوابت ولا معايير. ولله عاقبة الأمور.

354. ضرورة السنن الإلهية

شاء الله سبحانه أن تكون الحياة البشرية خاضعة لمنظومة سنن ربانيّة تكون هي الحاكمة والضابطة لها، سواء في مسار الحق أم في مسار الباطل. والحقيقة أنّ السنن الإلهيّة في حياة الإنسان ضروريّة ولابد منها. هي ضروريّة لأنّها تترجم عظمة الخالق وقيمة الإنسان في هذا العالم. وهي ضروريّة حتّى لا تكون حركة الإنسان في هذا العالم فوضى، بل مضبوطة بقوانين صارمة وسنن لا تتغيّر ولا تتبدل. وهي ضروريّة حتّى يستطيع الإنسان فهم طبيعة الارتباطات بينه وبين مختلف الكائنات، وفهم طبيعة وشائج التجاذب القائمة بينه وبينها. وهي ضروريّة حتّى يستطيع الاستمرار في ممارسة فعله ونشاطه في التاريخ في الأفق المطلوب منه الارتقاء إليه. فالسنن الربانية من دلائل وجوده سبحانه.

355. جناية الداروينية

قبل ظهور الداروينية، كانت هناك في كثير من مناطق العالم جرائم عنيفة، أخلاقية وسياسية، كل هذا ما زال مصاحباً للبشرية منذ عهودها الموغلة في مجاهل الماضي. الجديد بعد الداروينية وبعد نشرها وترسيخها؛ هو أن تلك الجرائم وذلك التوحش وذلك الطغيان وذلك الفساد والانحلال الأخلاقي اكتسب (أساساً علمياً) نسخ كل ذرة تأنيب ضمير وخجل وجدان كان يمكن أن يشعر به الإنسان سابقاً وهو يمارس إجرامه وطغيانه وتوحشه ضد الضعفاء، وهو يمارس فساده وانحرافه وسعاره المجنون! بعد الداروينية صارت الجريمة والطغيان، وصار نهب ثروات الأمم والشعوب، وصار اللهاث المسعور وراء اللذة والمنفعة الذاتية دونما حدود ولا قيود، صار كل هذا مقبولاً سلوكياً ومصادقاً عليه علميّاً أي داروينياً!

356. طلب العلم الشرعي والزواج

طالبة العلم الشرعي لا يلزم عن كونها طالبة أن تكون ناضجة بخصوص فنون العلاقة الزوجية، أو بالاصطلاح الشرعي أن تكون زوجة صالحة. ولهذا يجب على الشاب أخذ هذه الحقيقة بالاعتبار. هذا القول نقوله أيضاً بخصوص طالب العلم الشرعي، فلا يلزم لأنه كذلك أن يكون ناضجاً وواعياً بفنون العلاقة الزوجية، أو بالاصطلاح الشرعي أن يكون خيّراً مع أهله، ولهذا يجب على المرأة المسلمة أخذ هذه

الحقيقة بالاعتبار. رغم أن العلم الشرعي في الطالب والطالبة يفترض أنه عنصر فعال في تحقيق النضج النفسي والعقلي المتعلق بالعلاقة الزوجية. والتنبيه على هذا الأمر لا يعني أننا نقول بأن كل طالبة علم شرعي لا تصلح للزواج، وبأن كل طالب علم شرعي لا يصلح للزواج.

357. أوهام العقل

من الأوهام الشائعة، اعتقاد أن العقل مستقل عن المؤثرات المختلفة! وهذا خطأ محض، أدى بكثيرين للوقوع في انحرافات كارثية، بلغت ببعضهم إلى الزندقة والإلحاد، وأدت ببعضهم إلى رد ما قال الله ورسوله تحت شعارات مختلفة! والحق أن العقل ليس مستقلاً عن مجموعة من العوامل التي تؤثر فيه قليلاً أو كثيراً، مثل الانفعالات الباطنة، الشهوات الخفية، الرواسب النفسية، الضغوط الاجتماعية، الشحنة الثقافية، مناكفة الأقران، مصارعة المذاهب، البيئة الأسرية، وكذلك الخبرة والتجربة الخاصة، وأيضاَ المرحلة العمرية للإنسان. فكل هذه العوامل تؤثر كما قلنا قليلاً أو كثيراً في الإنسان. فلا يوجد عقل متحرر تحرراً كاملاً ونهائياً من هذه العوامل، اللهم إلا الأنبياء عليهم السلام، ثم أتباعهم الخُلّص، الأدنى إليهم فالأدنى.

358. فناء لذات الدنيا

لذات الدنيا لذات وهمية، لما يعتورها من الفناء وما يحيط بها من الآلام، أما اللذات الحقيقية فهي لذات الجنة، لأنها سرمدية لا يتطرّق إليه أدنى ألم وتنغيص. ولذلك عملت النبوات على تخفيف ارتباط المسلم بلذات الدنيا، من خلال: (**1**) حصر أحقية الاستمتاع بها في طرق محددة، كحصر لذة الجماع في الزواج، ولذة المال في الكسب الحلال، والوعيد بالعقوبة لمن تجاوز هذه الحدود. (**2**) التذكير الدائم بفناء الدنيا وانقطاع وشهواتها، كما أن الحق سبحانه وضع منبهات ومذكرات بذلك، كالأمراض، وموت الأحباب، والشيخوخة. (**3**) الإشارة المتواصلة للجنة وطبيعتها، وأنها مطبوعة بالخلود، ومتوفرة على كل ما تشتهيه النفس مما لا أذن سمعت ولا عين رأت ولا خطر على البال. فكل هذا من أجل ضبط النفس في نزوعها نحو اللذات، وتخفيف الارتباط بها. وها نحن أولاء نشهد كيف انغمس الإنسان الجاهلي في العصر الحديث في شهوات الدنيا ومادياتها، ونسي ربه والحياة بعد الموت والاستعداد لها، ومن ثم، كانت الآثار وخيمة جداً ومرعبة جداً، سواء على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع، حتى صار عقلاؤهم ينذرون أقوامهم بسوء الخاتمة!

359. خيانة الداروينية

حين يرفع الملاحدة شعار الأخلاق والفضيلة والحقوق؛ فإنّهم يقترفون خيانة عظمى بحق التطور والداروينية! إن تقرير الداروينية بأنّ الإنسان مجرد كومة ماديّة متطورة يستلزم نفي المعنى والقيمة والغاية عن الإنسان، كما أنّه يستلزم بالضرورة أن الأخلاق لا وجود لها ولا معنى، وكذلك يستلزم بالضرورة أن الحياة مجرد مسرحيّة عبثيّة هزلية، بلا نبل ولا سمو ولا مسؤولية ولا غاية! في إطار هذه المضامين الكامنة في التقرير الدارويني، كيف يبرر الملحد لنفسه أن يتحدث عن الفضيلة والأخلاق ويطالب بها؟! والملاحدة يدركون هذا المأزق وهذه الأزمة الخانقة، ومن ثم يحرصون على الترويج لأكذوبة أن الأخلاق ممكنة بدون إله وبدون دين! والواقع أننا لا نناقش معهم هذه الإمكانية في المقام الأول، بل نناقش أولاً مبررات الأخلاق إلحاديّاً!

360. حياة النبي صلى الله عليه وسلم الزوجية

عندما أتأمل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الزوجيّة وأقلب النظر فيها، أوقن أنّ تاريخ البشرية لم يعرف إنساناً أدرك من مسارب الأنوثة في المرأة، وتفنّن في تثويرها إلى أقصى الحدود الممكنة، مثلما فعل ذلك الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم! لقد كان عليه الصلاة والسلام فنّاناً في التعامل مع طبيعة الأنوثة في زوجاته، رغم تباينهن في السن والنشأة والبيئة، وعلماً أنّه كان يحمل أعباء النبوة، وتكاليف الدعوة إلى الله ﷻ، والعمل على تدبير شؤون الأمة، واليقظة لمخططات الأعداء في الداخل والخارج! ولهذا، حري بالمسلم أن يستقي من هذا النبي ﷺ طبيعة نظرته للمرأة، وأن يجعله مرجعيته العليا في التعامل معها. وعلى كل حال، يُفترض أن هذا واجب عليه بحكم عقد الإيمان، ويتأكد هذا المعنى اليوم مع وجود حشود من الشباب ولوا عقولهم إلى الغرب يتسولون على فتات موائد الرجل الغربي تصوراتهم عن المرأة، وكيفية التعامل مع الزوجة، جاهلين بأن فكرة الرجل الغربي حول المرأة والتعامل مع الزوجة قد تشكلت في إطار رؤيته الوجودية، وهي رؤية مادية، وفي إطار روافد ثقافته وسياقه الاجتماعي الخاص به!

361. همة السلف

يحدثونك عن فلان الغربي الذي بذل جهوداً ضخمة حتى وصل إلى النجاح، وعن فلان الغربي الذي فشل مئات المرات ولم ييأس حتى نجح، علماً أن هذا الفلان الغربي لم يكن له هدف سوى المال والشهرة والمجد الدنيوي. لكنهم لا يحدثونك عن علماء المسلمين في القرون الخالية الذين كان أحدهم يسافر الأسابيع والشهور في طلب العلم، وكيف كان يهجر الأهل والإخوان واللذات والراحة، في سبيل التحصيل العلمي، وكيف كان لأحدهم عزيمة تشق الصخر، وهمة تطاول نجوم السماء، فلا يخضع للفقر أو الخوف أو

الغربة أو الوحدة، في سبيل النجاح العلمي، ولا يحدثونك عن المجاهدين في سبيل الله، أولئك العظماء الذين فتحوا الدنيا وحطموا قلاع الكفر والضلال، وكان أحدهم يتحمل لأواء الخروج للجهاد والمشقة العظيمة من أجل نشر كلمة التوحيد.

362. بداية الكون

يؤكد العلم على أنّ كوننا جاء من العدم، وأنه قبل الانفجار العظيم لم يكن هناك زمان ولا مكان ولا مادة. هذا التوكيد العلمي يُلزم الملاحدة بالقول ببداية الكون ومن ثم بضرورة القول بالخالق. لكن هنا تنبيه مهم، وهو أن هذا القول نقوله للملحد في مقام المناظرة فقط، أي إنّنا نضعه في مواجهة مع العلم الذي يؤمن به. أما معتقدنا فشيء آخر، فنحن لا نؤمن بأن كوننا الذي نعيش فيه جاء من لا شيء، وأنه مع نشأته جاء الزمان والمكان والمادة، بل كوننا هذا وفق عقيدتنا هو مجرد جزء من منظومة وجودية كبرى، لا يحيط بها علماً إلا الله سبحانه، وقد سبق وجود كوننا وجود مخلوقات وأكوان أخرى. وهل كوننا جاء من لا شيء أم لا؟ نقول بأنه من المحتمل أن الله تعالى ابتدأه من لا شيء (من غير مادة سابقة)، ومحتمل أنه سبحانه خلقه من شيء (مادة سابقة)، لأن خبر الوحي عن هذه المسألة ليس قطعياً، والله أعلم.

363. الملحد والعلم الطبيعي

أغبى مخلوق في تاريخ البشريّة كله هو الملحد المتخصص في العلم الطبيعي! لأنه يتبنّى مجموعة مفاهيم ومقولات تتناقض جذرياً مع طبيعة العلم الطبيعي، فهو يؤمن بالعشوائية والفوضى في الكون والحياة، لكن العلم الطبيعي يعني وجود قناعة مسبقة لدى الشخص المتخصص بوجود سببية صارمة، وثبات في القوانين الضابطة، وإمكانية واسعة للاكتشاف، وغاية معينة من هندسة الوجود في تخصصه. ومع ذلك كله، فكأنّ الملحد بإصراره على قضاء عمره في البحث وبذل الجهد الدائب في ذلك، والمطالبة بإنفاق الأموال الطائلة، كل ذلك ليس إلا لاكتشاف أسرار هذه (العشوائية والفوضى!) التي يؤمن بها! والأعجب أنّه في كل تعبه المتواصل لا يفعل سوى اكتشاف عناصر وعلاقات موجودة مسبقاً، لا هو أوجدها، ولا هو شهد إيجادها، ومع ذلك يقول بغباء مثير: العلم لا يثبت وجود الإله! فعن أي علم وعن أي إله يتحدث!

364. امتصاص الغضب بين الزوجين

أنجح خطة لامتصاص الغضب بين الزوجين؛ هي الابتعاد عن كل ما يمكن أن يتسبب في ذلك. إنها خطة بسيطة لكنها فعّالة للغاية. ببساطة إذا كان الطرفان يبحثان عن السعادة والهناء، ولديهما هدف مشترك ينشدان معاً تحقيقه، فلماذا يأتيان من التصرفات ما يشغلهما ويصرفهما عن التقدم في مسار تلك الأهداف النبيلة؟! لكن، لا عيب عند حدوث أية مشكلة مثيرة للغضب، وقبل السماح لها بالتضخم أن يسأل الطرف الثائر نفسه: هل الأمر فعلاً يستحق ذلك؟

365. حقيقة التاريخ الإسلامي

عندما نتحدث عن التاريخ الإسلامي؛ فنحن نتحدث عن تاريخ أشخاص ينتمون للإسلام وليس عن الإسلام الدين الرباني. ولقد أوقع هذا الخلط بين الأمرين كثيراً من الناس في مزالق ومآزق، حتى صار هذا التاريخ عند كثيرين أدلة قاطعة على صحة أهوائهم وشبهاتهم وأكاذيبهم ضد الإسلام من حيث هو وحي إلهي! إن تفاعل الإنسان مع معطيات الدين الذي ينتمي إليه، تتدخل فيه مجموعة من العوامل التي قد تنشئ بينه وبين الدين هوة سحيقة. وإذا فهمنا أنّ الدين في جوهره مثال للكمال الذي ينبغي على المنتمي إليه أن يسعى إليه، فهمنا أن من الخطأ البالغ والجريمة النكراء محاكمة الإسلام إلى تاريخ المسلمين. ذلك لأنّ الإسلام جاء ليحكم على الناس، وليصحح عقائدهم ومفاهيمهم وتصرفاتهم وأهدافهم، فحين نقلب القضية، فأي منطق هذا؟ إلا أن يكون الحقد الأسود والغايات الخبيثة!

366. أسباب الابتداع

لا يبتدع قوم بدعة؛ سواء في العلميات أو في العمليات، إلا لتركهم حقيقة من حقائق الوحي (القرآن أو السنة)، سواء أكان تركاً كليّاً أو أكان جزئيّاً! وإنما كان كتاب الله سبحانه يحتوي على بيان كل بدعة وكشف كل شبهة، لأن الله سبحانه أنزل هذا الكتاب العظيم ليكون إمام العقل ونبراس الروح، فوضع فيه كل ما علم سبحانه أن الإنسان يحتاج إليه من المعارف الإلهيّة والإنسانيّة والتشريعيّة والكونية. والحقيقة أن المسلم لا يتخذ الوحي مرجعية عليا إلا أن يكون عنده يقين ثابت أنه يتضمن كل تلك المعارف ويجيب عن كل الأسئلة، حتى وإن كانت تخالف الأوهام والشعارات. ولست تجد أحداً ابتدع في العلميات أو العمليات إلا لجهله وقصور علمه بالقرآن والسنة، أو لتعظيمه أهواءه المختلفة!

367. خطة أعداء الإسلام

هناك خطتان لأعداء الإسلام يتواصون بها ويركّزون عليها. وهي خطة معتمدة من قديم الزمان، **(الأولى)** التشويه المنفّر من الصحابة والعلماء وحملة الشريعة والشخصيات الإسلامية البارزة تاريخيّاً. **(الثانية)** التشويه المنفّر من تعاليم الوحي وأحكام الشريعة وسنن النبوة والتشكيك في قيمة ذلك. أعداء الإسلام يعتمدون هذه الخطة بشقيها لأنّهم يدركون أنّ الشباب إذا ما نفروا من حملة الشريعة وعلمائها، فإنهم سيجدون صعوبة بالغة في تقبّل تعاليم الإسلام وأحكامه كما يعرضها هؤلاء العلماء بأصولها وقواعدها. ويدركون أنّ الشباب إذا ما فقدوا الاتصال بالشخصيات النموذجية، فإنّهم سيجدون أنفسهم بلا نماذج يقتدون بها ويطمحون للسير في دربها، وبذلك سيكون لهؤلاء الشباب الاستعداد لتقبّل ما يطرحه هؤلاء الأعداء من الأفكار على أساس أنّها حقائق أخفاها العلماء، وسيجدون أنفسهم يقتدون بالنماذج التي تُعرض عليهم على أنّهم البديل الأفضل!

368. إهمال الطفل

إنّ أكبر جريمة يمكن أن يرتكبها الوالدان في حق الابن لهي تركه مهملاً بلا توجيه صحيح ولا تأطير ناضج، انطلاقاً من التعاليم الإسلامية العظيمة! من المؤسف أنّ كثيراً من الآباء يعتقدون بأن مهمتهم تجاه الأبناء هي توفير مستوى معيشة كريم، من حيث اللباس والطعام والسكن، وقد يضيف بعضم ضرورة توفير دراسة مناسبة للحصول مستقبلاً على وظيفة جيّدة بمرتب جيّد! هذا التصور لا يمت بصلة لما ينبغي أن يكون عليه دور الوالدين المسلمين تجاه الأبناء، بل هو تصور علماني صرف، بما يغرس في هؤلاء الأبناء من عشق للدنيا وتمركز حول الذات والمنفعة الشخصيّة، ونسيان للدور المقدس الذي خُلقوا له في الحياة، والمصير الأبدي الذي ينتظرهم بعد الموت. إنّ الأبناء أمانة عند الآباء، فهم ذخيرة الإسلام المستقبليّة، فمن أهملهم فقد ضيّع المسؤولية! إن أحوال الأمة تفرض تربية نشء يكون في مستوى المسؤولية.

369. الحوار والجدل

الحوار قيمة نبيلة وموقف أخلاقي ممتاز، ولا أحد منّا يكره خوض الحوار مع الآخرين، لأنّها نزعة فطريّة، كأن الإنسان لا يجد ذاته ولا يشعر بالقيمة إلا من خلال الآخر! لكن؛ حين يتحول الحوار إلى جدل، هنا يفقد قيمته ويفقد معناه وغايته! الحوار ثراء للعقل، أما الجدل فهو اغتيال للفكر! الحوار ترق في مدارج معرفة النفس وحدود الوعي، أما الجدل فهو سقوط في منحدر التضخم الباغي للذات والإعجاب بالعقل! الحوار دافعه هو المحبة، وغايته هي الحقيقة، أما الجدل فدافعه هو الغرور، وغايته هي الكبرياء

الزائفة! أحياناً قد يجد المحاور الحكيم نفسه ملزماً بالتوقف عن متابعة الحوار؛ إبقاءاً على خيوط الألفة والمحبة والتعاون موصولة، وتلك منقبة شريفة، أما المجادل المتهور فيحرص أشد الحرص على الاستمرار في لغو الجدل لتحقيق الانتصار النهائي، ثم لا يهمه ما يكون بعدُ! وإنما يشيع الجدل العابث في المجتمعات التافهة!

370. هداية القرآن

إن هذا القرآن ليس هداية عادية، بل هو هداية لأفضل وأعلى المطالب العقلية والنفسية والاجتماعية والتشريعية، وبأعظم الطرق البرهانية وأوضحها وأيسرها: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء/9]. ولذلك فآياته ودلائله هي في الحقيقة نباريس نور في طريق السعادة والهناء والاستقامة والنماء، نحو الله، ونحو الجنة. وإذ كان الأمر كذلك، فالقرآن لم ينزل لدغدغة النفوس وتخدير المشاعر، بل نزل ليكون ثورة عارمة على جاهلية العقيدة والفكر، وجاهلية السلوك والقيم، وجاهلية النشاطات والأهداف، وجاهلية التشريع والتنظيم: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النور/38]. كل ذلك لأنّه يعتبر الإنسان قيمة مقدسة ولا يليق به إلا الحق الموصول بالله ﷻ. ومن هنا؛ فالمسلم حين يتعامل مع الوحي بهذا المنطق ومن هذا المنطلق، لا شك أن علاقته به ستكون مختلفة جداً، سواء من حيث الفهم أو من حيث الآثار.

371. معركة الحق والباطل

المعركة بين الحق والباطل، وبين الإيمان والكفر، وبين الخير والشر، معركة قديمة قدم البشرية، ولا يمكن أن تنتهي إلا بانتهاء البشرية في هذا العالم. قد تختلف الشعارات والأساليب والوسائل والمسميات، ولكن من المؤكد أن الجوهر واحد والغاية واحدة. واليوم هناك هجوم شرس وعنيف من الملاحدة، والصليبيين، والعلمانيين على الإسلام، يبتكرون الشبهات ويتفننون في التلبيسات والتشكيكات، لتحقيق هدف واحد هو إبعاد المسلم عن عقيدته وتشويه معانيها في عقله ووجدانه! في المقابل لا يزال الله تعالى يمدنا بتوفيقه ويلهمنا حججه بتأييده، فنكتشف من كنوز القرآن وروائع الوحي ما نزداد به إيماناً ويقيناً بعظمة الإسلام ومعجزة القرآن، ولنقيم الحجة على هؤلاء الشاردين في أودية الضلال! لا جرم إذن أنّ وجود هؤلاء الأشرار له حِكَمٌ عظيمة للغاية، فبسببهم انتبهنا للكثير جدّاً من درر القرآن، ومصائب قوم عند قوم فوائد.

372. الحب والهوى

اعلم يا ولدي أن المرأة أسيرة أهوائها، فأينما تكون من أهوائها تنتقي لك ما هو خليق به من ألفاظها، فتراها تدعوك اليوم أنت حبي الأول والأخير، لأنك صادفتَ شيئاً من أهوائها، وتراها تدعوك غداً أنت الكريه البغيض، لأنك أبيت عليها شيئاً من أهوائها. ولست تجد امرأة تستقيم لك على صراط الحب إلا أن تضع حبها لك فوق أهوائها، فهناك ينقلب كل شيء فيها إلى قلب ينبض بحبك، وترجو لو تضعك في موضع السر منها فلا يشعر بك غيرها ولا يتذوق معناك سواها.

373. قابلية الاحتلال

عندما تنحدر أمة إلى دركات (الاختلال)، تتشكّل فيها قابليّة (الاحتلال)! إنها علاقة حتميّة لا يمكن الفصل بينهما، لأنّ المحتل لا يقهر الشعوب التي قام باحتلالها لأنّه ذكي وقوي، بل لأنّه متماسك، لديه رؤية واضحة وهدف كبير في الحياة، وهذا هو سرُّ قوته واندفاعه في طريق النصر. أما الشعوب المحتلَّة، فإنّها قبل نزول الاحتلال بها وإحاطته بها، تكون مختلَّة الأواصر مفككة الروابط، ليس لها هدف كبير في الحياة ولا رسالة مقدسة تُقدّمها للبشرية، حتى وإن كانت تبدو على عكس ذلك كله! ولك أن تنظر أي شعب في القديم والحديث هجم عليه الأعداء، فاحتلوا أرضه وسيطروا على بلده، إلا وتجده فعلاً قبل الاحتلال قد ضربه الاختلال وعمّته بالفوضى والاضطراب. وإنّها لحقيقة تشمل الأفراد أيضاً، فلا تختل حياة شخص إلا ويكون له الاستعداد لتقبّل مختلف الأفكار الخاطئة والمشاعر السلبيّة!

374. الإسلام والإنسان

حديث الإسلام عن الإنسان؛ حديث مُعجب مدهش! فلم يترك صغيرة ولا كبيرة لها صلة به؛ إلا وتكلم عنها وأشار إليها، وضرب لها الأمثال وأقام عليها البراهين. لقد تحدث عن أصله، فكشف بأنّه أصل نبيل مقدس: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر/29]، وتحدث عن قيمته فبيّن أنّها قيمة عظيمة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة/30]. وتحدث عن وظيفته فقرّر بأنّه مخلوق لغاية مقدسة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات/56]، وتحدث عن فطرته فكشف بأنّها مبنية على الحق والهدى. وتحدث عن صلته بالواقع فقرّر بأنّ له فاعلية أصيلة في الازدهار أو الانهيار. وتحدث عن روابطه بالكون فبيّن أنّه مسخر له كله. وتحدث عن مصيره فأشار إلى أنه الخلود الأبدي. وكل هذا وردت فيه عشرات الآيات. ولا شك أنّ مثل هذا الحديث لا يوجد في أي دين أو مذهب!

375. عقول عرب الجاهلية

الطعن في عقول عرب الجاهلية الذين نزل فيهم القرآن، أو من أسلم منهم، لأنهم لم يكونوا أهل علم بالمعقولات، كما يزعم ذلك بعض أهل الكلام والفلسفة، هذا الطعن طعنٌ في الوحي نفسه، وسبٌّ لله سبحانه، وحط من قدر محمد صلى الله عليه وسلم. فالرب سبحانه ملأ القرآن بدعوة هؤلاء القوم، بحكم أنهم أول المخاطبين، إلى التفكر والتأمل والنظر في ذواتهم وفي الحياة من حولهم وفي الكون المحيط، كما أنه عرض بين أيديهم منظومة متكاملة الأركان حول الله، والغيب، والتاريخ، والتشريع، والكون، والآخرة، أفيصح إذن أن يظن أحد يزعم أنه مسلم أن الله سبحانه أنزل كل هذه المعارف لقوم أغبياء العقل، سُذّج الرأي، محدودي النظر! أفيصح أن يظن شخص يزعم أنه مسلم أن الله سبحانه بعث أحب الأنبياء إليه وأعظمهم عنده قدراً وشرفاً إلى قوم صفتهم الغباء والسذاجة والسطحية! سبحان الله هذا بهتان عظيم.

376. نزعة الغيرة

من النزعات النفسيّة الأصيلة، نزعة الغيرة. وهي نزعة نبيلة، لأنّها تمنح العلاقة بالآخر قيمتها وتُضفي عليها رونقها. أبرز مظاهر هذه النزعة؛ هي العلاقة الزوجيّة، حين يحسن الزوجان التعامل معها واستثمارها، فلا شك أنّهما يجنيان الاستقرار والثراء والجمال، أما حين يجهلان أسلوب التعامل معها، فإنّ حياتهما تتحول إلى بؤس رهيب! الغيرة بلا دليل، بل اعتماداً على الإحساس والظنون والأوهام، مذمومة شرعاً وعقلاً وعُرفاً وأخلاقاً، لأنّها مندفعة ومتهورة من شأنها أن تؤثر بشكل سلبي للغاية على كيان العلاقة الزوجيّة وكيان الأسرة ونماء الأطفال.

377. روابط الأمة

لا تقوم لأي مجتمع قائمة ما لم تكن هناك روابط جوهرية تصل ما بين أفراده، وهذا ما تحرص عليه كل الحضارات الكبرى إلى أصى ما يمكن، كما هو مشاهد عند الأمم الغربية لهذا العهد. وكل مجتمع في أي زمان ومكان؛ إنما تتشكل وتتحدد هذه الروابط في إطار العقيدة التي ينتمي إليها ويتبنّاها. أما في الإسلام؛ فإنّ أساس تماسك المجتمع المسلم بالرغم من اختلاف مواهبهم ومواقعهم، ترجع إلى طبيعة العقيدة الإسلاميّة، فهي الآصرة التي تنظم أفراد المسلمين في خيط واحد. هذه الآصرة ذات خمس أواصرها، وهي: (1) **وحدة الخلق**، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾، (2) **وحدة التكوين**، قال سبحانه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾، (3) **وحدة المهمّة**، قال جل شأنه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، (4) **وحدة الواجب**، قال عز وجل: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، (5) **وحدة**

المصير، قال تبارك وتقدس: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾. فهذه الروافد تمنح المسلم الثبات والمركزيّة، كما تمنحه الشعور بالانتماء والارتقاء، ومن ثم تكون الآصرة الدينية أقوى من آصرة العرق أو اللغة أو الوطن. ولما غابت هذه المعاني عن الأمة خلال العصور المتأخرة، وضمرت في حسها، انظر إلى ما آل أمرها من الضعف والهوان والتفكك!

378. محاربة النبي صلى الله عليه وسلم

إن حملة التشويه والشيطنة والتنفير والطعن التي يتعرّض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ مبعثه على أيدي كفار قريش، ثم لاحقاً خلال ألف وأربعمائة عام على أيدي المناوئين والحسّاد، من يهود ومبشرين ومستشرقين وملاحدة ومنافقين.. هذه الحملة كانت كفيلة بمحو اسمه نهائياً من سجل التاريخ، لولا أنّ العناية الإلهية تكفلت بعصمته المعنوية في ذاكرة التاريخ، كما تكفلت بعصمته المادية خلال مرحلة حياته المباركة في هذا العالم، فلا يمحى ذكره أبداً، ومن ثم لم تستطع تلك النفوس الآثمة أن تغتاله معنوياً كما عجزت أن تغتاله مادياً. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ﴾. وما من شك في أنّ هذا السعار المجنون لتشويه شخصيته عليه الصلاة والسلام وشيطنته والتنفير منه، ومع ذلك ما زال اسمه متألقاً في سماء الوجود، لمن أكبر الأدلة على نبوته المقدسة.

379. شروط دخول الجنة

كيف يعقل أن الله تعالى يقبل المسلم ويدخله الجنة، ويرفض من يقدم الاختراعات والخدمات النافعة والمفيدة للبشرية والفقراء والمحتاجين غيرهم لمجرد أنهم غير مسلمين؟! قلت: هذه المغالطة التي يهرف بها كثيرون من اتجاهات مختلفة، تنطلق من كون الإيمان بالله والتوحيد لا قيمة لهما ولا اعتبار بهما في تقييم الأشخاص والأفعال، وإنما المعيار هو المفيد ماديا بشكل مباشر، وهذه كما ترى نظرة مادية الحادية كفرية! وهنا نقول: بما أن الله سبحانه هو الذي خلق الإنسان وحدد مهمته في الدنيا ورتب مصيره في الآخرة على مدى التزامه بتلك المهمة، إذن فهو تعالى الذي له الحق وحده في تحديد معايير قبول ورفض البشر ومعايير دخولهم الجنة أو النار. هناك ثلاثة شروط حددتها النبوات معايير القبول ودخول الجنة، وهي (التوحيد الصافي) و (الإتباع للوحي) و (الإخلاص لله)، فمن أخل بشرط من هذه الشروط، لا يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. فهؤلاء النافعون للبشرية هل فعلوا ذلك لله أم للشهرة والمال وحظوظ النفس؟! إنه لا

يمكن أن تمضي عقداً له شروطه ثم لا تلتزم بها، ومع ذلك تطالب بمرتبك الشهري والترقية في عملك! هذا سفه وحمق وطيش، فكذلك مع الله سبحانه، والله تبارك شأنه خلق الإنسان بالحق وللحق وهو لا يعبث ﷻ.

380. التعدد ستار للطعن في الإسلام

من يطالع ما يقال حول التعدد، يدرك أن التعدد صار بوابة للطعن في الإسلام من طرف خفي! فما زال المسلمون خلال 13 قرناً يعددون بلا مشاكل، وكانت المرأة تتزوج أكثر من مرة بلا أية حساسية، حتى وهي في سن متقدمة، وكانت كثيرات يعشن زوجة ثانية أو ثالثة، أو حتى مع أكثر من أمة لزوجها، ولم يسجل التاريخ أية مشاكل وصراعات تكون منطلقاً للمطالبة بإلغاء التعدد أو حتى الإماء! حتى نفخ الشيطان نفخة النسوية في نفوس الجاهلات التافهات، فانقلب كل ذلك إلى مشكلة وأزمة! وصارت طموحات هؤلاء هي الانتصار في المعركة ضد الرجل! ولهذا لا أشك أن أية امرأة حين تخطو أول خطوة في مسار النسوية، تكون قد خطت أول خطوة في مسار الانسلاخ عن الإسلام!

381. التحديات حوافز

تُشكّل التحديات حوافز قوية للإنسان ومثيرات شديدة لطاقاته الكامنة. لقد شاء الله سبحانه أن تكون الحياة الدنيا كذلك؛ كما شاء أن يكون النجاح والفشل وثيقي الصلة بمدى ما يبذله الإنسان نفسه من جهد وكدح وصبر وتضحية. لكن؛ من الأمور المثيرة للنظر، أنّ الإنسان حين ينجح ويحقق أهدافه، فإنّه لا يتردد في نسبة ذلك إلى ذكائه وجهده وتفوّقه، أما حين يحيط الفشل ببعض خططه وبعض أهدافه، فإنّه لا يتردد في نسبة ذلك إلى القدر! الواقع أن الحالين معاً؛ يشيان بتضخم الأنا في هذا الشخص، كل ما في الأمر هو اختلاف أسلوب التعبير عن هذا التضخم! في حال النجاح يقول (أنا نجحت)، وفي حال الفشل يقول (لست السبب)! أما المسلم يدرك بأنّ حدود دوره هي بذل الجهد واتباع سنن الله في النجاح، فإن أُعطي شكر، وإن ابتلي صبر، لأن مسيرة النجاح لا تنتهي بانتهاء الدنيا.

382. قصر أيام آخر الزمان

من مظاهر رحمة الله سبحانه بمسلمي آخر الزمان، أنّ أيامهم الكونيّة قصيرة جدّاً مقارنة بأيام القرون السابقة، ولذلك تنقضي أعمارهم بسرعة، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: ﴿لا تقومُ

السَّاعةُ حتَّى يتقارَبَ الزَّمانُ فتكونَ السَّنةُ كالشَّهرِ ويكونَ الشَّهرُ كالجُمعةِ وتكونَ الجُمعةُ كاليومِ ويكونَ اليومُ كالسَّاعةِ وتكونَ السَّاعةُ كاحتراقِ السَّعَفةِ﴾ [صحيح ابن حبان]. وسر ذلك ـوالله أعلمـ لأنّ آخر الزمان، عصرَ فتن وقلاقل، فكان تقصير الزمن ليمضي بسرعة على المسلمين رحمة جميلة ونعمة عظيمة من الله تعالى، ليحفظهم بذلك من كثير من تهاويل الفتن، فلا تضغط عليهم طويلاً، وليكون هذا التقصير الزمني مساعدة لهم للقيام بتكاليف الشريعة. فسبحان من أدهشت حكمته ورحمته العقول!

383. قابلية الإيمان والكفر

إن قدرة الإنسان على التنقل بين فضاءات القضايا الوجودية الكبرى (إسلام/كفر، إيمان/إلحاد، استقامة/ انحراف)، ولو بعد سنوات طويلة جدّاً يقضيها في دائرة من هذه الدوائر، هذه القدرة تؤكد لنا بشكل ساطع على أنّ الإنسان ليس كومة ماديّة متطوّرة كما يعتقد الملاحدة، بل هو كائن معقد للغاية! ومن ثم فإنّ وعيه نظامٌ إدراكي لديه استقلاليّة كبيرة عن الحس والمعطيات الماديّة الخارجيّة بفعل تمتّعه بالحرية والإرادة، وأنّ هذا هو سبب قدرته العالية على اختراق هذه الجدران الحسيّة الماديّة! إن الرؤية الإلحاديّة لا يمكن أن تفسر لنا تفسيراً موضوعيّاً هذه القدرة على الانتقال بين هذه الفضاءات، بحكم أنّ الإنسان فيها مجرد وسخ مادي متطور، على عكس الرؤية الإيمانيّة التي تنظر للإنسان نظرة ثنائيّة البُعد، فيه جانب مادي هو الجسد المنظور، وفيه جانب معنوي هو الروح المستور، وأن لديه القابلية للارتقاء أو السقوط.

384. الطباع بعد الزواج

تجدها (تجده) قبل الزواج، خلال الذهاب إلى الجامعة أو الوظيفة تُكيّف حياتها وطباعها ويومياتها بحسب متطلبات الجامعة أو الوظيفة. هنا، تجدها حريصة على الالتحاق بالجامعة أو الوظيفة في المواعيد المحددة، وحريصة على احترام المسؤولين والمشرفين. لكن؛ يوم تتزوج (يتزوج) ماذا يكون؟ تنسى كل هذا، وتراها تتعامل بأسلوب: هذه طباعي، هكذا أنا، لا يمكن أن أغير شخصيتي! يعني تنسى تماماً أن موافقتها على الزواج تعني ضمناً الموافقة على تغيير طباعها ونمط حياتها ويومياتها بما يتوافق مع المرحلة الجديدة التي دخلتها. أنا لهذا أقول دائماً للشباب: كن زوجاً صالحاً من أول يوم، لكن يجب أن تكون أيضاً صارماً من أول يوم، وحينها سيكون الأمر مع زوجتك: إما أن تكون عاقلة ناضجة واعية بالطور الجديد في حياتها، وبمعنى كونها صارت الآن زوجة، وأن الزواج حياة جديدة تتطلب تكيفاً ومرونة وضبطاً لكثير من الطباع. وإما ستجد طائشة متهورة، وسيزعجها صرامتك وحزمك، وهذا الصنف قد تجدها من الصنف الذي يحتاج

فقط لهزة صرامة لتعود إلى رشدها وتنتبه من أوهامها، فتخرج من طور الطيش والتهور إلى طور التعقل والنضج. وقد تجدها عنيدة متمردة، وهنا ستبادر هي لطلب الطلاق إذا وجدتك رجلاً.

385. كائن هادف

لكل إنسان في هذه الحياة أهداف خاصة؛ تنمو معه منذ الصغر، ثم تكبر وتتطور وتتغير عبر السنين، وفي إطار التجارب والخبرات. فلو قلنا بأن الإنسان كائن هادف؛ بمعنى أنه في كل نشاطاته إنما ينشد بلوغ أهداف معيّنة، لو قلنا هذا لأصبنا كل الإصابة. ومن ثم؛ فالهدف سمة من السمات الأصيلة في الإنسان، إذ لا نجد هذه السمة لدى مختلف الحيوانات إلا في معناها الضيّق جدّاً المتعلق بالغريزة الماديّة، عكس الإنسان؛ فهو الوحيد الذي لا يمكن أن ينفصل عن أهداف معينة تتجاوز نطاق اللحظة الراهنة، كما تتجاوز مجال الغريزة الماديّة، يعيش فيها ولها، تفكيراً وتخطيطاً وتنفيذاً. وإذا كان الإنسان بطبعه كائناً هادفاً؛ فإنّ أهداف كل إنسان إنما تتشكّل في إطار رؤيته الكونية، لذاته وللخالق وللحياة وللمصير بعد الموت.

386. قصر أيام آخر الزمان

من شبهات الملاحدة، قولهم (أنت مسلم بالتقليد فقط). وغرضهم طبعاً هو تشكيك المسلم في انتمائه للإسلام واختياره البقاء ضمن دائرته، إذ النفس بطبعها تنفر من التقليد. وقد وجدنا فعلاً من حملة شهادات جامعية شرعية مَن يعظم العقل الإلحادي والفلسفي الغربي لأنه عقل باحث ومجتهد وليس كعقولنا الجامدة المقلدة! نحن نقول: ليست المشكلة في أن يُقلّد المسلم في إسلامه أو أن يُقلّد الملحد في إلحاده، بل الواجب أن نبحث في الدليل الذي يعتمده المسلم والملحد، فأي الدليلين وجدناه صحيحاً في ميزان العقل، فصاحبه على الحق والآخر على الباطل. لقد عرض المسلم عشرات الأدلة المتنوعة، أما الملحد فيكتفي دائماً بأنّ هذه الأدلة غير كافية! فمعرّة التقليد الأعمى لاصقة بالملحد! إنّ المسلم لم يؤمن لأنّه وُلد في بيئة مسلمة، بل لأنّ ضرورة العقل ودلالة الكون يفرضان وجود الخالق. أما الملحد فلأي شيء ألحد!

387. فشل العلمانية

الذين يبشرون بأنّ العلمانية هي العلاج السحري لكل المشاكل والأزمات، وأنها مفتاح التقدم والازدهار، حتى جعلوا من العلمانية (إلهاً مقدساً).. هؤلاء عليهم أن يتذكروا أن أعظم حربين في التاريخ،

كانتا بدوافع علمانية صرفة، وضحاياها بلغوا حوالي ثمانين مليون قتيل، فضلاً عن الدمار الهائل والمرعب في البنى التحتية! وعليهم أن يتذكروا بأنّ العلمانية الغربية في قرنين فقط دمرت الأرض واستنزف ذخائرها، واحتلّت الشعوب ونهبت خيراتها، ونشرت في العالم من الأوباء الفتاكة ما لم تعرف له البشرية خلال تاريخها الطويل مثيلاً! وعليهم أن يتذكروا بأن العلمانية هي التي تحكم العالم العربي منذ أكثر من قرن من الزمان، ومع ذلك فالبلدان العربية تقع في أسفل قوائم الحريات والتقدم والازدهار والتعليم! فعن أي فردوس علماني يتحدثون، ويمنّون به الشعوب العربية والإسلاميّة!

388. جفاف الزوج

أقبح بزوج ملتزم يكون غليظ الحس، لا تعرف رقة الرومانسية ونداوة المشاعر سبيلاً إلى تعامله مع زوجته!! فبعض الأزواج الملتزمين يعتقدون أن التدين يناقض الرقة والمشاعر والرومانسية، وأن الزوجة إذا فعلت شيئاً من ذلك أو طالبته به فذلك دلالة على أنها غير حيية ولا مؤدبة ولا جادة في التزامها! ويجهل هؤلاء بأن علاقة النبي ﷺ بزوجاته كانت مطبوعة بطابع الرومانسية! كما يجهلون بأن الإسلام لا يريد علاقة زوجية باردة، بل علاقة مفعمة بالمودة والرحمة، ومتدفقة بالنداوة والجمال! ويجهلون أيضاً أن الرومانسية ماء الأنوثة في الزوجة، وكيف يعيش كائن بلا ماء!

389. حضارة الاستهلاك

يمكن أن نقول بأن الحضارة المعاصرة؛ حضارة هوس استهلاكي بامتياز! فلم تعرف البشرية في تاريخها الطويل هوساً وسعاراً للاستهلاك المادي والشهواني كما هو الحال عليه في المجتمع البشري المعاصر! في الواقع؛ هناك علاقة وثيقة للغاية بين رؤية الإنسان لنفسه وبين مستوى الجموح الاستهلاكي لديه، فبقدر ما تكون رؤية الذات متجاوزة ومقدسة، تكون هناك حدود وقيود لمدى العلاقة بالاستهلاك، وبقدر ما تكون رؤية الذات مدنّسة ومادية، يُطلق العنان للانغماس الاستهلاكي بلا حدود ولا قيود! في الرؤية المقدسة للذات؛ يُعتبر الاستهلاك المادي وسيلة، وفي الرؤية المدنّسة للذات؛ يُعتبر الاستهلاك المادي غاية!

390. آداب السنة النبوية

من سمات هذا الدين؛ تلك المنظومة من الآداب النبويّة المرتبطة بكل شيء من نشاطات الإنسان الخاصة والعامة. في الواقع؛ فإنّ لأذكار الصباح والمساء فوائد وثمرات، يمكن أن نذكر خلاصتها في التالي:

فهي تُذكّر المسلم بوجود الإله الخالق ﷻ، وأنّ كل شيء بيده تعالى، وما المخاليق إلا كائنات هزيلة مهما تعاظمت غروراً. كما أنّها تُذكّره بحقيقة هذه الدنيا الفانية الزائلة وأن وجوده مؤقت فيها وقد يرحل عنها في أية لحظة. وأيضاً تُذكّره بضرورة البقاء قريباً من الحق ﷻ وهو يخوض غمرات الواقع ونشاطات الحياة اليومية المختلفة. بهذا كله يعيش المسلم يومه وليله وهو موصول بالآخرة ومتحرر من ضغوط الدنيا، فتمتلئ حياته نماء وثراء وارتقاء.

391. حقيقة الإنسانوية

الاتجاه الإنساني أو الإنسانوية لا يعني كما يتوهم كثيرون، من أنه معني بأخلاق المحبة والتسامح والتعاون بغض النظر عن الدين والعرق واللون.. بل يعني إبعاد الله سبحانه عن الحياة، فلا يؤخذ منه فكر ولا تصور ولا عقيدة، ولا يؤخذ منه تنظيم ولا تشريع ولا قوانين. والذي له اطلاع على تاريخ الأفكار الغربية في نشوئها وتطورها ومآلاتها، لابد أن يصل إلى هذه النتيجة حول المذهب الإنساني أو الإنسانوية. ولابد أن يكتشف بأنه اتجاه نشأ في سياق الصراع ضد الكنيسة والهروب من دينها، للبحث عن رؤية وجودية جديدة. ومن هنا، فالإنسانية أو الإنسانوية في حقيقتها مذهب إلحادي، حتى وإن قال بوجود الإله الخالق، ولأن هذا الاتجاه ينصب الإنسان على عرش تحديد المرجعية العليا التي يجب على الإنساني/الإنسانوي الالتزام بها والتحاكم إليها، فهو في عقيدتنا اتجاه شركي.

392. لذة الجماع مثل للدنيا

أعظم اللذات الحسية، لذة الجماع. فلها سلطان قوي وهيمنة قاهرة على النفوس، رجالاً ونساءً، بمختلف طبقاتهم واتجاهاتهم، إلا أنّك إذا تأملت هذه اللذة تجد عجباً عجيباً، فقد طُبعت بأربعة: لا تُنال إلا من أقذر جزء في الجسم، ولا تدوم إلا للحظات قصيرة جداً، وأيضاً رائحتها نتنة وغير طيبة، وأما الرابعة فهي أنها مجهدة مرهقة! وإذا قلّبت وجوه الرأي فيها ثم قست الدنيا عليها، وجدت كأن هذه اللذة ضُربت مثلاً للدنيا! فالدنيا لا تنال إلا بالجهد والتعب، ولا تخلو من المنغصات والضغوط، ولا تنال إلا بالمزاحمة والمدافعة، ولا تدوم طويلاً! ذلك لتعلم يا إنسان هوان الدنيا على الخالق سبحانه، وأنك لم تُخلق لهذا العالم الفاني بل لعالم وراءه، هو عالمك وموطنك الحقيقي، فاعْجب لمن يعيش للدنيا!

393. أساس الحضارة

يُجمع علماء التاريخ والحضارة على أنّ الحضارات لا تقوم إلا بعقيدة معيّنة؛ تمنحها معنى الوجود ورسالة الحياة وسبب الاستمرار. ومن هنا نستنتج بأنّ العقيدة التي تقوم بها وعليها الحضارات فإنّها لا تدوم إلا بها ولا تستأنف انطلاقتها بها، إذ لا قيام للحضارات إلا بعقيدة وبرؤية وجودية شمولية، تكون هي المقدس والمتعالي، وهي الإطار الذي يتحرك فيه الفكر والقيم والسلوك والتشريع. ولهذا؛ فإنّ من يُروج لنهضة الأمة العربيّة وهي مبتوتة الصلة بالإسلام، يرتكب خطيئة عظمى، سواء من الناحيّة الدينيّة، أم الناحيّة الأخلاقيّة، أم من الناحيّة التاريخيّة. ذلك لأنّ الحضارة الإسلاميّة تأسست على العقيدة الإسلاميّة، وعاشت في ظلال هذه العقيدة، وسقطت يوم انفصلت عن هذه العقيدة، ولذلك لن تستأنف نهضتها وبعثتها مجدداً إلا بها ولن تدوم إلا بها.

394. الحكم بغير ما أنزل الله

تعطيل حكم شرعي أهون بكثير جدّاً من تغييره. وذلك أن هذا التعطيل يدور بين الكفر والفسوق، لأن منطلق صاحبه في التعطيل هو اعتقاد عدم صلاحيته وكفائيته لوقته وزمانه فهذا كفر وزندقة سافرة، وقد يكون منطلقه في التعطيل هو خضوعه لضغوط وإكراهات خارجية مع اعتقاد صلاحيته وأحقيته فهذا معصية عظيمة. أما تغيير الحكم الشرعي فهو معاندة صارخة وتَحَدٍّ مباشر لله سبحانه وتعالى، واتهام واضح له سبحانه وتعالى بالجهل، والكذب، والعجز، والعبث، ولهذا كان التغيير كفراً وزندقة وإلحاداً، فكان فاعله كافراً ملحداً بلا تردد. فإذا كان التعطيل كبيرة عظيمة، فالتغيير أكبر وأعظم بكثير. واليوم، ومنذ مائة عام أو تزيد، يخضع المسلمون لحكومات علمانية تحكمهم بمنظومة قوانين غربية، وتنفذ فيهم توصيات المنظمات الغربية، وهذا تحدٍّ صارخ للشرع ومعاندة شديدة لله تعالى، فليت شعري، كيف أجاز المسلمون لأنفسهم الصمت على ذلك!

395. تقبل مخرجات الجاهلية

حين تطالب بالعلمانية والليبرالية والديموقراطية والنسوية، وحين تطالب بالحقوق والحريات على النمط الغربي، وحين تطالب بإبعاد الإسلام عن نشاطات الحياة وعلاقاتها، وحين تطالب بالتمركز حول الدنيا وشهواتها تحت شعار النجاح، حين تطالب بكل ذلك لكي تلحق بلداننا بركب الحضارة الغربية، ومن ثم تخرج من حال التخلف والفوضى والفقر، فأنت هنا وفق منطق التاريخ وطبيعة الأشياء، يجب عليك أن تقبل بمخرجات هذه المنظومة الغربية وآثارها على الفرد والمجتمع، والعلاقات القائمة بين الحاكم والشعب،

وعلى نسق رؤية الغرب للعالم. سيكون مثلاً من الجهالة رفض انتشار الاغتصاب والإجهاض، أو رفض تفكك الأسرة وتمزق وحدتها، أو رفض اللهاث وراء المال والشهرة بالمتاجرة في كل شيء وسلوك كل سبيل يحقق ذلك، أو رفض تغول الإعلام ببرامجه وأخباره وأفلامه واجتهاده في تزييف العقول وتسخيف النفوس، أو رفض شيوع الأمراض العصبية والنفسية والسلوكية جرّاء الضغوط الهائلة التي يئن تحتها الفرد، أو رفض احتقار الأمم والشعوب الأخرى والسعي لنهب ثرواتها ومسخ هويتها وإخضاع ثقافتها بكل الطرق، أو رفض انتفاء الخصوصية للأفراد بسبب اجتهاد الحكومة وأذرعها المختلفة للسيطرة والمراقبة، أو رفض علو سلطة الرؤية المادية للذات والآخر والعالم. وغير هذا من الآفات المرعبة التي يعاني منها الجاهلية.

396. المرأة الخرّاجة الولاّجة

المرأة الخرّاجة الولاّجة، والموظفة في الإدارات والشركات، حين تظن أنها لن تفقد كثيراً أو قليلاً من حياء الأنوثة الفطري فيها، أو لن يُنظر إليها على أنها موضوع جنسي، أو لن يتم التحرش بها ولو بالتلميحات، هي أشبه بمن يدخل البحر وينتظر ألا يبتل، فضلاً عن الغرق!! ولا أقول بأن هؤلاء يجهلن حقيقة مركزية على الأقل في طبيعة الرجل، وهي أن الرجل لا يستطيع طبيعيا ألا يستثار تجاه المرأة، اللهم إلا إذا كان يعاني خللا في تكوينه العضوي أو النفسي، فالمرأة بالنسبة للرجل "موضوع جنسي" مهما كثرت الشعارات والكلام البارد. لا أقول هذا، لأن حس المرأة الفطري يؤكد على ذلك، وإن كانت تحاول تجاوزه والالتفاف عليه ببعض الشعارات الجوفاء. ولهذا فهذا الصنف من البنات والنساء هنّ المتحرش الأول بالرجل، وأنا هنا أفسر ولا أبرر التحرش بمختلف صوره.

397. طالب العلم المغرور

طالب العلم المغرور مثل رجل الأعمال، يلهث طويلاً لبلوغ قمة المجد المالي، لكنه بقدر ما يجمع ويحصّل منه، بقدر ما تنفجر فيه براكين القلق والتوتر، كيف يحافظ على هذا المجد والثروة، لأنه ذاق طعم المال والثروة وصار يخشى الفقر والحاجة! كذلك طالب العلم المغرور، يلهث طويلاً، ويخبط هنا وهناك، ويخوض غمار الصراعات المختلفة ليثبت تفوقه العلمي، لكنه مع كل خطوة في طريق المجد الذي يطمح إليه، تتسع في أعماقه فوّهة القلق والتوتر، كيف يمكن أن يحافظ على قيمته في عيون قرّائه ومتابعيه، لأنه يخشى أن يسقط من عيون المعجبين به!

398. الاعتصام من السقوط

في عصر الفتن كعصرنا الحاضر؛ حيث انفجرت الشبهات والشهوات والصعوبات، تتكاثف الضغوط المختلفة على المسلم، فيصاب بالإحباط والتشاؤم والسلبيّة، وقد يتطور الأمر إلى نهايات قاتمة وكئيبة، كما حدث لشريحة واسعة من الشباب والبنات المسلمين! لا جرم ــإذنــ أنّ على المسلم المعاصر أن يتعامل مع هذا الواقع الخانق بجديّة واضحة ومسؤولية كبيرة، لأنّ الآثار الناتجة عن ذلك لا تقتصر على الدنيا، بل تمتد لتشمل الآخرة كذلك. إنّ الشبهات خطافة والشهوات مغرية والصعوبات مستفزة والقلوب ضعيفة، ولا علاج أفضل من تذكّر أن الدنيا دار بلاء لا دار هناء، وأنها دار فناء لا دار بقاء، فهذه المعرفة والتذكر الدائم لحقيقة الحياة الدنيا من شأنه أن يعمل صمام أمان للعقل والوجدان. وهذا هو السر في توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿أكثروا من ذكر هاذم اللذات﴾ [صحيح ابن حبان]. ولا علاج أفضل من التحصين الشرعي، علماً وعملاً، فالعلم الشرعي الصحيح عصمة للعقل من الاغترار بالشبهات، والعلم الشرعي الصحيح عصمة للقلب من الآفات الباطنة.

399. انتصار العلمانيين

من انتصارات العلمانيين، أنهم أجبروا كثيراً من الإسلاميين على خوض مراجعات، فكرية وشرعية ومنهجية! وقد كانت النتائج ممتازة كما أملوا وخططوا! فقد تنازل كثير من الإسلاميين عن مبادئ أصيلة في نظام الرؤية الإسلاميّة، أو قاموا بتفريغها من مضامينها الشرعيّة تحت مبررات مختلفة! وفي المقابل لم نجد ولا نعرف إسلاميّاً واحداً طالب العلمانيين بالقيام بمراجعات جذريّة لقناعاتهم العلمانية! مراجعات الإسلاميين تتضمن الاعتراف بالوقوع في الكثير من الأخطاء، كما يعني الإقرار بأنّ علماء الأمة خلال القرون جهلوا مراد الله ورسوله أو زيفوا الحقائق كما يزعم العلمانيون! وعدم مطالب العلمانيين بالمثل، تعني ضمنيّاً الاعتراف بأنهم على صواب فكراً ومنهجية! إن المراجعات شيء نبيل مطلوب، لكن يجب أن يكون نابعاً من الأصول الإسلامية وقواعدها لتحقيق أهداف القرآن والسنة، ليس لتنفيذ رغبات العلمانيين!

400. دلالة نزول عيسى عليه السلام

لما كانت المدنية الصليبية تمارس زيوفها وكذبها وخداعها للإنسان باسم المسيح ابن مريم عليه السلام، اقتضت حكمة الله تعالى أن يرسله في آخر الزمان ليكشف الحقيقة للعقل الإنساني التي طالما حرصت الجاهلية الصليبية على إخفائها. وفي كسره للصليب وقتله للخنزير إشارة ــوالله أعلمــ إلى هذا المعنى، إذ

هما رمز المسيحية المزيفة، وفي قتله للدجال اللعين تنبيه لنهاية الزيوف الباطلة التي مارستها الصليبية وفسادها في الأرض.

401. مقاصد الأزمات العامة

من أعظم مقاصد الأزمات العامة، مقصد تمييز الصفوف وغربلة النفوس وكشف الخبايا. فأما الصادق فلا تزيده الأزمة إلا تزكية وترقية وتشريفاً في ملكوت السماء، وأما الذي في قلبه دخن فلا تزيد الأزمة إلا تدسية وتعرية وسقوطاً في ملكوت السماء. من أجل ذلك؛ لا ينبغي أن يفزعك تكالب الجاهلية المعاصرة على الأمة، ولا أن يدهشك خذلان أسماء لامعة لقضايا المسلمين، فالصراع بين الحق والباطل، بين الإسلام والجاهلية، بين الصادقين والكاذبين، بين الجادين والمميّعين، كل هذا سنة ربانية ثابتة، لا يمكن تخلفها ولا تجاوزها، لأن أبعاد الحكمة الإلهية في نظام الدنيا والآخرة تقتضي ذلك.

402. صون مكانة الصحابة

إدخال أهل العلم ذكر الصحابة ــرضي الله عنهمــ في كتب العقيدة والسنة، والحديث عن مكانتهم، والتنويه بمنزلتهم، والتعظيم لأقدارهم، والإشادة بمحبة الله ورسوله لهم، دلالة على وعيهم الكبير بمركزيتهم ﷺ في نظام هذا الدين، فهم الذين نزل القرآن بينهم وبلغتهم الفطرية، فشهدوا مواقع التنزيل وعلموا حقائق التأويل، فلا جرم أن كل من يريد فهم الإسلام، عقيدة وشريعة، دونهم يضل سواء السبيل. ومن هنا، يمكن أن فهم بسهولة تلك المحاولات الآثمة من المنافقين قديماً وحديثاً لإسقاط الصحابة، وتشويه سمعتهم، وتهوين شأنهم في النفوس والضمائر، وأن الغرض من ذلك هو لأجل التلاعب بدلالات القرآن وإنكار السنّة، وطرح ما تشاء أهواؤهم في العقيدة والمبادئ والقيم والتشريع، تحت غطاء البحث والاجتهاد، وتحت شعار العقلانية والموضوعية! لا جرم ــإذنــ أن كان الدفاع عن الصحابة الكرام والذود عنهم من قِبل العلماء، تنبيهاً للمسلم على هذا الهدف الخبيث والغاية الأثيمة. فالقضية هنا، ليست مجرد محبة للصحابة، بل هي تتجاوز ذلك إلى أن الدفاع عنهم وترسيخ محبتهم في القلوب، دفاع عن القرآن والسنة، وغرس للعقيدة والقيم الإسلامية في العقول والنفوس.

403. قضاء الوطر الجنسي

ما زال أهل العلم منذ قديم الدهر يتحدثون عن آداب النكاح [الجنس] بين الزوجين، ومن ضمن ذلك تنبيههم الزوج ضرورة أن يعف زوجته، ولا يكون الإعفاف إلا بأن يساعدها على قضاء وطرها، ومن ثم، ذموا الزوج الذي يقضي وطره مهملاً زوجته، لما يعلمون في ذلك من الألم لها، إذ كانت المرأة أبطأ في قضاء الوطر من الرجل. واليوم، من له قراءات في موضوع الحياة الزوجية، أو تُعرض عليه مشاكل الأزواج، يجد أن من ضمن هذه المشاكل والموضوعات، مسألة "قضاء الزوجة وطرها" حاضرة بكثافة، فكم من مشاكل تحدث بين الزوجين تكون شرارتها حرمان الزوج عن جهل زوجته قضاء وطرها، متوهماً عن جهل كذلك أن قضاءه هو لوطره يستلزم قضاءها لوطرها، أو أنها لا تقضي وطرها كقضائه هو له!

404. إفساد جيل الشباب المسلم

لا يشك مراقب في أن وتيرة محاربة الإسلام ارتفعت خلال المرحلة الأخيرة بشكل جنوني، كأن جند إبليس استبطأوا نتائج خططهم خلال العقود الخالية! ومن نتائج ذلك التوجه مباشرة إلى الجيل الناشئ، جيل الأطفال الصغار، عبر مسخ صارخ وسلخ مباشر عن العقيدة الإسلامية والقيم الإسلامية! هذه الغاية الأثيمة، يشترك فيها الحكومات عبر مقررات الدراسة، والسماح لوسائل الإعلام لبث الفاحشة والترويج لها، وأيضاً هناك منظمات مرتبطة بالمؤسسات والمراكز الغربية تنشر وتروج للزنا والفاحشة تحت شعار الحريات والحقوق، وكذلك أفراد يتطوعون من ذات أنفسهم عبر نشر مقاطع من رسوم متحركة مترجمة صوتاً، وباللهجة العامية، والكلمات كلها سوقية، بذيئة، وفيه ألفاظ كفرية. ولهذا من كان له أبناء فلينتبه لهم، وخير ما يستثمر فيه المرء مع الله تعالى في أبنائه.

405. لا يفلح الظالمون

قال الله سبحانه: ﴿إِنَّه لا يفلح الظَّالِمُونَ﴾. والظلم ظلمان: ظلم العقيدة والتصور والقناعة، كمن يرفض الإسلام، وكمن يرفض تطبيق الشريعة، وكمن يأخذ عقيدته وقيمه ومبادئه من مصادر أجنبية، وكمن ينكر وجود الله تعالى. وظلم السلوك والعمل والموقف، كمن يرتكب المعاصي مستحلا لها، وكمن ينغمس في الذنوب بلا توبة، وكمن يلهث وراء الدنيا غافلا عن الآخرة، وكمن يأخذ حقوق الناس. ونفي الفلاح عن هؤلاء الأصناف، قسمان: نفي الفلاح الدنيوي، ويتمثل في عدم البركة الربانية عليهم، ونفي التسديد

الإلهي عنهم، وضيق صدورهم، وذل نفوسهم، وخنوعهم لعبيد أمثالهم. نفي الفلاح الأخروي، ويتجلى في منع الرحمة عنهم، وإنزال العذاب بهم في القبر، وشدة الحساب في الحشر، وحرمانهم من الجنة ورؤية الله تعالى.

406. انظروا ماذا في السماوات

قول الله تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وقوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾، لماذا أمر بالنظر في السماوات، واستنكر عدم التفكر في السماوات، والحال أن الإنسان يعيش في جزء ضئيل من عالم السماء الأولى، وهو لم ير هذا العالم الأول، فضلاً عن أن يرى عالم السماوات الست الأخرى؟ في ذلك دلالات وإشارات، يمكن أن نذكر منها: **(أولاً)** وجود قواسم مشتركة بين كل المخلوقات رغم كثرتها وتنوعها، وهي الوجود بعد العدم، توقف تسلسلها عند بداية معينة، الدلالة على ضرورة وجود الخالق. **(ثانياً)** المبادئ الإدراكية في الإنسان غير مقيدة بعالم دون آخر، بل هي مطلقة، ففي أي عالم يدخله الإنسان إنما يدركه في إطار تلك المبادئ الفطرية. **(ثالثاً)** القدرة الإدراكية المسبقة لدى الإنسان لاستيعاب دلالة المعطيات الوجودية، مهما اختلفت صورها ومظاهرها، فهي كلها دالة دلالة قطعية على وجود الخالق. (رابعاً) أهمية توسيع دائرة التفكر والتأمل، إذ بقدر ما تتسع ويتنوع النظر في الآيات الكونية، تفتّقت كوامن العقل وتفتّحت دفائن الفطرة، فكان الوعي بوجود الله أعظم. والله تعالى أعلم وأحكم.

407. آفات التحزب العلمي

أيها الطالب السائر في طريق التخصص والتعمق؛ احذر شديد الحذر أن تقع في فخ "التخندق المذهبي" أو قل "التحزب العلمي"، فهذا التخندق أو التحزب له ست آفات: **(الآفة الأولى)** يحول بينك وبين إدراك الحق في نفسه، حسب مراد الله تعالى ورسوله، وما كان عليه السلف المبارك، أعني الصحابة والتابعين والسائرين في دربهم. **(الآفة الثانية)** يحول بينك وبين معرفة الخطأ في مقالات الناس، فتكون بذلك من الذين يتبعون الخطأ والباطل وهم يحسبون أنهم مهتدون، وهذا لا يليق بالمسلم. **(الآفة الثالثة)** يحول بينك وبين بناء منظومتك المعرفية بناء مؤصلا ومتماسكا، إذ هذا البناء لا يكون إلا باتباع الحق والتجرد له

حتى وإن خالف ما نشأت عليه. **(الآفة الرابعة)** يحول بينك وبين ترتيب سلم أولويات المعركة، فتكون بذلك منغمساً في معارك هامشية أو على الأقل غير مؤثرة تأثيرا فعّالا في الواقع الذي تعيش فيه. **(الآفة الخامسة)** يحول بينك وبين الانتفاع بما لدى مخالفيك، إذ كان التخندق أو التحزب ينشئ في النفس حالة نفور وإعراض عن الحق عند الآخرين توهما أن الاعتراف بذلك مصادقة على مذهبهم، لكن بحكم أن النفس مشحونة ضدهم فإن صاحبها يحرص على سلبهم كل فضيلة. **(الآفة السادسة)** يوقعك في تقديس الأعلام ورموز المذهب، والأصل أن لا أحد معصوم من الخطأ والزلل والوهم، مهما اتسع علمه وذكاؤه، وكل إمام يُحتج لكلامه ما كان حقا، ولا يُحتج بكلامه إلا ما وافق الحق. من أجل ذلك؛ جدير بك أن يكون شعارك الدائم: (ليس بين الحق والعاقل عداوة)، واعلم أن انتماءك إلى الإسلام يوجب عليك هذا المذهب، فمن مقاصد الوحي بيان الحق والباطل، وقد بيّن كل ما يحتاج إليه العبد من المعارف والمطالب غاية البيان، فليس ترك البحث عن الحق الذي قرّره الوحي إلا عن جهل أو تقليد أو غرور أو هوى أو هذه كلها!

408. نفي تقديس الأعلام

قول الرب تبارك شأنه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران/31)، يتضمن الإشارة إلى نفي التقديس للأعلام العلمية، إذ لا أحد معصوم من الخطأ والزلل والوهم، فكان تقديس الإمام والرمز آفة شنيعة، تحمل صاحبه على التمركز حول هذا الإمام الرمز وجعل أقواله مرجعية معيارية للحق والباطل، والأصل العقدي أن المرجعية المعيارية للحق والباطل بالنسبة للمسلم هي القرآن والسنة. ولهذا بقدر ما يتجرد العبد في اتباع الوحي يكون أدنى للحق والإصابة، وبقدر ما يقدّس غيره (إعجاباً وتقليداً) يقع في الابتداع والانحراف. فالاتّباع المطلوب من الآية قسمان، أولهما، الاتباع العلمي، والثاني، الاتباع العملي، والمحبة الإلهية للعبد تتحقق له بقدر تحققه بهذين القسمين. والله أعلم

409. معركة الذكوريين والنسويات

حين تطالع بعض منشورات الذكوريين والنسويات تجد يعيشون في غبار معركة وهمية، كل طرف فيها يتصور ويصور الآخر على أنه شيطان مَرِيد، وكل طرف فيها يعتقد أنه يجب عليه أن ينتصر أو سيُهزم! إن

هذه التصورات التي يعيشون فيها والتي يدورون في فلكها، تصورات جاهلية لا تمت للإسلام بأدنى صلة! افتح القرآن الكريم، وافتح السنة النبوية، وافتح سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة، ستجد صورة واضحة المعالم، متوازنة الجوانب، زاهية الألوان، حول النظرة إلى الجنس الآخر، وطبيعة العلاقة التي ينبغي أن تجمعك به. أما هذا الكَم الهائل من منشورات الصراع والمعركة بين الطرفين فهو بلا شك يؤثر حتى على الشباب والبنات الذين هم في الأصل بمنأى هذه التصورات الجاهلية، فشاب عزب أو رجل متزوج يتلقى يومياً هذه المنشورات التي تصور المرأة على أنه شيطان خبيث، وكائن شديد الخداع، ولا حل معها سوى القمع والقسوة والعنف معها في المعاملة، حتى لا يُخدع بتظاهرها بالرقة والحب والتعاون والصبر، هذا الشاب حين يتزوج أو هذا الرجل المتزوج كيف يمكن أن يعيش حياة زوجية مستقرة وسعيدة، مفعمة بالاحترام والتقدير والمسؤولية، ودفّاقة بالحب والحنان والرحمة؟ وقل الشيء نفسه عن فتاة عزباء أو امرأة متزوجة وهي تقرأ يومياً هذه المنشورات أو تشاهد هذه الفيديوهات، كيف يمكن أن تحتفظ في حياتها الزوجية بأنوثتها وما فيها من رقة ونعومة وحلاوة، وتقوم بواجباتها بكل حب وإخلاص ووفاء وعطاء! ألا فليربأ عاقل بنفسه أن يرعى مع الهمل!

410. التعظيم اللاشعوري للإمام

رأيت محبي كل إمام في فنّه إذا وجدوا شخصاً جاء بعده قال بشيء فيه معنى قول موجود في جملة مقالات الإمام، فإنهم يجهدوا في إثبات أن هذا الخلف المتأخر قد أخذ قوله من إمامهم، وأنه لابد أن يكون قد اطلع على كتبه! غير أنهم لا يقبلون أن يقال لهم بأن القول الفلاني لإمامكم قد سبقه فلان وفلان من المتقدمين عليه! وهذا يشبه معنى آخر، وهو أني رأيت هؤلاء يكون إمامهم قال بمقالة تكون شائعة بين المتقدمين أو قال بها بعض الأعلام، وحين يقتبسونها يحصرون نسبتها إلى إمامهم دون التعريج على ذكر من سبقه فيها! وأنت إذا قلّبت وجوه الرأي في هذا الأمر، ذهب بك النظر إلى أن القضية في أولها وآخرها لها بُعد نفسي، يتمثل في شعور التعظيم فيهم لإمامهم، فهم أبداً يبحثون عن الشيء الذي يبررون به لأنفسهم تعظيمهم له، ويبررون به الترويج له بين الناس!

411. ثبات السنن الإلهية

السنة الإلهية في حياة البشرية لا تتغير أبداً، بل عندما تتجمع شروط تحققها تقع ولابد، وهذا ما نجده واضحاً في قصص الغابرين الذين قص القرآن علينا أخبارهم، فكل تلك الأمم كان ينزل بها العذاب وكل تلك الحضارات كانت ينزل بها الدمار عندما تبلغ غاية بعيدة في الفساد. ولأجل هذا، فإن سقوط الجاهلية المعاصرة حتمي، قدراً وشرعاً، وإنما المسألة وقت لا أكثر، لأن الوجود قائم على الحق وبالحق، فإذا بلغ فيه الفساد مبلغاً يكاد ينسخ الحق المطلق، هنا لابد في مقتضى الحكمة الإلهية من التدمير عليه وإزاحته من العالم، إلى أن تبلغ المقاصد الإلهية في العالم غايتها، وذلك يكون قبيل القيامة، فيعم الفساد ويشيع الانحراف إلى غايته القصوى، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿حتى لا يقال: الله، الله﴾، وبعموم الفساد فلا خير ولا حق ولا إيمان، يكون التدمير والهدم المطلق، وذلك هو يوم القيامة وانهدام الكون. والله أعلم.

412. قصور الرؤية الإلحادية

يحصر الملحد رؤيته للوجود في إطار حسي مادي، وهذه بلا شك رؤية هزيلة وضيقة وسطحية جداً، تجعل الملحد يرى نفسه مجرد كومة مادية ونفاية نجمية متطورة، وهذا بدوره يؤدي به للسقوط في فخ "التمركز حول الذات" أو قل "تقديس الذات"، ومن ثم، سيتعامل مع نفسه ومع الآخرين بمنطق مادي صرف، يدور في إطار المنفعة المادية الحسية، لأنه يعاني من "ضيق وجودي" على مستوى الإدراك وعلى مستوى الشعور. وهذا عكس الوحي الإلهي المعصوم، فإنه يقدم للمسلم رؤية للوجود في إطار تعددية المستويات الوجودية، أي إن العالم في الرؤية الإيمانية ليس أحادي البُعد، هو البُعد المادي المشهود، بل هناك مستويات أخرى خارج هذا العالم ووراءه، ذات رحابة مهولة وتنوع عظيم في كائناته وأشيائه. وهذا بلا شك يمنح المسلم "سعة وجودية" في الإدراك والشعور، ومن ثم ترتقي قيمه في التعامل مع الذات والآخر، وفي التعاطي مع الأحداث والأشياء. وبهذا يرى المسلم نفسه يحتل مكانة مركزية في الوجود، لكنه ليس وحيداً بل هناك مخلوقات أخرى تتواجد في عالمها الغيبي. فتأمل الفرق بين الرؤيتين، أيهما أهدى سبيلاً وأقوم قيلاً وأجمل مآلاً وأنبل أثراً، لتفهم أن الملحد اختار لنفسه صفقة خاسرة، جهلاً منه وضلالاً، وذلك جزاء الظالمين.

413. قوة الإيمان عند العارفين

جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: «لو كُشِفَ الغطاء ما ازددتُ إيماناً»، ليس مقصوده أن هذه الرؤية الحسية المفترضة الآن ــوالتي ستكون بعد الموتــ لن تضيف إليه إيماناً ويقيناً ومعرفة وتعظيماً لله تعالى، فهذا ظنٌّ جاهلٌ بمقام علي ﷺ، إذ من المؤكد أن الرؤية الحسية تضيف مزيدا من المعرفة والإحساس، مهما بلغ المرء في قوة اليقين والإيمان، فالخبر مهما كان واضحاً وراسخاً ويقيناً لا يبلغ مرتبة العيان، ولو كان الأمر كذلك أي عدم إضافة الرؤية الحسية شيئاً للمعاني العقلية والقلبية لما كان أعظم أشواق العارفين رؤية الله تعالى، بل ولا دعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه تعالى أن يرزقه لذة النظر إلى وجهه الكريم. وأيضاً لو كان الأمر كذلك، لما كان لأمر الله تعالى المسلمَ تقليب النظر في ملكوت الكون والحياة أي معنى، إذ من البيّن أن التفكر في مشاهد السماء والأرض يزيد الإيمان قوة، واليقين رسوخاً، والمحبة صفاء، والمعرفة عمقاً، ومن المؤكد أن مشاهد عالم الغيب بما فيه من كائنات وأشياء أعظم إبداعاً وجمالا وكمالاً بما لا مجال للمقارنة بينها وبين مشاهد هذا العالم الدنيوي الفاني الزائل. وكذلك لو كان الأمر كذلك، لكان معناه أن كمال الله تعالى وجماله وجلاله محدود، والحال أنه جل جلاله مطلق الكمال والعظمة والجمال والجلال، فكان يكون المؤمن في الجنة يزداد به معرفة وله محبة وتعظيماً وإجلالاً كلما نظر إليه، ولذلك جاء في الحديث بأن الله تعالى لا يعطي يوم القيامة المؤمنين نعيماً أعظم ولا أجل من النظر إلى وجهه الكريم. وبهذا يتبين لك أن مقصود علي ﷺ بيان قوة إيمانه ورسوخ يقينه وصفاء شعوره بالله تعالى ومعرفته به، حتى كأنه يرى الغيب رأي العين.

414. أسلوب المادية مع الزوج

حين تتعامل الزوجة مع زوجها بمنطق مادي "العمل لضمان المستقبل، العمل لتحقيق الاستقلال المالي، المرتب لا دخل له فيه لأن النفقة واجبة عليه"، فهنا لا ينبغي أن تلوم هذا الزوج حين يعاملها بنفس الأسلوب حين يتراجع جمالها أو تصاب بمرض مزمن، فيذهب يبحث عن غيرها! لا ينبغي ذاك، لأن هذا هو منطق المادية، ولهذا على من تتعامل مع زوجها كذلك أن تقبل بشروط المنطق المادي وآثاره، ولا ينبغي أن تضع حينها في توقعاتها من هذا الزوج أن يلتزم معها بمنظومة القيم الفضيلة، والمبادئ النبيلة، فإن من نزل ساحة معركة يقبل ضمناً شروطها، ومن ثم عليه أن يتوقع كل شيء! والحقيقة أن هذا الأسلوب قد تضخم جداً في نساء هذا العصر، بسبب عوامل مختلفة، ولهذا كثر الشقاء الزوجي، والتفكك الأسري!

415. عندما يغيب الإيمان بالآخرة

عند غياب ركن الآخرة بما فيها من حساب وجزاء، تكون قوانين لعبة الدنيا هي الحكم!! ذلك أن الإيمان بالآخرة واستحضارها على مستوى التفكير والشعور، يرتقي بالإنسان في مدارج القيم والمبادئ وهو يتفاعل مع الذات والآخر والعالم والواقع، أما غياب هذا البُعد فإنه يجعل رؤية الإنسان لنفسه وللآخر وللعالم وللواقع، رؤية مادية، ومن ثم، من الطبيعي أن تحكمه القيم المادية ومعاييرها في التعامل والسلوك والنشاطات. انظر قول الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ. بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ. بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ. يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾، فقف عند قوله [بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ]، لتجد فيه الدافع الحقيقي والأثر الحتمي لإنكار ركن الآخرة وعدم استحضاره في التفكير والشعور والسلوك. فهذا الإنسان يفرض أنه لا حياة بعد الموت، لأنه يريد أن ينطلق في مذاهب الفجور والتكاثر المادي، بلا قيم ولا ضوابط ولا ثوابت! ولهذا يكثر القرآن من الحديث عن الآخرة، ويُذَكِّر بها الإنسان بفنون من التذكير، لأن الرؤية المادية مدمرة لفطرة الإنسان، ومدمرة للحياة، فهي تحوّل الإنسان إلى ذئب مفترس، وتحوّل الحياة إلى غابة مرعبة، وهنا وهناك يكون مبدأ (أنا) هو المبدأ الثابت والمقدس والمركز والمطلق. لأنه في غياب بُعد الآخرة، وفي إطار الرؤية المادية، لن يكون هناك أدنى مبرر لتجاوز مبدأ (أنا) وتأجيل أو طرح بعض شهواتها وطموحاتها.

416. تصور زائف للسعادة

بعض الشباب يتصور السعادة مرتبطة بالزواج، وبيت مستقل، ومرتب جيد، وأنه إذا تيسر له كل هذا فإنه سيكون حقق السعادة التي كان يحلم بها! لكن، الذي يحدث أنه حين يتزوج وقد يكون دخله أو مرتبه جيداً، ثم لاحقاً يتمكن من بناء أو شراء بيت، هنا يكتشف أن السعادة لم تتحقق له كما كان يظن، على الأقل في المستوى الذي كان يطمح إليه ويحلم به! ومكمن الخطأ هو أن هذا الشاب تصور السعادة على أنها محطة بمجرد أن يصل إليها ستغمره نفحاتها وبهجتها بشكل مطلق، وغفل عن أن السعادة إنما تتحقق في صور جزئية، أي شيئاً فشيئاً، رغم أن هذه الصور الجزئية كلها يشملها مفهوم السعادة. وأيضاً، فالسعادة هنا في الدنيا ترتبط بطبيعة عالم الدنيا، وبما أن عالم الدنيا مطبوع بطابع النقص والقصور والابتلاء، فلا يمكن إذن أن تسير تحقق السعادة في خط مستقيم باطراد، بل من الطبيعي أن يتراوح بين صعود

وهبوط، وكثرة ونقص، وثراء وضحالة، وإنما السعادة الكاملة بلا منغصات ولا قيود ولا عراقيل تكون في الجنة. لهذا من المفيد أن يحرص العاقل على تذوق السعادة بحسب ظروفه وحاله، خصوصاً أن المسلم يؤمن أنه في أية لحظة قد ينزل به الموت وينتقل إلى عالم الآخرة الأبدية، وهناك الجنة بنعميها وسعادتها الخالدة.

417. أنواع المعارف الإلهية

الوحي الإلهي جاء بنوعين من المعارف: **(النوع الأول)** توكيد وتوسيع ما في فطرة العقول وتثوير لمقتضياتها، كما تحدث عن وجود الخالق واتصافه بالعلم والقدرة والإرادة والحكمة والرحمة، وكل هذا أصوله راسخة في الفطرة، وكما تحدث عن العدل والأخلاق الجميلة والسلوكيات النبيلة، كما جاء في الحديث (خمس من الفطرة.. الخ). و**(النوع الثاني)** كشف جديد لما لا يمكن أن يدركه الإنسان بمحض الحس والنظر والتأمل، وهذا كحديثه عن صفات الله تعالى الخبرية كالضحك والاستواء والنزول، وكحديثه عن مكونات عالم الغيب من وجود عوالم أخرى، وكائنات أخرى مثل الملائكة والحور العين وغير ذلك، ومثل الإرشاد لطرق السعادة النفسية والاجتماعية والأخروية. فلا معرفة حقة، وصحيحة، وصائبة، بشكل كامل لا نقص فيه ولا اضطراب ولا تناقض، إلا المعارف القرآنية النبوية. وكل هذا له صلة وثيقة بحقيقتين كبريين: **(الأولى)** أن الله تعالى له الكمال المطلق والعظمة اللانهائية، فهو أعلم بالإنسان وفطرته وعقله ومكونات كينونته، وهو أعلم بالوجود كله بما فيه من كائنات وأشياء وعوالم وحقائق، إذ هو الخالق لكل ذلك. فكان خبر الوحي معصوما من الزلل والخطأ والوهم والنقص والجهل. **(الثانية)** أن الله تعالى خلق الإنسان ليعرفه معرفة صحيحة، فيعبده عبادة صحيحة، وهذا وحده ما يهيئه لجواره المقدس سبحانه في عالم الأبدية، فكان لزاما في الحكمة الإلهية أن تكون المعارف المقدمة في الوحي تؤكد على ما في فطرة الإنسان وتوسع مداركه وتكشف له حقائق أخرى لا يبلغها بحسه ونظره. ولهذا تجد كل ما تعمق في معارف القرآن وحكمة السنة، ينظر بعين الزراية للمعارف البشرية وإن لبست لباس العقلانية والحكمة، إذ الإنسان مهما حقق ودقق يستحيل أن يتحرر من سمات البشرية فيه: العجز والقصور والوهم والخطأ والجهل. فكان صاحب المعارف الإلهية أشبه بحامل نبراس ينير له الطريق، وصاحب المعارف البشرية أشبه بالسائر في الظلام الدامس بشمعة ضئيلة هزيلة إن لم يطفئها النَّفَس أطفأتها الريح!! لهذا تجد بعض فحول الفلاسفة يعترفون بأن كلام الفلاسفة في الإلهيات مجرد أنظار مضطربة وخيالات مهترئة وأوهام جانحة، لا زمام لها ولا أصول ولا نور!

418. توالد المعارضات والشكوك

اعلم أن المعارضات والشبهات والتشكيكات الممكنة ضد الوحي (الله، النبوة، التشريع، القدر، الغيب) في الإمكان أن تتوالد بلا حد ولا حصر، وهذه الإمكانية مرتبطة بعوامل وروافد مختلفة (الهوى، الجهل، العناد، التقليد، الكبر، الشيطان). وهنا تبرز الأهمية القصوى للقواعد العلمية التي بثها الوحي في تضاعيف كلامه وتقريراته ومسائله، فهذه القواعد والكليات من شأنها أن تعصم المسلم من الانخداع بتلك المعارضات والشبهات لو عرضت عليه، بل وأن تضبط بوصلة عقله فلا تمر به وإذا مرت كان يمكنه تحليلها ونقضها. ثم إن أبرز الكليات المعرفية التي قررها الوحي وعلى المسلم أن يستمسك بها ليحفظ على نفسه اليقين الموجب لدخول الجنة، هي: الله سبحانه له الكمال في ذاته وأسمائه وصفاته، وقد خلق الإنسان بالحق وللحق، ولهذا يستحيل أن يكون في كلامه (الوحي) ما يمكن أن يتعارض مع الفطرة ويتضاد مع العقل. ونتيجة تمسك المسلم العامي بهذه القاعدة تعصمه كما قلت من السقوط في فخ الأوهام المعارضة والشكوك المقولة على مقررات الوحي، حتى وهو يجهل تفاصيل نقض هذا المعارض وهذه الشبهة، إذ بسبب تلك القاعدة سيدرك أن عدم علمه هو لا يستلزم انتفاء المعنى والحق عن الوحي والخطأ عن المعارض والشبهة.

419. الحقد الصليبصهيوني على الإسلام

يقول الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة:109). قف عند كلمة [ودَّ] لتفهم أن حقد أعداء هذا الدين عليه ورغبتهم في إخراج المسلمين من دينهم، ليس رغبة عابرة، أو لا تظهر إلا حين الصدام والمعركة المباشرة، بل هي رغبة متأصلة فيهم، ونزعة مركزية في تفكيرهم، ومحبة عارمة في نفوسهم! وقد اعترف بعض المبشرين بهذا الهدف وكشفوا أن هدفهم الأعلى ليس إدخال المسلم في النصرانية، فهذا شرف لا يستحقه المسلم، وإنما الهدف هو تشويشه ليكون مسلما بلا إسلاما، بلا عقيدة ثابتة ولا إيمان مستقر! لكن لماذا كل هذا الحقد، وهذا الحرص؟ الجواب هو [حسداً من عند أنفسهم]، فتراكم الحسد أن يكون الحق في الإسلام وليس في النصرانية واليهودية، ورفضهم اتباع هذا الدين بعدما تبين لهم الحق! وشاهد إن شئت اعترافات النصارى الذين دخلوا الإسلام حول ما يتلقونه في الكنائس وما يتعلمونه فيها حول الإسلام والمسلمين! وماذا كانت

نتيجة هذا الحقد والمحبة الطاغية في إخراج المسلم من حقيقة إسلامه؟ النتيجة تكشف الآية التالية: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة/217)، فقف عند قوله [لا يزالون] لتفهم أن صيغة المضارع تدل على أن تلك الأهداف الآثمة مركزية كما قلنا في تفكيرهم، ولذلك سيظلون أبداً يبتكرون الخطط ويبتدعون الأساليب لحرب الإسلام وقصف عقول المسلمين بالشبهات والتشويه للقرآن والسنة والسيرة والتشريعات الإسلامية . هي إذن معركة أبدية لن تنتهي إلا مع قيامة الساعة، رغم اختلاف صورها وأشكالها وأساليبها. ويبقى السؤال: هل الشباب المسلم اليوم لديه القدرة الفكرية والنفسية للثبات في هذه الساحة، فضلاً عن الانتصار فيها؟؟

419. التحذير من الفكر النسوي

الكلام حول "المحجبة النسوية أو طالب العلم الشرعي النسوية"، وإن خرج مخرج التنفير منها والشدة عليها، فليس الغرض منه التزهيد في طلب العلم الشرعي عند المسلمة كما يظن البعض، بل الغرض الأبعد منه ثلاثة أمور: **(أولها)**، تنبيه المسلمة الملتزمة التي لم تسقط في قبضة طاعون النسوية أن تحذره، فالنسوية تقع في النقيض للتدين والالتزام. **(ثانيها)**، إيقاظ من بقي لها مسكة من عقل وتقوى من هؤلاء اللواتي خُدعن بهذا الفكر، أن يراجعن أنفسهن قبل فوات الأوان ولات حين مندم. **(ثالثها)**، تحذير الشاب المتدين الطامح لحياة زوجية سعيدة في إطار الرؤية الإسلامية، من الانخداع بالمظاهر "محجبة/منقبة/طالبة علم". إن النسوية اليوم مثل الإلحاد، لم تعد تنظيرات فكرية تدور بين كُتّاب وكاتبات في أورقة الكتب والبحوث المتخصصة، بل صار يروج لها لتكون ثقافة شعبية، تطوي بجناحيها المتعلمات والأميات . ولهذا؛ فالنسوية بلاء وقع ومصيبة حلّت ولعنة أحاطت، وليس يصح في الشرع ولا في العقل غض الطرف عنها، والتقليل من خطرها، كما كان البعض قبل عشرين عاماً يهوّن من خطر الإلحاد، ثم ها نحن أولاء نشهد موجة الإلحاد تُغرق حتى المراهقين الصغار فضلاً عن الشباب الكبار! ولذلك يجب التحذير من النسوية والتنفير عنها وكشف مساوئها وبيان أضرارها والتوكيد على مناقضتها لتعاليم الشريعة ومقاصد الديانة.

420. تناقض الإلحاد وعرض الشبهات

لو كان الملحد منصفاً، بل لو كان واعياً بحقيقة الإلحاد، إذن لخجل من طرح شبهاته حول أحكام الشريعة أو وجود الشرور، لماذا؟ لأن النقد لكي يكون بنّاء لابد أن ينطلق من مرجعية ثابتة ولابد أن يتأسس على منظومة قيمية مطلقة، وإلا كان مجرد عبث سخيف وطيش سفيه!! والملحد ليست له مرجعية ثابتة ولا منظومة قيم مطلقة، ويكفي التذكير أنه يؤمن أن الحقيقة نسبية سائلة هلامية، وأن الأخلاق لا قيمة موضوعية لها!! إذن على أي أساس ينتقد الملحد وجود الشر في العالم؟ وعلى أي أساس ينتقد أحكام الشريعة!! لا يستطيع أي ملحد أن يقدم لنا معايير واضحة تنسجم مع الأسس الإلحادية المادية يمكن في إطارها أن نقول: نعم هذا شر، والشر ليس خيرا ولا صوابا، إذن فالله غير موجود! بل لو ذهبنا نسأل الملحد لماذا الشر يدل على عدم وجود الله لما عرف كيف يرد؟ والخلاصة هي أن الملحد في كل انتقاداته وشبهاته لا يمكن أن يكون موضوعيا، ومن ثم، لا يمكن أن يستقيم للملحد طرح الشبهات والانتقادات ما لم يخالف أولا منظومة الرؤية الإلحادية المادية التي يؤمن بها!! ألا يحق لنا إذن أن نقول بأن عقل الملحد كوكتيل تناقضات!!

421. البحث عن الحق

مَن بحث عن الحق وجده ولابد، لأن الله سبحانه يحب أن يعرف عباده الحق، فقد خلقهم بالحق وللحق، ولذلك يسره لهم غاية التيسير. والأصل هنا قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت/69). وهذا القول ليس يعني أن مجرد رفع شعار البحث عن الحق، أو مجرد نية البحث عن الحق، كاف في الاهتداء إلى الحق، بل لابد في البحث عن الحق من اتباع طرق الحق، وإلا كان المآل الحيرة والضلال. ولهذا قال [جاهدوا فينا]، أي جرّدوا طلب الحق لله تعالى ابتغاء مرضاته. ومن المجاهدة التوقي عن نزعات الأهواء الباطنة ورواسب النفس الخفية، فكم من رافض للحق لأنه خالف هواه ورغباته وما نشأ عليه. ثم ذكرت الآية المعية الإلهية للمحسن، تنبيها على أن الباحث عن الحق بطرق الحق خضوعاً للحق، حتى وإن خالف هواه وعاكس مناه وحرمه من لذات دنياه، فإن الله تعالى يجازيه بلطائف المعية المتمثلة في أنواع التوفيق والهداية. نخرج من هذا، إلى أن كل ملحد أو مشرك يقول بأنه باحث عن الحق، ومع ذلك يظل على الإلحاد أو الشرك، فهو كاذب في دعواه، بل إما أنه لا يبحث أساساً أو يبحث ولكن بحسب أهوائه وأوهامه.

422. لا للتعميم

هناك فكرة رائجة، وهي التعميم في الحكم، فترى المرء يكتب أو يتكلم حول موضوع ما، فإذا بكثيرين يقفزون محتجين، ولصوتهم رافعين: لا للتعميم، ظانين أن ذلك من أمارات الفكر الناضج، والموضوعية الواجبة!! لكن هذا الموقف منهم بالحري أنه يدل على غفلة راسخة فيهم عن طبيعة الكلام وأساليب البيان وفنون البحث. فما زال العلماء والمفكرون والفلاسفة منذ قديم الدهر يطلقون كلامهم ويرسلون أحكامهم دون تنبيه على أنهم لا يقصدون شمول الكلام واحتواء الحكم لكل أفراد الموضوع، لأن هذه قضية بديهية عند العقلاء الحكماء، لأن المعتبر في إرسال الحكم الكثرة والانتشار لهذا المعنى الذي أُرسل لأجله الحكم وقيل بسببه الكلام. خذ مثلاً قول الرسول صلى الله عليه وسلم لما تحدث عن احتشاد الأمم على المسلمين في آخر الزمان، قال الصحابة: [يا رسولَ اللهِ! فمِن قِلَّةٍ يَوْمَئِذٍ؟ قال لا، ولكنكم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيْلِ، يُجْعَلُ الْوَهَنُ في قلوبِكم، ويُنْزَعُ الرُّعْبُ من قلوبِ عَدُوِّكم؛ لِحُبِّكُمُ الدنيا وَكَرَاهِيَتِكُم الموتَ]، فهنا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل حكماً عاماً، وهو أن المسلمين سيكونون غثاء كغثاء السيل، بسبب حب الدنيا وكراهية الموت. ولم يكلف صلى الله عليه وسلم نفسه للقول [انتبهوا، فأنا لا أقصد كل أفراد المسلمين، أي إنني لا أعمم هذا الحكم]، لأنه صلى الله عليه وسلم يعلم أن هذا التنبيه يتنزه عنه الحكماء في البيان، ولا يليق أن يخاطَب به العقلاء أمثال الصحابة. بدليل أنه هو صلى الله عليه وسلم نفسه القائل: [لا تَزالُ طائفةٌ من أمَّتي منصورينَ لا يضرُّهم من خذلَهُم حتَّى تقومَ السَّاعةُ]، وواضح أن هذه الطائفة ليست من الغثاء الذي يحب الدنيا ويكره الموت، بل هي تحب الآخرة، زاهدة في الدنيا، ناضجة في تفكيرها، واعية بواقعها وتحدياته . فكما ترى، فظاهر الحديثين متناقض عندما نفكر فيه تفكير أصحاب مبدأ [لا للتعميم]، ولكن بالنسبة للمتمرس بالدرس والبحث، والمترقي في مدارج النظر والفهم لأساليب البيان، لا يوجد تناقض. ولهذا لا تدعهم يشوشون عليك بـ [فيتو] لا للتعميم!

423. ظلم الحكومات وفجور النساء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿صِنْفانِ مِن أهْلِ النّارِ لَمْ أرَهُما: قَوْمٌ معهُمْ سِياطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بها النّاسَ. ونِساءٌ كاسِياتٌ عارِياتٌ مُمِيلاتٌ مائِلاتٌ، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، ولا يَجِدْنَ رِيحَها﴾ (صحيح مسلم). هذا الحديث يتحدث عن غيب من غيوب المستقبل بالنسبة لعصر النبوة، وهو يتعلق بصنفين من

أصناف أهل النار لم يكونا في زمن النبوة، لكن، أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنهما سيأتيان بعدُ. وهما: (حكام جورة ظلمة)، يعاملون الناس معاملة العبيد، ويسلطون عليهم أعوانهم من الشُرط والعسكر ليذيقوهم سوء العذاب، وكذلك الإداريين ليعقدوا عليهم مصالحهم وشؤونهم. و(نساء كاسيات شكلا عاريات مضمونا وحقيقة)، فلباسهن يكشف ويصف ويرسم كل شيء فيهن، فهن عملياً عاريات، وحقيقتهن الانحراف والفسوق، وأهدافهن هي فتنة الرجال وإثارتهم. وهذان الصنفان كلاهما من حطب جهنم، والويل ينتظرهم فيها، بسبب ما فعلوه في المجتمعات المسلمة، هؤلاء من الظلم والاستعباد، وهؤلاء من الفجور والفسوق . لكن، ما هي العلاقة بين الطرفين حتى قرن بينهما النبي صلى الله عليه وسلم؟ تتجلى هذه العلاقة في كون الطرفين مثل السبب والنتيجة: الحكام الظلمة سبب، والنساء الفاجرات نتيجة، وذلك لأن تسليط الظلم على الشعوب يغرس في نفوس الرجال مع مرور الوقت الذل والمهانة والخنوع، ومن ثم ينزع منه خُلق الغيرة والفضيلة والشجاعة، وحين تُنزع هذه الفضائل وتُغرس تلك الرذائل تكون النتيجة الحتمية لذلك هي فسوق النساء وفجورهن، وانصباغ نفوسهن بالميوعة والانحراف، والانغماس في الشهوات والماديات. وبهذا تتشكل الهيئة الاجتماعية العامة بالميوعة والخنوثة، فلا الرجال رجال ولا النساء نساء، خصوصاً وأن الحكومة الطاغوتية يناسبها جداً هذا الوضع لأنه من أسباب إبقاء المجتمع تحت السيطرة. فخرج من هذا، أن هذا الحديث النبوي من علامات النبوة ودلائلها الساطعة، حول ما سيحدث للأمة من ابتعاد عن منهاج الدين، وانسلاخ عن القيم الإسلامية، وشيوع الفساد والميوعة والخنوثة فيها، وهذا ما نشهده في عصرنا باطراد خلال المائة عام الأخيرة، وما يزال الأمر يزداد فساداً وضلالاً واختلالاً، ولا ندري إلى أين سيصل الأمر، وإلى الله عاقبة الأمور.

424. أعقل المؤمنين

أعقل الناس المتقلل من الدنيا، الطموح إلى الآخرة، الذاكر للموت، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أي المؤمنين أكيس؟ فقال: أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له استعداداً﴾. وإنما كان هذا أعقل المؤمنين، للمعاني التالية: **(أولاً)** لأن الموت مصير كل إنسان، فالعقل يوجب الاهتمام بهذا المصير الحتمي. **(ثانياً)** لأن الموت لا يستأذن على أحد، وليس له وقت محدد، فالعقل الاستعداد له. **(ثالثاً)** لأن الدنيا مهما عظمت بين يدي العبد فإنه ذاهب عنها وهي مدبرة عنه، فالعقل عدم الانغماس فيها. **(رابعاً)**

لأن الآخرة لابد منها، وهي جنة أبدية أو نار أبدية، فالعقل إيثار النعيم الأبدي على العذاب الأبدي. وسأضرب لك مثالاً: لو قيل بعد أسبوع فقط لديك موعد مع ملك البلاد في قصره، أليس ستبذل ما في وسعك في الاستعداد لهذا اللقاء العظيم، فتختار اللباس اللائق، وتفكر في طريقة الكلام، وتتأمل ما تجيب به أسئلة الملك، وغير ذلك؟ فقس لقاء الله تعالى بعد الموت على هذا ! ولو قيل لك بعد شهر ستنتقل إلى منزل فخم تفضل به لك أحد النبلاء، هدية منه لك، أترى أنك ستبالي كثيراً بالبيت الذي تسكنه في حاضرك! بل لا تكاد تهتم به أصلاً لأنك على علم أنك بعد شهر تذهب وتتركه. فقس قصور الجنة ودنياك على هذا المثال!

425. غاية الإسلام مع العبد

غاية الإسلام أنه يعطيك شيئين: (العلم الحق) و (العمل الحق). والعلم الحق هو: المعرفة بالله تعالى، والقضاء والقدر، وعالم الغيب، وأصل الإنسان ودوره ومصيره، والجنة والنار، والرؤية القيمية للعالم. وأما العمل الحق فهو رسم الطريق نحو السعادة الدنيوية والأخروية، سواء ما تعلق بالله من الشعائر، أو ما تعلق بتهذيب النفس، أو ما تعلق بتدبير المجتمع. وإنما كان الأمر كذلك، لأن الله سبحانه أعلم بما خلق، فقوله الحق، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، خلق الإنسان لغاية عظيمة، ولذلك قدّم له نظام الحق بأجلى برهان وأوضح بيان، بما يناسب عقله وفطرته ومهمته في الحياة ومصيره بعد الممات. ومن هنا، فالعبد بقدر ما يمتلئ ويتحقق من (العلم الحق) و(العمل الحق)، يترقى في مدارج الحكمة. أما غير ذلك مما قد يقدمه البشر من فلسفة ودين ومذهب، فيستحيل أن ينفصل عن عجز البشر، وجهل البشر، وقصور البشر، وأوهام البشر، وأهواء البشر، فهي أبداً حكمة ناقصة قاصرة عاجزة. وإن المرء ليعجب لإنسان مسلم يقضي عمره بعيداً عن مناهل الوحي، لكن مع الانغماس في درس "فلسفة" البشر ومع ذلك يتوهم أنه يشتغل بالحكمة!!

426. معاني التفكر في الذات والعالم

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم: 8]. خذ من الجمع بين التفكر في ذات الإنسان، وبين خلق

العالم بالحق، القواسم المشتركة الآتية: **(أولاً)** كل ما في الوجود سوى الله تعالى مخلوق. **(ثانياً)** الإنسان والعالم كائنان بعد العدم، فهما مخلوقان غير أزليين. **(ثالثاً)** دلائل النظم في الإنسان والعالم دالة على وجود خالقه تعالى. **(رابعاً)** الأصل في الإنسان والعالم الفناء بحكم معنى المخلوقية فيهما. **(خامساً)** الأبدية لله وحده، أما أشياء الوجود فلا ديمومة لها إلا ما شاء الله، كالجنة والعرش والإنسان والملائكة. **(سادساً)** الإنسان والعالم موجودان بالحق وللحق، فلا عبث فيهما، والجهل بتفاصيل الغايات الإلهية لا ينفي وجودها. **(سابعاً)** طبيعة الإنسان والعالم تحيل أن يكون الموت نهاية الرحلة، بل تؤكد على أن هناك عالما آخر بعد الموت. فسبحان من كان بكمال أسمائه وصفاته ولم يكن شيء قبله، ولم يكن شيء معه، ثم خلق الخلق كيف شاء، وبث فيه من عجائب الصنعة ودقائق النظم وبدائع الآيات ونفحات الجمال ما أبهر العقول النقية وملأ هيبة النفوس الزكية.

427. موانع قبول الحق

من أعظم أسباب عدم قبول الحق واتباعه، خذلان الله تعالى للعبد، يقول تبارك شأنه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (الكهف/57) أي إن هذا الخذلان الإلهي لهؤلاء، حتى إن قلوبهم لا تعي وعقولهم لا تستوعب، فتشكل بينهم وبين الحق حجاب كثيف، فلم يعد بعد في إمكانهم قبول الحق والاهتداء إليه واتباع سبيله، هذا الخذلان له سببان: **(أولهما)** هو الإعراض عن آيات الله تعالى وحججه المفصلة في الوحي [القرآن والسنة]. والإعراض هنا يكون كليا، كالملاحدة والنصارى والمنافقين، وقد يكون جزئيا بالتحريف والتعطيل، كالمبتدعة ممن يقدم معقولاته وأذواقه وشيوخه على الوحي. **(ثانيهما)** هو الذنوب والمعاصي والآثام، سواء الباطنة القلبية، كالكبر والعجب والغرور والشك في كمال الشريعة ونظام الوحي، أو الظاهرة السلوكية، كالغيبة وترك الفرائض والزنا والربا. فالذنوب كلما تكاثرت شكّلت على القلب ظلمات تمنع عنه النور. والوحي جاء بالتفصيل والبيان في الحجة والبرهان، سواء في المطالب العلمية المتعلقة بمعرفة الله والرسول والقيم والآخرة، أو المطالب العملية المتعلقة بإطار السلوك والتنظيم وضبط الأعمال. وبهذا وهذا قامت الحجة على الإنسان، والعبد بقدر ما يكون معه من فهم الوحي والتسليم له واتباعه، يكون له من النور في عقله وقلبه وحياته.

428. كل إنسان مبتلى

العبد لا يخلو في جميع أوقاته وأحواله من البلاء، لأنه أساساً لم يُخلق في الدنيا إلا للبلاء، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ (الملك/2). والعبد بما أنه مخلوق للآخرة الباقية وليس للدنيا الفانية، مطالب بشكر النعم والصبر على النقم، وإحسان الظن بالله في السراء والضراء. هذه الثلاثة "الشكر"، و"الصبر"، و"حسن الظن"، أجنحة العبد إلى واجبات العبودية والترقي للقيام بحقوق الألوهية، وهي نفسها مفاتيح اللطائف والأنوار، والتوفيق والتأييد. والعاقل مهما تأمل وجد أن الدنيا مطبوعة على البلاء، فكل الناس مبتلى، مؤمنهم وكافرهم، مطيعهم وعاصيهم، ثم ينظر فيجد أن هذه الدنيا مهما طالت فهي إلى فناء وزوال، وأن الآخرة هي الخلود السرمدي، فتكون الآخرة أعظم عزاء له مما يصيبه من البلاء واللأواء، والظلم والحيف، والضغوط والشدائد. ولذلك لا أفضل من التفكر في أسرار حكمة الله تعالى في نظام الدنيا والآخرة، فهذا التفكر كما أنه يمنح العزاء والمواساة والصمود والأمل، فإنه يمنح القدرة على رؤية تلك المعاني الخفية التي لا ترى بالبصر بل بالبصيرة، وتلك الروابط الدقيقة التي تصل ظاهر الحياة بباطنها. ولهذا كان الصالحون يكثرون من الذكر والفكر، إذ كلاهما قوة وارتقاء، وكلاهما مواساة وعزاء، وكلاهما يتجاوز بالعبد حدود الدنيا إلى فضاء الآخرة الرحيب، وإلى الله عاقبة الأمور.

429. الدراسة ليست كل شيء

ينبغي على الوالدين العاقلين أن يرسخوا في ذهن ابنهم أن الدراسة مجرد خيار ضمن خيارات أخرى للنجاح والسعادة في الحياة، فالدراسة لا تعطي ذكاء ولا حكمة ولا خبرة. وهذا يعني أنه حتى وإن لم يحقق نتائج مرضية دراسياً فلن تكون النهاية، لأنها مجرد خيار ضمن خيارات، طريق من الطرق، وليست كل الخيارات ولا كل الطرق. أما ما يقوم به اليوم كثير من الآباء منذ طفولة ابنهم، حول ترسيخ فكرة الربط بين النجاح المدرسي وبين السعادة والنجاح في الحياة، فخطأ شنيع وأسلوب كارثي في التربية، لأن هذا الابن سيكبر وهو يقوم قيمته بمدى نجاحه الدراسي، ثم سيربط تلقائياً سعادته بالحصول على وظيفة ذات مرتب جيد. وهذا ما يخلق فيه هشاشة نفسية شديدة، تؤثر بالغ التأثير على شخصيته ونظرته لنفسه وللمجتمع وللحياة، وأدنى مظاهر ذلك، أنه حتى لو كانت لديه موهبة لا تتصل بالدراسة فإنها ستظل خامدة ساكنة. الله سبحانه خلق العقول والنفوس باستعدادات مختلفة، ووزع بينهم مواهب شتى وقدراته متباينة، فلماذا

يتسبب الوالدين في شقاء ابنهما! ولهذا صرت ترى شباباً يكادون يفقدون عقولهم لأنهم لم ينجحوا في دراستهم أو لم يحصلوا على وظيفة جيدة، كأن الحياة ستتوقف جرّاء ذلك، وهذا لما ذكرتُ من أنهم ترسخ فيهم الربط بين الدراسة والنجاح والسعادة في الحياة.

430. أهمية قراءة التاريخ

من الخطأ الظن بأن قراءة التاريخ لا تفيد طالب العلم شيئاً، فطالب العلم حين يتجاوز التوقف عند جزئيات الأحداث، وينظر لحركة التاريخ والأحداث نظرة شمولية، فلا شك أنه يكتسب عظيم الفائدة، يمكن أن نذكر: منها معرفة تجليات أسماء الله وصفاته في حركة التاريخ ونشاط الأحداث. ومنها معرفة ثبات النزعات الإنسانية وأنها واحدة في كل زمان ومكان. ومنها معرفة سنن الله تعالى الحاكمة والضابطة لحركة التاريخ والمجتمعات والشعوب. ومنها معرفة مآلات اتباع الحق واتباع الباطل في واقع الناس. ومنها معرفة أن هذه الدنيا بنيت على البلاء وأنها مهما أعطت سلبت أكثر. ومنها معرفة الأسباب الكامنة وراء انهيار الأمم والحضارات، كالحضارة الإسلامية وغيرها. ومنها الاستبصار بأن معركة الحق والباطل لا تزال منذ كانت البشرية، وأن الحق منتصر مهما طالت جولة انتصار الباطل. وغير هذا من المقاصد، ولبعض ما ذكرت ما زال الله تعالى يعرض علينا في القرآن قصصا من التاريخ، ويحثنا على تأمل التاريخ، فلو لم يكن فيه عظيم الفائدة وكبير المنفعة لما كان لذلك معنى، فالله سبحانه أجل وأعظم من أن يلفت أنظارنا لما لا يعود علينا بالفائدة. ولكن هذا لا يكون بالتوقف عند الأحداث الجزئية والانصهار فيها، فهذا شأن الفارغين أو الماكرين، كما لا يكون بالنظر إلى التاريخ بلا معايير ثابتة وواضحة يمكن في إطارها قراءة الأحداث ورؤية مسار الأحداث.

431. التدين لله وحده

عندما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كان وقع الصدمة شديداً على عموم الصحابة ﭫ، حتى جاء أبو بكر الصدّيق _وقد غاباً لحظة موت النبي الأكرم_ فخطب فيهم قائلا: «مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ». وهذه كلمة _لَعَمْر الحق_ بارعة جداً، وعميقة جداً، عليها أثر نور النبوة! فإنك من أية جهة نظرت فيها ألفيت معنى

توثيق صلة المسلم بخالقه ساطعاً، فمَن كان قد أسلم لأجل محمد، فمحمد بشر، يموت كما يموت البشر، ومَن كان اتخذ محمداً واسطة بينه وخالقه، فإن الله حي لا يموت، وهل جاء محمد إلا لتحقيق هذه الغاية: توثيق صلة الإنسان بخالقه: تعرفاً عليه وتعبداً له وشوقاً إليه! ولهذا جدير بالشباب الملتزم اليوم أن تكون هذه الحقيقة بيّنة في عقولهم، وراسخة في نفوسهم، خصوصاً بعد موجة السقوط لبعض الرموز، وموجة الامتحان لآخرين. فكم من شباب سقطوا ورجعوا على أدبارهم لأن الشيخ الفلاني الذي ارتبطوا به نفسياً ساير الحكومة الظالمة! وكم من شباب تسلل إليهم الشك حتى في تدينهم لأن الشيخ الفلاني لم يقل كلمة الحق صريحة صارخة في وجه الحكومة الظالمة! يحتاج الشباب اليوم لبناء دينهم بناء سليماً متيناً، قوياً راسخاً، ومن أهم ذلك، أن يستوعبوا أن العلماء والمشايخ (مجرد وسائل) لتحقيق هذا البناء، فهذا من شأنه أن يعصمهم من التأثر السلبي لو ابتلي بعض هؤلاء العلماء والمشايخ، فعجزوا عن كلمة الفصل، أو ساير بعضهم الرئيس وكال له المديح. وأقول لك كلمة واحدة: مَن كان متديناً لأجل الشيخ فلان، فإن الشيخ فلان قد يسقط وقد يُفتن، ومَن كان متديناً لله، فإن الله حي لا يموت.

432. السؤال عن أدلة وجود الله

كثيرون يسألون عن أدلة وجود الله، لكن، قليلون يسألون عن متطلبات وجود الله! والواقع أن النبوات الإلهية الصحيحة كلها لم تقف عند أدلة وجود الله، بل كان اهتمامها ورسالتها هي متطلبات وجود الله، وهي إفراد الله بالعبادة والتشريع. ذلك لأن مبدأ وجود الله تعالى، مبدأ راسخ في الفطرة، أصيل في العقل، فهو وجود تحتمه طبيعة التكوين الإدراكي والنفسي والأخلاقي والاجتماعي في الإنسان، كما تحتمه طبيعة الحياة والكون بما فيه من أشخاص وأشياء وعناصر ومشاهد. وحتى القرآن الكريم الذي لم يتحدث كتاب إلهي عن الله مثل حديثه، فهو حين يستعرض التاريخ والنفس والكون، فلا يفعل ذلك لإثبات وجود الله بالمقصد الأول، بل لكي يملأ الوعي والوجدان، العقل والضمير، بحضور الله تعالى، بكماله وجلاله وجماله، ولذلك يركز كثيراً على الأسماء والصفات في هذه السياقات المختلفة، أي إن القرآن يعمل على الارتقاء بالمتلقي من الغفلة عن كمال الله وعظمته وجلاله، إلى أفق الشهود الإلهي في الكون والحياة والنفس والتاريخ بما له من كمال وجلال وجمال. ولا شك أن هذا المقصد لحديث القرآن عن الله تعالى، يفعم النفس بالهيبة، ويفيض في الوعي الرؤية الصحيحة، ويضفي على الحياة القيمة والقداسة والمسؤولة.

433. جريمة الانتحار

الانتحار في المجتمعات الإسلامية أقل بكثير منه في المجتمعات الأخرى، لكن، يبقى وجود الانتحار في المجتمعات الإسلامية طارئاً وغريباً وعجيباً كذلك، حتى إنه يمكن القول بأنه صار ظاهرة فيها مقارنة بالمجتمعات الإسلامية الخالية! وعوامل هذا الأمر وأسبابه تتلخص في قلة الدين وضعف اليقين والجهل بأبجديات العقيدة الإسلامية وهشاشة النفوس وطغيان الظلمات عليها وغياب الآخرة عنها. لهذا صرنا نسمع (فتاة انتحرت لأن الشخص الذي وعدها بالزواج تخلى عنها)، (أب انتحر لأنه عجز عن توفير مستوى معيشة حسنة لأهله وأبنائه)، (شاب انتحر لأنه لم يجد وظيفة محترمة)، وما يشبه هذا الذي حين التأمل تجده راجعاً إلى أسباب مادية وضغوط نفسية وعراقيل اقتصادية! ولهذا كان الانتحار في الإسلام كبيرة من الكبائر وجريمة شنعاء صاحبها متوعدٌ عليها بالنار والعذاب، إلا أن يعفو الله. وهذا لأن قاتل نفسه هو عملياً دخل في مواجهة مع ربه سبحانه، فلم يرض بقدره، وعدم الرضا يتضمن التشكيك في عدله وكماله ورحمته وحكمته.

434. نفي الحكمة والتعليل

إذا كان للحياة معنى وقداسة، فلأن الله سبحانه قد خلقها كذلك. أما أن تنفي يكون الله تعالى قد خلق الحياة والعالم بلا حكمة ولا قصد وغاية فيعني أنك تنفي أن يكون هناك معنى وغاية في الحياة!! وهذا التلازم بين الأمرين هو جوهر الإلحاد، فلا يمكن للملحد أن يقول بالغاية والمعنى، لأنه يفهم أن ذلك يقتضي بالضرورة القول بوجود الإله الخالق!! ولهذا؛ فإذا كان خالق العالم قد خلقه بمحض الإرادة، ولم تكن له حكمة ولا غاية ولا قصد من ذلك، إذن بالنسبة للإنسان لا معنى للبحث عن المعنى، ولا للعيش حياة المعنى!! غير أن النتيجة المترتبة على هذا هي السقوط في قبضة النسبية المعرفية والسيولة الأخلاقية، فمع انتفاء الغاية تنتفي المرجعية، وتختفي المعايير، ومن ثم لا حق ولا باطل، ولا حقيقة ولا وهم!! إذن لا يمكن أن تقنعني بأن الله تعالى خلق بلا غاية ولا حكمة، ثم تطالبني بأن أعيش حياتي في إطار السمو والنبالة والقداسة، فكما أن الخالق فعل بمحض الإرادة، فالمنطقي أن أفعل أنا أيضاً بمحض الإرادة!! ولا يمكن أن تقنعني بأن الله خلق بلا غاية ولا علة، ثم تطالبني بالإيمان بالقضاء والقدر، وتعزيني به كلما ألمت بي مصيبة أو نزل بي بلاء، لأن هذا الإيمان والعزاء يتطلب أن تكون هناك حكمة وتعليل، وإلا فالأمر مجرد عبث!!

وفي عالم أتحرك فيه بمجرد الإرادة، كيف يحق لك مطالبتي بعبادة هذا الإله والتزام نظام تشريعاته وأحكامه وآدابه في نشاطات الحياة، فوفق الخلق بلا تعليل ولا غاية سيكون نظام الوحي بلا معنى ولا غاية!!

435. نقد الفكرة وحاملها

مقولة (انتقد الفكرة لا الشخص)، مدخل لتمييع المفاهيم وإذابة التمايزات العقدية والفكرية بين الأطراف. والنبوات إنما جاءت لتحقيق هذا الفرقان والتمايز، ولذلك لم يترددوا في انتقاد الأفكار كما الأشخاص، بل إن الله سبحانه نفسه نهج هذا المنهج في مواضع من القرآن الكريم، فقد ذكر الكفار والمشركين والمنافقين والفساق والمستكبرين. ولو صحت هذه المقولة، لجاز إذن انتقاد الكفر والإلحاد دون التطرّق للكافر والملحد، ولجاز انتقاد الزنا والفجور والرشوة والسرقة والظلم دون التطرق للمتلبسين بهذا كله، بل ولما صح الحكم على الكافر والملحد والفاسد بالعذاب في الآخرة! إنّ منطلق الحداثيين في الترويج لهذه الفكرة هو اعتقادهم نسبية الحقيقة، وألا فرق بين الوحي الإلهي، وبين النظر الفكري للأشخاص، وهذا هدم للشرائع وتعطيل للوحي! إن التحذير من الأشخاص تحذيرٌ من أفكارهم، فالفكرة لا تنفصل عن حاملها، ولكل فكرة يُروّج لها آثار في واقع الأفراد والمجتمعات.

436. أهمية الدولة للإسلام والمسلمين

مطلب الدولة الإسلامية من المطالب الأساسية للإسلام. ذلك لأنّ المعركة بين الحق والباطل، بين الإسلام والجاهلية، بين التوحيد والكفر، لا يمكن أن تتوقف إلا عند قيام الساعة. وإذ كان الأمر كذلك، فلابد للحق من قوة ضاربة تحميه من بطش الباطل وزبانيته، وتفسح المجال للمسلمين لممارسة تعاليم دينهم ولوازم عقيدتهم بيسر وسهولة وأمان، ولهذا حرص النبي صلى الله عليه وسلم أول انتقاله إلى المدينة على تأسيس دولة خاصة بالمسلمين، لها جيش خاص، ونُظم خاصة، وليس ذلك إلا لما قلت من أن وجود الدولة مهم جداً للإسلام والمسلمين، لمجابهة الباطل والوثنية، ولتوفير الأجواء المناسبة لممارسة القيم الإسلامية عملياً. ولقد أدركت عصابة الباطل وكهنة العلمانية وحرّاس الصليبية العالمية هذه الحقيقة؛ فحرصوا أشد الحرص على فصل المسلم عن هذا المطلب، بعد أن تم إسقاط الخلافة الإسلامية نهائياً قبل مائة عام، كما جهدوا بكل خبث ومكر لتمييع الأسس العقدية والتشريعية التي تحث على ضرورة إنشاء قوة ضاربة ضد

أعداء الحق والتوحيد والإسلام. وعجيب بعد هذا؛ أن نجد بعض المشايخ يرفعون شعار فصل الإسلام عن الدولة، ويهونون من مطلب السعي لإنشائها وتحقيقها!

437. دلالة الصيام

في رمضان يمتنع المسلم باختياره الحر عن الاستجابة لرغبة الأكل والشرب والجماع، فكان في ذلك دلالة على أن الإنسان ليس هذه الكومة المادية المنتصبة (الجسد)، بل هو في جوهره عنصر آخر لديه القدرة لاختراق المادة وتجاوز رغباتها، وأن وعيه مستقل عن حتمية الخضوع للواقع والحس الخارجي. إن الصيام يبرهن على حرية الإرادة التي يتمتع بها الإنسان، وهي الحقيقة التي لا معنى لها في عالم مادي جبري صلب، كما ينشر أنصار المادية والإلحاد المعاصر. كما أن الصيام يُترجم فاعلية الإيمان وقدرته الخلاقة في شخصية الإنسان وواقع الحياة، فلولا الإيمان لما استطاع المسلم أن يتجاوز حدود المادة ويخترق سياج الواقع. ولعل هذه المعاني الكامنة في الصيام هي التي جعلت الإسلام يُعظمه جدّاً ويُنوّه بشأنه ويكشف عن علو منزلة أهله، لأن خلاصة الصيام هي تحقيق الانتصار على الهوى وشهوات النفس، وهما مقصدان شريفان للشريعة.

438. معجزة القرآن الكريم

من مظاهر رحمة الله تعالى للعباد، أنه خلال التاريخ الطويل كان يرسل كل مرة أنبياء لهداية الإنسان ويؤيدهم بمعجزات لكيلا يتردد المتلقي في صحة نبواتهم. أما بعد البعثة المحمدية فقد قضى أن يكون رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم آخر رسله وكتابه آخر شرائعه. ومن هنا كان بقاء القرآن الكريم إلى يوم القيامة بمنزلة إرسال الأنبياء بين الأمم في العصور السالفة. كما أنّ كشف الله تعالى لآياته في الكون والحياة والآفاق بمنزلة معجزات الأنبياء التي جاؤوا بها لإثبات نبواتهم. قال سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت/53)، فتأمل هذا الحرف (حتى يتبيّن لهم)، أي هناك قصد إلهي من وراء هذا الكشف والإراءة، وأن ذلك سيتم تكثيفه بشكل متواصل حتى تسطع الدلائل والبراهين بصورة لا لبس فيها على وجود الله ﷻ والنبوة المحمدية. فسبحان من قطع أعذار الخلق بحججه الباهرة وبراهينه الظاهرة.

439. كثرة الأنبياء عليهم السلام

يتساءل بعض الشباب عن حكمة كثرة الأنبياء؟ والحقيقة أن أعداد الأنبياء مقارنة مع القرون الطويلة للبشرية تعتبر نسبة قليلة جدّاً، ولهذا إذا فهمنا مقاصد بعثة الرسل زالت الحيرة. يمكن حصر هذه المقاصد في (1) **مقصد الحجة**، الله سبحانه يحب إقامة الحجة على الناس ليقطع بذلك أعذارهم يوم القيامة. (2) **مقصد الهداية**، من رحمة الله سبحانه أنه لم يترك الإنسان لعقله للأسئلة الكبرى بل دعمه بالوحي. (3) **مقصد التزكية**، لا تستقيم شخصية الإنسان روحاً وقلباً إلا بالتزكية من الآفات الباطنة الموبقة. هذه المقاصد مرتبطة بشكل وثيق بالغاية من خلق الإنسان التي حددها خالق الإنسان نفسه في العبادة بمفهومها الشامل. فكان إرسال الرسل مهما لتعريف الإنسان بهذه الغاية العظيمة، لأنّ مصير الإنسان في الآخرة مترتب على مدى وفائه بتلك الغاية في الدنيا. ولهذا ما زال سبحانه يرسل الرسل لتظل حجته قائمة على الإنسان عبر التاريخ.

440. حقيقة معركة العلمانية العربية

لا تستطيع العلمانية العربية أن تنفي الانفصال عن الرؤية الغربية ونمط الحياة الغربية، وأنها فعلاً تسعى لربط الفرد المسلم بتلك الرؤية وذلك النمط، باعتبار أن الغرب هو النموذج والمثال والمتعالي والمقدس، فلا حضارة إلا باقتفاء آثاره، ولا ازدهار إلا بتبني رؤاه، ولا قيمة إلا بالخضوع له! ولهذا؛ فكل ذلك الصراخ حول ضرورة نقد الفكر الديني الذي يلهج به هؤلاء الملاحدة الأخفياء أعني الذين يرفعون شعار العلمانية والحداثة، إنما يعكس وعيهم وإدراكهم لأهمية الإسلام في حياة الشعوب المسلمة، وأنه العقبة الكؤود التي تحول بينهم وبين أحلامهم المقدسة، أي الانصهار في الرؤية الغربية ونمط حياتها. ولهذا؛ فالقضية ليست في تحقيق التقدم والتطور والازدهار كما يزعمون، بل القضية في جوهرها وغايتها، هي قضية معركة بين عقيدة الوحي الرباني وعقيدة المادية المستكبرة! وإلا فقد عاش المسلمون لقرون طويلة وهم سادة العالم في التقدم والتقنية والحضارة دون أن يقطعوا صلتهم بدينهم، بل بالحري أنه كان المؤطر لكل نشاطات حياتهم.

441. الأصل في فطرة الإنسان

الأصل في الإنسان أنه خيّر. ولذلك يميل بفطرته إلى الإقرار بوجود الخالق، ويحب الحق، وينزع نحو الجمال، وينجذب إلى محاسن الأخلاق، ويحب الصدق والعدل، ويطلب النظام والتصميم، كما أنه يكره

الكذب وينفر من الظلم، وينزعج من الأشياء الفوضى والعبثية، ويعارض الاستبداد والطغيان. ولهذا المعنى تجد الله تعالى في القرآن دائماً يحاكمك إلى عقلك، ويطالبك بالتأمل والتفكير في الوجود والحياة، لأن الفطرة العقلية في الإنسان مبنية في أصلها على الحق، ومحبة الحق، والخضوع للحق. والنبوات دورها تثوير الفطرة الخيّرة في الإنسان، ولذلك جاءت بمنظومة عقدية وتشريعية لتحقيق هذا المقصد الشريف، وتضييق مجال الشر في سلوكيات الفرد والمجتمع. أما الشر في الإنسان فهو يحدث لوجود قابلية السقوط فيه، وهذه القابلية مرتبطة بمقصد الابتلاء الذي خُلق له الإنسان، فتأتي العوامل الخارجية، مثل البيئة الأسرية والاجتماعية، وتُحفز هذا الاستعداد وتفتح الباب له. ولذلك وضعت الشريعة شديد العقوبة على كل مَن يسهّل السقوط في الشر على الفرد والمجتمع، مثل تزيين الزنا وترويج الخمور والمخدرات، ومثل إشاعة مفسدات العقل والإيمان، ومثل الظلم والطغيان والاستبداد.

442. من جماليات الإسلام

من أجمل ما في الإسلام ــوكله جمالــ أنه يمنح حياة المسلم القيمة ويضفي عليها المعنى. وهذا ما يجعل المسلم ــحين يكون واعياً بالأبعاد الرحيبة للإسلامــ يعيش في إطار واسع وعميق وممتد، يتجاوز اللحظة والذات والأرض والدنيا، إلى الملكوت الأعلى والسماء والخلود. عكس العقيدة الإلحادية التي تسحب عن حياة الملحد القيمة والمعنى والقداسة والغاية، وهذا ما يقذف به إلى العراء، وإلى الاغتراب، وإلى الفوضى، ومن ثم يجد الملحد نفسه مضطراً لأن يعيش في إطار ضيق وضحل ومختزل، داخل اللحظة والذات وفي حدود الأرض والدنيا! وأنت إذا نظرت في أساس الاختلاف بين العقيدتين وآثارهما، وجدتَ أن الأمر مرتبط بطبيعة النظرة للإنسان، من حيث أصله ودوره ومصيره. فالإسلام يتعامل مع الإنسان على أساس أنه مخلوق مكرّم، وله منزلة كبيرة في الوجود، أما الإلحاد فيتعامل معه على أساس أنه مجرد وسخ مادي متطور!

443. شروط السعادة الزوجية

كل سعادة يطمح إليها الإنسان لابد لها من شروط، وبقدر ما تتوفر تكون مساحتها واسعة، وبقدر ما تقل تكون مساحتها ضيقة. ولأن السعادة الزوجية لا تند عن هذا القانون، فالزوجان يحتاجان للتالي:

(وضوح الرؤية) أي أن تكون لديهما فكرة واضحة عن الغاية التي ينشدانها في هذه الحياة، ولذا فالتّعلم الدائم والتثقيف حول موضوع محاور الزواج وأسلوب التعامل، ضروري. **(التصميم الثابت)** أي أن تكون لديهما رغبة عارمة وتصميم أكيد، بل والقدرة الكبيرة على التضحية بكل ما يمكن أن يصدهما عن تحقيق السعادة والاستقرار بينهما. **(الممارسة المستمرة)** أي أن يكون لديهما حرص كبير على ممارسة واستغلال كل ما من شأنه أن يجلب السعادة والاستقرار بينهما. وأنت إذا راجعت العلاقات الزوجية الفاشلة ستكتشف افتقداها لهذه العناصر الثلاثة أو بعضها.

444. بين الذكاء والعلم وبين الهداية

العقل والذكاء والتوسع في دارسة العلوم المختلفة؛ كل هذا لا يمنع أن يكون صاحبه تائهاً في أودية الضلال والفساد العقدي، فضلاً عن المسار السلوكي والأخلاقي! وواقع كثير من الفلاسفة والمفكرين وقادة الرأي والتوجيه خلال تاريخ البشرية، وفي مختلف الحضارة والمجتمعات، يؤكد هذه الحقيقة! ولما غفل جمهور واسع من شبابنا عن هذا الحقيقة، كان ذلك من أعظم أسباب سقوطهم في الفتن وانزلاقهم إلى مهاوي الشبهات، لاعتقادهم وجود تلازم وثيق بين الذكاء وسعة الاطلاع المعرفي والعلمي، وبين إدراك الحق وقبوله واتّباعه والخضوع له! فلدينا عباقرة الهند واليابان والصين، كما لدينا عباقرة روسيا والغرب عموماً، ومع ذكائهم وسعة دائرة اطلاعهم، إلا أنّ كل واحد منهم متمسك بعقيدة ديانته أو مذهب أيديولوجيته، وهذا يؤكد على أنّ هناك موانع تحول بين الإنسان وقبول الحق أو البحث عنه، منها الأهواء النفسية، وحب الشهرة، والحرص على المال، ومنها سلطان بيئة الأسرة والمجتمع! ومنها الغرور والكبر وحب التمرد! وغير ذلك كثير!

445. الطريق نحو القمة

من مبادئ النجاح أن تتابع طريقك نحو القمة؛ وألا تلتفت للمنتقدين ولمن لا يعرفون سوى الثرثرة الفارغة أو الإحباط العاجز أو الحسد الفاجر! فهؤلاء المصابون بهذه الآفات ينزعجون شديد الانزعاج من رؤية الناجحين! ينبغي أن تدرك أنك في الحياة دائماً ستكتشف أنّ بعض الناس سيرونك عظيماً، وبعضهم سيرونك وسطاً، وبعضهم سيرونك تافهاً! وإذ كان الأمر كذلك؛ فجدير أن تفهم بأنّ رضا الناس غاية لا

يجب طلبها والبحث عنها. وتذكر أنه ليس كل مَن انتقدك فقد أصاب، كما أنه ليس كل مَن انتقدك فقد أخلص! فكم من مجد في النقد وهو مخطئ لخلل في تصوراته، وكم من مجد في النقد وهو حاسد لك أو ناقم عليك لسبب ما! هذه ليست دعوة لأن تسمح للعجب وأوهام الكمال في التفكير والتخطيط والممارسة، أن تغزو نفسك وتهيمن على ذهنك، بل هي دعوة للانتباه لمن ينبغي أن تلقي إليه السمع حين ينتقدك، لأن النقد الإيجابي البنّاء عنصر فعّال في تطوير النفس، وتحقيق الأهداف، والتقليل من الأخطاء، وتفادي المزالق.

446. أين الله تعالى من واقعنا!

أحد أبرز الأسئلة التي تروج بين الشباب اليوم، سؤال (أين الله مما يجري للمسلمين هنا وهناك؟). والحقيقة أن هذا السؤال يكشف عن قصور إدراك هؤلاء الشباب للعقيدة الإسلامية ومبادئها! وأنا دائماً أتعجب من إلقاء الأمر على الله سبحانه وإعفاء النفس من تحمل مسؤوليتها! ينسى هؤلاء أن الله سبحانه خلق الدنيا للابتلاء، وأنزل وحيه للالتزام به في نشاطات الحياة، وأمرنا بتحمل المسؤولية، حسب الاستطاعة والإمكانيات، أما الجزاء النهائي فلا يكون إلا يوم القيامة، إما الجنة أو النار! ومن هنا؛ فالمسلم الواعي بالعقيدة والمبادئ الإسلامية، لا يسأل ذلك السائل الساذج، بل سؤاله الدائم والمستمر هو (أين قيامنا بواجباتنا والالتزام بمسؤولياتنا انطلاقاً من المنهج الإسلامي في مجريات الأحداث وضغوط الظروف المعاصرة؟). ولهذا يتخذ المسلم الواعي والمطمئن بربه تعالى ما يجري من الابتلاءات والشدائد والضغوط على الأمة، مجالاً للتفكر في عظمة الخالق، ومسرحاً لاستكشاف طبيعة الإنسان وحركة التاريخ وسنن الله في الحياة. أما الجاهل فيكون كل ذلك سبباً لتزلزل إيمانه المهترئ أصلاً وتضعضع يقينه المترهل أساساً، وهنا يجد شياطين الإنس والجن الفرصة للدفع به نحو الردة والحيرة والكفر والضلال والإلحاد!

447. قضية العبيد والإماء

من عجائب هذا العصر؛ أن يتخذ بعض الشباب قضية العبيد والإماء في الإسلام وتاريخ المسلمين من مبررات انتقالهم إلى الإلحاد! علماً أنه حتى لو قلنا بسلبية تعامل الإسلام مع العبيد والإماء، فعلى الأقل لم يبلغ مستوى الإلحاد الذي يعتبر الإنسانَ نفسَه مجرد خردة مادية متطورة، بلا قيمة ولا معنى ولا غاية ولا

قداسة! لقد تعامل الإسلام مع العبيد والإماء من منطلقات محددة، يمكن تلخيصها في التالي: (العبد والأمة كائنان مكرمان إلهياً). (العبد والأمة كائنان مكلفان شرعاً بالأوامر والنواهي). (العبد والأمة كائنان محاسبان يوم القيامة بين يدي الله تعالى). (العبد والأمة منزلتهما في الجنة، مرتبطة بما قدما من العمل في الدنيا). (العبد والأمة في الدنيا مبتلان بالعبودية مثل أي ابتلاء يُبتلى به الناس). (العبد والأمة تُحفظ حقوقهما، فلا يحل لأي مخلوق هضمهم وظلمهم). (العبد والأمة من حقهما الاستمتاع بحياتهما الشخصية في إطار التعاليم الإسلامية). فقارن هذه المنطلقات التي تعامل في إطارها الإسلام مع العبيد والإماء، مع باقي الأديان والفلسفات وسترى النتيجة!

448. أفكار الجهال

من الملاحظ في هذا العصر الفتّان، حرص كثيرين على ترسيخ فكرة منحرفة في عقول الشباب، وهي إيهامهم أن أفكارهم وآراءهم قيمتها قيمة أفكار وآراء أهل العلم والتخصص، بل يحثّونهم على عدم الالتفات إلى هؤلاء وهؤلاء، تحت شعار (عقلي ليس للبيع)، وأن كل شخص يستطيع التفكير والفهم بمجرد عقله وما تطمئن إليه نفسه! ومن هنا صار حتى الجاهل وشبه الجاهل يطرح أفكاره ويعرض آراءه، ثم يطالب الجميع باحترامها لمجرد أن عقله هداه إلى ذلك، وذوقه وإحساسه أكد له ذلك! وكانت النتيجة هي طغيان الآراء المرذولة، ورجحان الأفكار الزائفة، خصوصاً بعد انتشار المدونات الإلكترونية وشيوع وسائل التواصل الاجتماعي! والحقيقة أن هناك آراء من الظلم احترامها! إن عدم احترامنا لآراء هؤلاء؛ نابع من كوننا نحترم ديننا، ونحترم عقولنا، ونحترم الحقيقة، ونحترم الإنسان. ولهذا فنحن أشد الناس احتراماً للرأي الآخر حين يصدر عن أهله، لأن ذلك واجب شرعي قبل أن يكون موقفاً أخلاقيّاً وضرورة أدبية. إن المسلم مسؤول عن كلامه وأفكاره التي يطرحها، وهذا ما يجعله شديد الحرص على ضبط هذه الأفكار والآراء بما يتوافق مع أصول الإسلام وأحكامه.

449. التاريخ من نواقض الإلحاد

يمكن اعتبار التاريخ ناقضاً من نواقض الإلحاد والرؤية المادية؛ باعتبار أن التاريخ يعكس تمتع الإنسان بالحرية وقدرته على الفعل، كما يعكس قدرته على تجاوز الواقع المادي واختراقه والتفاعل معه بمنطق فوق

مادي تفكيراً وشعوراً وسلوكاً وغايات. ومن ثم؛ فإنّ هذا يعني ــضمن ما يعنيــ أن في الإنسان عنصراً غير مادي، وأنّ مصدره يتجاوز الإنسان نفسه والكون والمادة والتاريخ. إنّ التاريخ يبرهن لنا على أنّ الإنسان لو كان مجرد كومة ماديّة متطورة كما يزعم الملاحدة وتقرر الداروينية، لما كان تاريخ البشريّة كما هو بسموه وارتقائه وبسقوطه وانحطاطه، وبعلومه وفنونه! بل لو كان التاريخ مجرد مسرح لتفاعلات مادية بين الإنسان والكون؛ لما فكّر الإنسان أبداً في مساءلة التاريخ والبحث في مضامينه والعمل على اكتشاف سننه وقوانينه الحاكمة لسير حركة الأفراد والمجتمعات، ومن هنا، فمساءلة الإنسان للتاريخ وحرصه على اكتشافه برهان ساطع على قناعته المسبقة بأن الإنسان منذ كان وإلى أن يفنى ليس كومة مادية خاضعة لحتميات مادية.

450. العناصر الأربعة للأخلاق الإسلامية

بنى القرآن نظامه الأخلاقي على أربع ركائز: **(1) الإخلاص**. أي الإخلاص لله تعالى فيكون هو الهدف المقدس في كل شؤون الحياة، ليتحرر الإنسان من كل الغايات الضيّقة الفانيّة: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر:65]. **(2) الزهد**. أي الزهد في أهواء النفس وهواتف الدنيا، ليكون الإنسان عبداً لله اختياراً كما هو عبد له اضطراراً، فيعيش بمشاعر الخلود في عالم الفناء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [فاطر:5]. **(3) التوكل**. أي الاعتماد على الله وحده في كل نشاطات الحياة، فيتحرر بذلك الإنسان من الأوهام (الذات، الأشخاص، الأشياء) التي تنتحل القوة والإرادة الزائفة: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:159]. **(4) الجهاد**. أي التضحيّة بالنفس وغيرها في سبيل إشاعة جماليات الوحي الرّباني بين العالمين. إذ أنّ الجهاد تعظيم لمقام الربوبيّة وكمال الألوهيّة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:35]. وأنت إذا تأملت هذه العناصر الأربعة وجدت أنها مكونات الشخصية القوية، والناضجة، والحكيمة، ذات رؤية وجودية تتجاوز بصاحبها من نطاق عالم الدنيا الفانية إلى عالم الآخرة الرحيبة.

451. أسس منظومة التشريع الإسلامي

أسّس المنهج القرآني منظومة التشريع على ثلاثة أركان: (**1**) **التيسير**. أي إنّ كل تكاليف وآداب الشريعة تنضوي على معاني التيسير، لكنه تيسير يناسب معاني الحياة الصحيحة ومقاصد الشريعة النهائيّة: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:185]. (**2**) **المصلحة**. أي إنّ كل تعاليم الشريعة تراعي بشكل دقيق للغاية مصلحة الإنسان، لكنها مصلحة تناسب طبيعة الفطرة، والدنيا، والمصير الأخروي: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:30]. (**3**) **العدل**. أي إنّ أحكام الشريعة كلها تحقق أقصى درجات العدل الممكنة في حياة الإنسان والمجتمع، وهذا مرتبط بالمصلحة الشرعيّة. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس:44]. واعلم أن الأمر كان كذلك لأمرين اثنين: (**الأول**) أن مصدر التشريع هو الله سبحانه، فلا مشرّع معه، وشأن الفقهاء تنزيل القواعد والأصول وكليات الأحكام المبثوثة في الوحي على تفاصيل الواقع ومتغيراته، فهم عملياً متبعون لا مبتدئون ومبتدعون. و(**الثاني**) أن غاية الأحكام التشريعية لا تخص واقع الدنيا وحدود الحياة الراهنة، بل تمتد لتشمل مصالح الآخرة، بحكم أن المقصد الأعلى من خلق الإنسان هو الآخرة وليس الدنيا.

452. أقسام الأخبار القرآنية

أقسام الأخبار القرآنية ترجع إلى ثلاثة: (**القسم الأول، أخبار التاريخ**). وهي خاصة بالإيمان والكفر، فحدد ميزات لكلٍّ منهما، فبخصوص أخبار الإيمان، يمكن أن نذكر سمة الابتلاء، الجهاد، التمكين. وبخصوص أخبار الكفر، يمكن أن نذكر سمة الإمهال. الغرور. التدمير. (**القسم الثاني، أخبار الكون**). وهي خاصة بروائع الخلق في مجالات الكون، وسماتها ترجع إلى الخضوع، أي كل ما في الكون خاضع لله تعالى. وأيضاً إلى البرهان، أي كل ما في الكون يبرهن برهنة ساطعة على وجود الله تعالى. وكذلك إلى التسخير، أي كل ما في الكون مسخر للإنسان. (**القسم الثالث، أخبار الأبديّة**). وهي خاصة بعالم البرزخ والحشر والجنّة والنار. فهناك عالم البرزخ، وهو أول مرحلة في رحلة الخلود، وهو محكمة ربانيّة صغرى قبل المحكمة الكبرى يوم يُبعث الناس للحشر. وهناك عالم الحشر، وهو المحكمة الكبرى، تنكشف فيه الحقائق وتتجلّى فيها الأسرار، وفيه يتحدد مصير الإنسان الأبدي. وهناك عالم الجنّة، وهو عالم السعادة المطلقة، يتفضل الله بها على عباده المؤمنين جزاء ما قدموا من صالح العمل في الدنيا. وأخيراً

هناك عالم جهنم، وهو عالم الشقاء الأبدي، يعاقب به الله الملحد والكافر بعقاب أبدي. ويعاقب به عقاباً جزئيّاً بعض العصاة لكي يتطهروا ليدخلوا الجنّة طيّبين.

453. التغيير سلسلة من العادات

السعادة أو المأساة، النجاح أو الفشل، التفاؤل أو الإحباط، الإيجابيّة أو السلبيّة.. هذه كلها ليست سوى نشاطات يكرّرها صاحبها بشكل دائم ومتواصل، فتترسخ فيه وتطبع شخصيّته وحياته بطابعها! إذن مارس فعل التغيير نحو الأفضل، وخُض تجربة الثورة الدائمة لتفوز بالثراء الفيّاض، ولا تسمح للظروف، ولا تسمح لأوضاع بلدك، ولا تسمح للفاشلين من أصدقائك أن ينفثوا فيك سموم اليأس والفشل! من المفيد للغاية أن تتذكر أنّ كل تغيير في البداية يكون صعباً، وأنّ كل ثورة تكون في الأول مُرهقة وتكلفتها باهظة، لكن.. رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة، وبين مرحلة الرجولة ومرحلة الطفولة سنوات طويلة! إنّ روعة السعادة تكمن في أنّها ليست محطة، بحيث عندما تصل إليها تقول: رائع لقد حققت السعادة المنشودة! بل السعادة والنجاح في شتّى علاقاتك عبارة عن محطات، بعضها يؤدي إلى بعض، ليس فقط إلى الموت، إلى دخول الجنة.. عالم السعادة والجمال الأبدي! ينبغي أن تتخذ مبدأ "لا ثروة بلا ثورة" شعاراً لك في الحياة، فثراء شخصيتك وعلاقاتك لا يمكن بلا ثورة دائمة في تفكيرك ونشاطاتك، طلباً للأفضل وبحثاً عن الأجمل.

454. تقاليد العامة والخاصة

كما أن للعامة البسطاء تقاليد خاصة بهم، فكذلك للخاصة (مثقف، مفكر) تقاليد خاصة بهم! وكما ينزعج العامة من انتقاد تقاليدهم العملية، فكذلك ينزعج الخاصة من انتقاد تقاليدهم الفكرية! والسر في ذلك أنّ الإنسان يعتبر تقاليده (العملية/ العلمية) جزءا أصيلاً من هويّته الشخصية، لأنها تمنحه إشباع غريزة الانتماء، ومن ثم الإحساس بالقيمة والتقدير الذاتي! ولهذا يتعامل مع الانتقادات الموجهة إلى هذه التقاليد التي انصبغ كيانه بألوانها وشبّ عليها عقله ووجدانه، على أنها انتقادات لذات شخصيته! أي أنه لا شعوريّاً يربط بين هذه الانتقادات وبين رغبتك في احتقاره والتقليل من شأنه، ولهذا يثور وينزعج، وقد يقاطعك، بل ربما تطور الأمر للحرص على إيذائك! وهذا سر تشبث الإنسان بالخرافات الفاضحة، بعد أن يصبغها بألوان جميلة وأصباغ منطقيّة، لمجرد الهوى والعصبية، لأنه كما قلنا يعتبر هذه المنظومة (العقائدية،

الفكرية، السلوكية) جوهر وجوده، والتخلي عنها يعني الهزيمة في معركة الهوية! ومعلوم ألا أحد يقبل الهزيمة! فانظر مثلاً للنصارى يعتقدون أنّ إلههم خرج من مجرى البول، مع أنّ أحدنا عندما يتذكر أنه خرج من هذا المخرج إلى الدنيا يخجل من نفسه! وكذلك الملاحدة يعتقدون أنّ شيئاً (الكون والحياة) خرج من لا شيء (العدم)، بدون أي سبب فصار آية في التعقيد والإبداع، مع أنّ الأحمق مع حمقه يخجل من هذا الاعتقاد!

455. ضرورة الهجوم والدفاع

من الأخطاء التي يقع فيه بعض المسلمين اليوم، اكتفاؤهم بالدفاع عن الحقائق الإسلاميّة، حتى صار شغلهم الشاغل ترقب ما يصدر عن الآخر (نصراني، ملحد، علماني.. إلخ) للمسارعة بالرد عليه! وما من شك أنّ هذا عملٌ طيّب، غير أنّه خلل في المنهج وضبابية في الرؤية. وذلك لأنّ الاكتفاء بالدفاع له عيوب، منها أنّه يعطي الآخر فرصة ممتازة لتكثير الهجوم ومضاعفته! ويُشغل المسلم بقضايا في كثير من الأحيان لا تكون لها أولويّة! كما أنه يوحي الشباب أنّ الإسلام ضعيف! وأيضاً يصرف المسلم عن الحرص على الإبداع في بناء المعطى الإسلامي بأسلوب جديد! من أجل ذلك، من المفيد للغاية أنّ يحرص المسلم على تجاوز مستوى الدفاع إلى مستوى الهجوم على المنظومات والمناهج والأطروحات التي يتبناها المناوئون للإسلام، من خلال أصولها وأسسها ومآلاتها وعجزها. ولهذا وجدنا الأنبياء عليهم السلام يركزون على منهج الهجوم أكثر بكثير من خطة الدفاع، وهذا يرجع إلى أن الوحي منهج كامل في قواعده ومبادئه ومقاصده، وأيضاً إلى أن المسلم شهيد على عصره، ومأمور بتبليغ رسالة ربّه إلى العالمين.

456. ضرورة الهجوم والدفاع

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا﴾. هذا الحديث يتضمن الدلالات التالية: (1) ارتفاع العلم في الحديث، ليس المراد بها شيوع الجهل بين الناس بعدم القراءة، بل المراد به العلم بالله تعالى وبأمره وأيامه، وما يتفرّع عن ذلك كالعلم بمهمة الإنسان في الحياة ومصيره بعد الموت. (2) ثبات الجهل يشير إلى ظاهرة رهيبة في أناس آخر الزمان، وهي شيوع الأهواء واللهاث وراء سرابها، بسبب فتن الدنيا وضغوط الواقع، بالإضافة _وهذا هو الأهم_ إلى ضحالة العلم بالله تعالى وأمره. (3) ذكر شرب الخمور وانتشار العلاقات الغرامية وما

يصاحبها من الزنا ومقدماته بين الشباب والفتيات، جاء نتيجة منطقية لارتفاع العلم الحق وثبات الجهل/العلم الزائف. ذلك لأنّ الإنسان عندما يفقد صلته بالله العظيم ويغفل عن الآخرة، يسقط في حمأة الماديّات ويُتبع نفسَه هواها. (4) في الحديث إشارات لعملية العلمنة والتفسيق الذي سيحرص الطغاة والمفسدون في الأرض على محاصرة أفراد الشعب في إطارهما في آخر الزمان، عبر مختلف الوسائل كالصحافة والإعلام والمدارس والتركيز على تقديس كل شيء يُعتبر مدنساً كالعري والإباحيّة والتحلل من تعاليم الوحي الربّاني. وكل هذا نشهده واقعاً في عصرنا الحاضر.

457. القدر والكوارث

عندما تقع كارثة من الكوارث الكونيّة، كالزلازل والفيضانات، يقتصر بعض المسلمين على القول: هذا بسبب ذنوب العباد! أما العلمانيون فيردون عليهم بالقول: هذه أحداث طبيعيّة ويجب على الحكومة تحمّل مسؤوليّاتها! ونظرة الفريقين قاصرة دون فهم دلالة الكوارث الكونيّة! لقد خلق الله تبارك وتعالى الإنسانَ لأداء مهمّة معيّنة حدّدها بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]. وهذا يقتضي أن حياة الإنسان ليست سدى بلا قيمة، أو عبثاً بلا معنى، أو فوضى بلا نظام، أو هملاً بلا تكليف. وينتج عن هذا، أن الإنسان مبتلى في عالم الدنيا بأنواع البلاء الذاتي والكوني، وأن هناك سنناً ربانية صارمة تحكم حركة الإنسان والكون والحياة. ومن هنا، فالابتلاء متشابك بطبيعة النظام الكوني الذي وضعه الحق تبارك وتعالى. كما أنّ الابتلاء مرتبط بطبيعة سلوك الإنسان من حيث الاستقامة على منهج الله والانحراف عنه وتضييعه. وأيضاً فإنّ الابتلاء مرتبط بمنظومة السنن الربانيّة الحاكمة على حركة الإنسان والتاريخ والكون. ولهذا، فحدوث الكوارث الكونية والآفات الوجودية، له ارتباط وثيق بمعصية الإنسان فهي عقوبات دنيوية، وأيضاً بسنن الله تعالى الكونية فهي تدبيرات وجودية. والمسلم يتعامل مع الكوارث على أنها منّبهات فيفزع إلى التوبة ومراجعة علاقته بالله تعالى، ويحرص على العمل لتخفيف آثارها العمرانية.

458. إيثار الحياة الدنيا

﴿بَل تُؤثِرونَ الحَياةَ الدُّنيا والآخِرَةُ خَيرٌ وأَبقى﴾ [الأعلى:17/16]. الإنسان إنما يؤثر الحياة الدنيا ويتمركز حولها وينغمس بكليّته في أوحالها، عندما ينسى خالقه العظيم، وعندما ينسى سر وجوده في هذا العالم،

وعندما ينسى مصيره المحتوم بعد الموت! عندما يدخل الإنسان هذا النفق المظلم.. إيثار الحياة الدنيا واللهاث المسعور وراء سرابها، هنا لن يجد لحياته معنى ويشعر لنفسه بقيمة، بل بالحريّ أنّه يعيش مأساة كالحة وشعوراً بالغربة مدمر، فلا يجد مفرّاً سوى مزيد من الانغماس في حمأة الدنيا وشهواتها! على أنّ إيثار الحياة الدنيا ليس مقتصراً على اللهاث وراء الشهوات المادية، بل يشمل أيضاً مختلف نزعات الأهواء الخفية، كحب الظهور، الانتصار للذات، تعظيم الأنا، موالاة المنافقين والطغاة.. إلخ. وهذا ما تذكرنا به الآية المباركة.. الآخرة خيرٌ وأبقى، ولذلك فهي جديرة عند ذي العقل الرشيد بالإيثار والرغبة فيها! وتعبير الآية بأنّ الآخرة خير، هكذا بصيغة التنكير له دلالة عميقة. إنّها التنبيه على شمول كل معاني الخير حتى التي لا يبلغها الإدراك والخيال! خير لأنّ فيها لقاء الله ﷻ، الملائكة، الأنبياء، الصالحين، الجمال المتدفق. خير لأنّ فيها ستتفتّح طاقات الروح وستتكشّف أسراره في مسار الأبديّة الخالدة.

459. ثبات جنس أدلة الإيمان والإلحاد

أعتقد أن المؤمن والملحد كلاهما، سيجد دائماً الكثير مما يمكن أن يقولاه ويعرضاه حول وجود الله تعالى مما قد يراه هذا الطرف أو ذاك أدلة واعتراضات جديدة ضد الآخر، وأنّ هذا الكثير الذي يمكن أن يقال لا يعني وجود جديد في جنس أدلة الإيمان، كما لا يعني وجود جديد في جنس اعتراضات الإلحاد، رغم التضخيم الذي يمارسه البعض من الطرفين لما يعتبرونه أدلة أو اعتراضات جديدة، إذ كل ما طُرح أو يُطرح الآن أو سيُطرح مستقبلاً يدخل في جنس الأدلة والاعتراضات الكبرى، والواقع خير شاهد. لكن هذا لا ينفي أن طرق المعالجة ومناهج الطرح وزوايا العرض يمكن أن يتم تطويرها بشكل مستمر، لأنّ الأذواق تختلف والاستعدادات العقلية شتّى، فما لا يقنع زيداً قد يكون سبب يقين لعمرو، فلله سبحانه في العقول والنفوس عجائب وخفايا، ولهذا نوّع القرآن كثيراً في أساليب ردوده على المقالات الباطلة وكشف المذاهب المنحرفة، من مجادلة عقلية، إلى موعظة تحفيزية، إلى لفت العقل والقلب إلى بدائع الآيات في الكون والحياة، إلى استعراض مصارع الكفار والمشركين والمناوئين عبر التاريخ، وغير ذلك.

460. التزم بالوحي لا بالعقل

لا تذهب إلى ما يريك العقل، واذهب إلى يريك الوحي، فإن العقل كما قد يصيب قد يخطئ، وكما قد يذكر قد ينسى، وكما قد يحقق قد يتوهم، فمن هذه الجهة وبهذا الاعتبار ليس حرياً بالثقة المطلقة، ولا جديراً بالاعتماد النهائي. أما الوحي فقد أحاط بكل شيء علماً، يرى الشيء في مبتدئه ومنتهاه، وسببه وعاقبته، ألا ترى أن ربك قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران/31]، وهذا مقتضى الإيمان ولازم العقل وبرهان الحكمة، فإنك إن أثبت صدق الوحي بعقلك وآمنت به لبرهانك، فالوحي قد أمرك باتّباعه والتحاكم إليه والتسليم له، بلا شركة مع العقل، إذ العقل أخو الهوى، والهوى عدو الوحي. لا جرم إذن أن العقل الرباني عقل مسدد مؤيد، أما العقل الأهوائي فعقل مجرد مبدّد، فمتى يصل إلى مبتغاه، وأنى له أن يكتشف الحق ومعناه! على أني لست أشير من طرف خفي لتعارض العقل والوحي، وإنما لما ذكرتُ لك آنفاً مما يعتري نظر العقل وفكره، من الوهم والقصور والجهل والهوى والتقليد.

461. مسؤولية التعدد

التعدد ليس لإثبات الرجولة، ولا لإغاظة الزوجة، بل هو تكليف جديد ومسؤولية إضافية، وضغوط مضاعفة! وحسبك فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الرجل راع وهو مسؤول عن رعيته»، وأيضاً قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت». إن التعدد حل، لكن بعض المتهورين حولوه إلى مشكلة، والأصل أن من لا يستطيع التعدد لافتقاد شروطه الشرعية والموضوعية لا ينبغي أن يفتح على نفسه بلاء هو في غنى عنه، فيظلم نفسه ويظلم امرأتين أو إحداهما. فكم من متهور بادر للتعدد، وهو فاقد لشرط قوة الرجولة وقوة النفس، فجاءت إحدى الزوجتين تذرف دموع التماسيح، فما كان إلا أن طلق الأخرى، فيتسبب لها في مأساة أليمة، ويفتح عليها بذلك باب شقاء وبلاء لا يعلمه إلا الله! وكم من متهور بادر للتعدد، ولأنه لا يملك شرط قوة المال، فوجد نفسه يعيش في ضغوط مالية خانقة، بل منهم من يهضم حقوق إحدى الزوجتين لصالح الأخرى، فإحداهما أشبه بالفقيرة والأخرى أشبه بالغنية! وكم من متهور بادر للتعدد، ولأنه لا يملك شرط قوة الإعفاف الجنسي، فإذا به يعجز عن إعفاف الزوجتين، فهما متزوجتان لكنهما محرومتان، فلا تسأل عن تهاويل المعاناة التي يتجرعان ألمها! ومع هذا،

فأنت ترى وتسمع من يتعامل مع التعدد كأنه نزهة ماتعة لا تبعات وراءها مما يدل على عدم وضوح الرؤية، والغفلة عن واقع التعدد!

462. يسر معرفة الله تعالى

من ظن أن معرفة الله تعالى غامضة، وملتبسة، وتحتاج للتنازل عن العقل، وهي غير برهانية، وأن السير في هذا الطريق سير في طريق شائك وقلق ومتوتر، كما يروج لذلك بعض من يعشقون الظهور بمظهر الذكي الألمعي، من ظن ذلك فقد أساء إلى الله سبحانه، وكذب القرآن والسنة، واتهم الأنبياء والمرسلين، وأزرى بالصحابة والصالحين! وإنما يظن هذا الظن الآفن أحد شخصين، شخص امّعة سمع أن معرفة الله كذلك فهو يلهج بشيء من باب التقليد الأعمى ليظهر بمظهر المفكر المجتهد، وشخص امتلأ قلبه بشطحات المتفلسفة وأهواء الزنادقة فهو مثلهم لا يستطيع التحرر من تلك الرواسب. أما نحن في عقيدتنا الإسلامية فنؤمن أن الله سبحانه خلق الإنسان لمعرفته ومحبته وتعظيمه وعبادته، وضرب له موعداً للقائه بعد الموت، يحاسبه ويجازيه، ولذلك فقد يسر له سبحانه سبل معرفته، ونوّع له مصادرها ومجالاتها، من الفطرة والعقل والوحي والكون والتاريخ، وهذا ليقيم عليه الحجة ويثبت عليه الحكم، فلا يجد عذراً للتشكك فيه فضلاً عن إنكاره ونفيه!

463. من أسباب إحباط الشباب

أحد أسباب شعور بعض الشباب بالفشل والإحباط، أنهم يقارنون حالهم بحال فلان الشيخ، أو الداعية، أو المفكر، صاحب مؤلفات متنوعة، ومحاضرات وفيديوهات، فيرون هذا في القمة وهم في السفح، لتكون النتيجة هي سيطرة شعور الإحباط عليهم! ومكمن الخطأ أنهم ينسون **(1)** أن هذا الفلان بينهم وبينه فارق السن، فتجده مثلاً فوق الأربعين، أو الخمسين، وهم لا يزالون بين العشرين والثلاثين، ولا شك أن العمر بما يحوي من خبرات وتجارب عنصر أساسي في توجيه الأفكار والرؤى. **(2)** هناك فارق الإمكانيات، فتجد ذلك الفلان مرتاحاً مادياً بحكم أنه مثلاً أستاذ أكاديمي، ولذلك يتاح له اقتناء الكتب والسفر وغير ذلك، أما هم فربما أحدهم لا يزال يأخذ مصروفه من والده. و**(3)** وهناك فارق الحياة الاجتماعية، فتجد ذلك الفلان متزوجاً ومستقراً في حياته الزوجية والأسرية، أما هم فلا يزالون يعانون

ضغوط العزوبية، ولا شك أن الزواج المستقر عنصر مهم جداً لتحقيق الأهداف. و(**4**) هناك فارق الخبرة في التأليف والنشر والدعوة، ففلان قبل أن يصل إلى ما وصل إليه قد كتب كثيراً أو ألقى محاضرات حتى تكوّن لديه رصيد جيد من الخبرة في الكتابة والإلقاء، أما هم فأحدهم لا يزال يخاف من كتابة منشور فيسبوكي. إذن الخلاصة تذكر: من بدأ صغيراً يوشك أن يصير كبيراً، وبلوغ قمة الجبل يلزم عنه الجهد والتعب والعرق وبعض الخدوش. والإخلاص والصدق والاجتهاد يختصر الطريق على صاحبه.

464. تقديم الوحي لله تعالى

إحدى أعظم ميزات تعريف الوحي بالله تعالى أنه لا يقدم وجوده تقديماً جافاً، بارداً، آلياً، أي مجرد معلومات تزحم الذهن، وبراهين تحتشد في العقل، بل يقدمه تقديماً متنوعاً وثرياً، حياً وعميقاً، فتارة ينبهك على آيات الإبداع في الكون والحياة، وطوراً يأخذك إلى أعماق التاريخ ليقفك على سننه في الأمم والمجتمعات، ومرة يفتح لك مجال كرامته لأنبيائه وأوليائه، ونقمته على أعدائه ومناوئيه، وأحياناً يخترق بك جدران الزمان وحجب المكان إلى عالم الخلود فيريك ماذا أعد لأهل طاعته وماذا أعد لأصحاب معصيته. ومن ثم لا تظل فكرة وجود الله سبحانه عائمة في الذهن، سابحة في التأمل، بلا رصيد في واقع التفكير والشعور، وواقع السلوك والنشاطات والحياة. وحين توازن هذا التقديم بتقديم الفلاسفة والمتكلمين لا تملك سوى أن عافاك مما ابتلاهم.

465. تأثير البيئة الاجتماعية

تأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ويل للعرب من شر قد اقترب. فقالت له زينب رضي الله عنها: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: نعم إذا كثر الخبث!﴾، تأمل تعليله عليه الصلاة والسلام (نعم إذا كثر الخبث) فهو بيان لفاعلية سنن الله تعالى وحاكميتها الصارمة التي تتجاوز معتقد الفرد والمجتمع ومستواه الحضاري. أنت عبد صالح، لكن بسبب كثرة الفساد والانحراف والضلال والسعار المجنون وراء الماديات وقلة الإيمان، وضعف التربية، أي إنك تعيش في بيئة اجتماعية مزكومة بالأمراض المعنوية، فلا شك أنك ستصاب بآثارها الناتجة عن ذلك، وصلاحك يعصمك من الانجراف مع التيّار، ويدخلك الجنة يوم القيامة. وهذا ما ينبغي على الشباب المتدين استيعابه جيداً، حتى لا ينخدعوا بكلام بعض وعاظ وسائل

التواصل والشاشات الذين يصورون لهم بأن التدين مفتاح سحري لكل المشاكل، ويفرش طريق الحياة بالورود والياسمين! حتى إذا ما واجهتهم صخرة الواقع بدأت أسئلة القلق تتسرب إليهم: لماذا يتقدم لي أحد مع أني عفيفة وجميلة؟ لماذا لم أحصل على وظيفة ممتازة مع أني ملتزم؟ لماذا لست مرتاحاً مادياً وأسرياً في حياتي؟

466. من صور عظمة الإسلام

من عظمة الإسلام أنه لا يقول لك (يجب أن تكون إنساناً فاضلاً)، ثم يتركك تفصّل لنفسك منهج الفضيلة كما تشاء بما فيك من أهواء ورغبات، وما معك من رصيد التجارب والخبرات، بل إنه يأمرك بالفضيلة ويحثك عليها، وأيضاً يفصّل لك منهج هذه الفضيلة في التفكير والشعور والسلوك، وفي التنظيم والتشريع والاجتماع، وكذلك يفصل لك غاية هذه الفضيلة ونتائجها وثمارها في الدنيا والآخرة. وهذا من البراهين الساطعة على أن الإسلام ديانة عملية، وهادفة، وإيجابية، وليست ديانة تقدم لك معلومات وتوجيهات لتزحم ذهنك، بدون أن يكون لها رصيد في الواقع. ومن ثم، يمكن أن نقول بأن الإسلام منهج عقيدة وتفكير، وشعور ووجدان، وفعل ونشاط، وتنظيم وتشريع. وكل هذا نتيجة طبيعية لرؤية الإسلام للإنسان، فهو لا يراه كائناً عادياً يحتل ذرة تسبح في الوجود، يبدأ فيها وينتهي فيها، بل بالحري أن الإسلام ينظر للإنسان على كائن ذي قيمة كبيرة جداً بين كائنات الوجود، تبدأ حياته هنا في الأرض، ولا ينتهي فيها، بل تستمر بعد الموت في مسار الأبدية.

467. من أسباب الشقاء

شخصان لا يمكن أن يستمتعا بالحياة، لا قليلاً ولا كثيراً، ولا يمكن أن يحققا شيئاً من النجاح، لا قليلاً ولا كثيراً: الأول هو الشخص الذي يبحث عن الكمال: في شريك الزواج، في التأليف، في الدعوة، في المعيشة. والثاني هو الشخص الذي يخاف من الفشل والنقد: في الزواج، في خوض نشاطات الحياة، وتجاربها. إن من المؤسف أن كثيراً من الشباب في عصرنا هم كذلك، إما يبحثون عن الكمال، وإما يخافون من الفشل، والنتيجة هي أنهم يشيخون قبل الشيخوخة، وتموت ببطء في قلوبهم كل المعاني الجميلة!! وعلاج هذه الآفة، هو أن تفهم أنك بشر، وتعيش في عالم البشر، وأن الدنيا كلها مطبوعة على النقص،

فلا تبحث عن الكمال في أي شيء، فهو معنى لا يمكن أن يتحقق في الواقع إلا بقدر جزئي، أي أن الكمال يتحقق عبر الزمن، بحيث لو خُلّدت في الدنيا لظل الكمال يتحقق شيئا بعد شيء بلا نهاية. ولهذا، فأنت عبر تراكم الخبرات والتجارب، تحصل على الكمال باستمرار. وأن تفهم أن الخوف من النقد والفشل هو نفسه سيجلب عليك مزيداً من الضعف والهزال والفشل والسطحية والاختزال، وإذا وعيت أن رضى الناس غاية لا يجلب أن تطلبها فضلا عن أن تسعى لإدراكها، ستعي جيداً أن المبالاة بالناس حماقة، إذ أكثرهم يعشقون الثرثرة، ومغروس فيهم الحسد والغيرة، ويميلون للظهور بمظهر التفرد والتميز، ولو على حسابك وركوب ظهرك.

468. أنواع العبادات الشرعية

العبادة الشرعية ثلاثة أقسام: عبادة الجوارح، وهي كالصلاة والصيام والصدقة والجهاد، وكل عمل تبذل فيه جهداً مادياً. وعبادة القلب، وهي كمحبة الله تعالى والتوكل عليه والإخلاص له والاستغاثة به والشوق إليه. وعبادة العقل، وهي كالتفكر في معطيات الوحي، ومشاهد الكون والحياة، والتسليم لله تعالى فيما عجزت عن استيعابه. وكثيرون يهتمون بعبادة الجوارح، وأقل منهم يراعون عبادة القلب، وأقل من هذا القليل يراقبون عبادة العقل! وأنت إذا فتشت في أصول الشبهات وأسباب الحيرة ومناشئ الشكوك التي تصيب كثيرين ويستسلمون لها، ومن ثم يهتز إيمانهم وتتزلزل عقيدتهم، ستجد أنه مرتبط بالغفلة عن "عبادة العقل" في محورها المتعلق بـ "التسليم لله في التشريع والقدر"! رغم أن التسليم مقتضى الإيمان. ولهذا السبب كان مقام التسليم لله في التشريع والقدر من أعظم مقامات الصالحين، ومنازل العارفين، لأنه يتضمن الاعتراف بضآلة الإنسانية وعظمة الألوهية، أي معرفة نقص المخلوق وعجزه وقصوره ومحدوديته، وكمال الخالق وعظمته وجلاله. والتسليم ليس ضرورة إيمانية شرعية وحسب، بل هو ضرورة وجودية حياتية أيضاً. فكل إنسان يتعامل بمنطق التسليم في بعض جوانب حياته وإلا فسدت واضطربت، ألا ترى كيف أنك تُسلم للطبيب والمهندس وغيرهما فيما يخص مجال عملهما، ولا تجد في نفسك أدنى حرج من ذلك، لعلمك أن عجزك عن الفهم لا ينفي وجود المعنى والغاية في عمل الطبيب والمهندس.

469. قوة تأثير أنوثة المرأة على الرجل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ما تركت فتنة أضر على الرجال من النساء﴾. فهذا الحديث يحكي واقعاً في دنيا البشر، عاشه الناس وعرفوه منذ كانوا وإلى أن يفنوا، رغم اختلاف زمانهم ومكانهم، ورغم تباين مستوياتهم في الحضارة والتمدن، ورغم تنوع ثقافتهم وأديانهم وعاداتهم. وهذا للسلطان القاهر لأنوثة المرأة على الرجل. ولهذا لا يستطيع مقاومة إغراءها، فكم من رجل هدم بيته وشرّد أبناء لأجل امرأة أخرى أغوته بكلامها وحركاتها!! وكم من طالب رسب في دراسته بسبب فتاة فتنته بهواها وتلاعبها به!! بل كم من رجل با ع أسرار بلده للأعداء بسبب غواية امرأة منحته جسدها!! بل وكم من مؤمن خرج إلى الكفر والشرك اتّباعاً لهوى امرأة كافرة مشركة وخضوعاً لفتنتها لعقله وقلبه!! ولهذا، فالمسلمة العاقلة التقية تفهم من هذا الحديث الشريف أنها مسؤولة مسؤولية كاملة أمام الله تعالى عن تصرفاتها وسلوكياتها ونشاطاتها.

470. قوة الحب وصدقه

قوة الحب وصدقه يقاسان بالمواقف العملية وليس بالمشاعر المكنونة في الضمير. لأن المشاعر غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى، أما الإنسان فهو يبحث عن مواقف محسوسة. وهذا ما لا يريد كثير من الأزواج فهمه واستيعابه!! فتجد مثلاً الزوجة لا تشارك زوجها همومها وهواجسها ومشاكلها، بل تذهب مثلاً إلى صديقتها، كأنها تنسى أن هناك زوجا تقول إنها تحبه حباً كبيرا!! وتجد مثلاً الزوج تمرض زوجته فلا يبدي لها قلقه وخوفه عليها، فضلاً عن أن يبادر لأخذها إلى طبيبة أخصائية، ولو كلّفه ذلك اقتراض بعض المال لأجل طلب العلاج لها، ومع ذلك يقول "زوجتي حبيبتي"!! وتجد أحدهم يسمح بتراكم ما يعتقد أنها سلبيات أو أخطاء شريكه، في نفسه، ويدخل في دوامة هواجس ووساوس لا نهاية لها، ولا يفكر في اختصار الطريق فيذهب لمحاورة هذا الذي يقول عنه "حبيبي وعمري وحياتي"!! المشكلة هي أن المخرج الذي ينتظر هؤلاء في نهاية الطريق هو الطلاق العملي أو الطلاق الصامت، إذ بعد أن كان القلب ندياً بالحب وهنياً بالشوق، صار مكلوماً بالأسف، ومرهقاً بالألم، بسبب التراكمات المستمرة. وليت شعري كيف تحلو حياة زوجين الحب بينهما مكبّل بالأوهام في باطن القلب، أما المواقف فكلها تؤكد على أنه لا يوجد حب ولا ثقة ولا أي شيء مشترك!!

471. سرعة التأثر بالشبهات

إذا كنتَ كلما قرأت أو سمعت "شبهة" دخلت في دوامة توتر وفتحت قلبك للشكوك، فهنا يجب أن تراجع عقلك قبل أن تراجع عقيدتك! المسلم العاقل حين يقرأ أو يسمع "شبهة" لا تفزعه ولا تهوله ولا تزعجه، لماذا؟ لأن معه أصلاً كبيراً وأساساً متيناً وهو: الإسلام وحي الله سبحانه، والله سبحانه ورسوله عليه الصلاة والسلام، يقول الحق، ويحكم بالحق، فمهما وُجد شيء يوحي بالتناقض أو غير ذلك، فهو من جهة سوء الفهم عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. ثم، ينطلق يبحث بنفسه في مدونات أهل العلم والفقه، ويجمع بين أقوالهم في المسألة، أو إذا لم يكن لديه القدرة للتفتيش في الكتب والمجلدات، فإنه ينفر لسؤال أهل التخصص والاطلاع على الموضوع، لتزول عنه الشبهة، وينفي عنه وحي الشيطان، ويرد كيد الأعداء في نحورهم. هكذا يتصرف المسلم العاقل. أما ما نراه اليوم بين كثيرين، فهو يدل على السذاجة والغباء، قبل أن يدل على قلة الإيمان وضعف اليقين.

472. توظيف مواقف صحابيات

حدثوك عن عائشة (رضي الله عنها) وعن هذه الصحابية أو تلك، وعن هذه المشهورة أو تلك خلال التاريخ الإسلامي، وذلك لكي يخدعوك بضرورة إذابة الحواجز، والدخول والخروج بلا قيود ولا اعتبار، ونفخوا فيك وهم ضرورة المساهمة في بناء المجتمع، والثقة بالنفس، وأهمية الانخراط في نشاطات الواقع! لكنهم لم يحدثوك عن حياء هؤلاء الصحابيات وغيرهن، ولا عن حرصهن على الصالحات، ولا عن صدقاتهن، حتى كانت إحداهن تنفق كل ما يقع بين يديها من المال في الصدقات وهي تُرقع ثوبها، ولا عن عباداتهن وخشوعهن، ولا عن إجلال أزواجهن وتقديرهم والصبر معهم وعليهم طاعة لله تعالى! ولم يحدثوك عن أن السيدة عائشة كانت تحذر النساء اللائي يزرنها من وصفها لرجالهم، فهذا مجرد وصف (طويلة/قصيرة، بدينة/رشيقة، بيضاء/سمراء، جميلة/متوسطة...الخ) فما بالك حين تخرجين بقطعة قماش على رأسك وسروال الجينز، أو جلباب يكاد يصف تضاريس جسدك، ومع ذلك تدعين أنك محجبة ومتربية! ولم يحدثوك عن أن السيدة عائشة قالت ﴿لَوْ أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ رَأَى ما أحْدَثَ النِّساءُ لَمَنَعَهُنَّ المَسْجِدَ كما مُنِعَتْ نِساءُ بَنِي إسْرائِيلَ﴾ [صحيح مسلم]، فماذا لو رأت عائشة رضي الله عنها واقعنا ومجتمعاتنا، من المحتمل أن تظن أنها مجتمعات جاهلية لم يُبعث فيها نبي! ولم يحدثوك عن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلاقًا فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ﴾

(سنن أبي داود)، وصرنا اليوم نرى "محجبات، جامعيات" يطلبن الطلاق لأدنى سبب، وأحياناً لكي يلحقن بركب الوظيفة فبشرهن بوعيد رسول الله. وهناك الكثير مما أخفوه عنك عمداً، لأن لهم أهدافاً خبيثة جداً!

473. منع الأبناء الآباء من الزواج

من جرائم بعض الأبناء في حق آبائهم الذين بلغوا التقاعد وقد ماتت أمهم، أنهم يقفون في طريق رغبته في الزواج، خشية أن يأتي وريث جديد يزاحمهم في الإرث. لقد سمعت قصصا من جرائم هؤلاء الأبناء الذين لا دين ولا مروءة ولا أخلاق ولا بِر!! وهناك أيضاً أمهات بلغن الأربعين أو الخمسين أو أكثر وقد توفي زوجها، وتكون هذه الأم راغبة في الزواج لكن الأبناء الذين يبلغون العشرين والثلاثين يرفضون بشدة، لأن زواجها فضيحة لهم بين الجيران والأصدقاء والعائلة!! وإذا كنت أعذر بعض هؤلاء الأمهات إذ يكتمن رغبتهن في الزواج ويتحملن معاناتهن النفسية، فإني أعجب للآباء الذين يمتنعون من الزواج خوفاً من أبنائهم أو حرصاً على عدم إزعاجهم أو خشية من مقاطعتهم له!! فهؤلاء الأبناء الحقراء الذين يفكرون فقط في الإرث أو ما يسمونه الفضيحة أو بدعوى لا نقبل شخصا يحل مكان (بابا/ ماما)، هؤلاء لا يستحقون أدنى اعتبار من آبائهم وأمهاتهم، فهم لا دين ولا عقل ولا أخلاق!

474. الثقة بالمشاعر

"يجب أن تثق بمشاعرك، فهي أهم من كل اعتبار"، هذا المعنى يُسوّق بكثرة لشباب الجيل المعاصر، وهو بلا شك شعار جميل ساحر، ويبدو مفعماً بالكرامة والتقدير.. لكن، ما يخفيه هؤلاء عن الشباب اللاهث وراءهم هو أن المشاعر ليست وحياً يوحى، فيكون معصوماً من الخطأ والتهور والهوى والقصور والاختزال والطيش!! إن مشاعر القلوب قد تخطئ كما قد تخطئ أفكار العقل، سواء بسواء، لأن الإنسان هو الإنسان، كائن محدود، كما أنه كائن تتدخل الكثير من العوامل والمدخلات في تكوين وعيه وتشكيل وجدانه وتوجيه رؤيته، فلا جرم أن المشاعر ليست دائماً جديرة بالاحترام والثقة!! ولو ذهبنا نأخذ بهذا الشعار، فلا شك أننا سنقع في الفوضى، والنسبية، والميوعة، لأن السؤال هنا هو: ما هي معايير تقييم المشاعر؟ كيف نعرف حقها من باطلها، وصوابها من خطئها؟ وعندما تتعارض هذه المشاعر مع مقررات العقيدة أو الشريعة فما العمل؟ أيهما له الأسبقية والتقديم؟

475. الحكم على الأفكار والأشخاص

عندما تطلب مني عدم إصدار حكم على شخص، مهما كانت الأسس التي بنيت عليها هذا الحكم، فأنت هنا تطلب مني (أولاً) التجرد عن عقيدتي، و(ثانياً) التجرد عن إنسانيتي. أما التجرد عن عقيدتي، فلأن الإسلام ديني تقويمي، أي إنه يؤسس للحكم والتقويم للأشخاص والأفكار والأحداث، وهذا يشمل الأفراد والمجتمعات، ولذلك كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركناً مركزياً في منظومته، ولولا هذا المعنى الجوهري لما كان للنبوات أدنى قيمة، لأن أحد أعظم مقاصدها بيان الحق والباطل، والصواب والخطأ، أي إصدار الأحكام. وأما التجرد عن إنسانيتي، فلأن طبيعة الإنسان يستحيل أن تنفك عن إصدار الأحكام على الأشخاص والأفكار والأحداث والأشياء. رغم تباين الناس في أحكامهم وتقويماتهم التي تكون ناتجة عن مجموعة من المدخلات، كالدين والثقافة والتجربة والشخصية. والحقيقة أنه في هذا العصر تُبذل جهود هائلة، وبوسائل متنوعة، وأساليب مختلفة، لصياغة وعي الناس صياغة رمادية، أي دفعهم للامتناع عن إصدار الأحكام على الآخرين، بخديعة التسامح، ودع الخلق للخالق، ومَن أنت لتحكم على الناس، وهذا يستهدف خلق ما يمكن تسميته بـ (العمى القيمي)، أي لا يعود الإنسان قادراً ــبل ولا راغباًــ في التمييز والتصنيف (خير/ شر، حق/باطل، حسن/قبيح، طاعة/معصية.. إلخ). وبهذا سيصل المسلم إلى حالة عدم تميّز الإسلام في حسه ووعيه عن باقي الأديان والمذاهب والأيديولوجيات والفلسفات!!! إنها ــإذنــ نزعة إرجائية شديدة جداً!!!

476. طبيعة عالم الدنيا

اعلم أن الدنيا طبعت على البلاء، فليس يخلو إنسان ولا يخلو وقت من أوقات عمره من شيء من البلاء. فالعزب يشكو من معاناة العزوبية، المتزوج يشكو ضغوط الزوجية، الموظف يشكو سلطة المدير، العامل يشكو إرهاق العمل، الفقير يشكو عضة الفقر، المريض يشكو ألم المرض، المظلوم يشكو قهر الظالم. وبالجملة لن تجد أحداً يعيش في هناء، بل مهما استقامت له الدنيا من جانب إلا واعوجت عليه من جانب آخر! وإذ كان الأمر كذلك، ولن يكون إلا كذلك، فالواجب أن يوطد العاقل نفسه على الصبر، ولا يخلي نفسه من توقع ما يزعجه ويؤذيه، من مرض أو فقر أو حرمان أو ظلم أو تعسر حاجة أو غير ذلك من المشاكل والهموم، فهذا الاستعداد النفسي المسبق حري إن شاء الله بتخفيف البلاء إذا نزل

والآلام إذا وقعت. على أن المسلم ولله الحمد والمنة، يوقن يقينا كأنه رأي العين، أنه لا يصيبه شيء من البلاء، صغر أم كبر، قلّ أم كثر، إلا وهو مأجور عليه، بتكفير السيئات وتكثير الحسنات، فهو ولله الحمد والفضل يربح على الله تعالى أبدا. كما أنه يدرك أن الدنيا طبعت على الكدر لمعاني من الحكمة والحجة البالغة، أدناها تحريك الشوق إلى الله تعالى وعالم الجنة.

477. إقرار كفار قريش بالربوبية

حين تسمع العلماء يقولون "كفار قريش كانوا مقرين بتوحيد الربوبية"، فليس مقصودهم أنهم كانوا محققين لهذا القسم من أقسام التوحيد، إذ لو كانوا كذلك لالتزموا مقتضاه الذي هو الأقسام الثلاثة الأخرى التي أشبع القرآن والسنة القول فيها، أعني قسم الألوهية، وقسم الأسماء والصفات، وقسم الحكم والتشريع. وإنما مقصودهم بيان أن المشركين كانوا يعترفون بخالقية الله تعالى للكون وأنه المتفرد بذلك، كما صرّح القرآن نفسه عنهم، إلا أن ذلك لم ينفعهم في شيء عند الله تعالى، لأن مجرد الإقرار بوجود الله وخالقيته وربوبيته ليس كافياً ولا هو مقصود النبوات، لأن وجود الله والاعتراف بوجود خالق للكون فطرة مركوزة في نفوس البشر لا يستطيعون منها محيداً، والمقصد الأعلى للنبوات إنما هو الأقسام الثلاثة الأخرى، أما توحيد الربوبية فهي تحتج به للأقسام الأخرى لأنها لازمة له.

478. بين علم الله تعالى وحرية الاختيار

في مسالة التوفيق بين علم الله تعالى والحرية في الاختيار، اسأل نفسك: هل أشعر أنني حر مختار فيما أقوم به أم لا؟ ستقول: بل أشعر أنني حقاً حر مختار. إذن شعورك وإدراكك حجة عليك. زد على هذا؛ أن البشرية مجمعة على أن الإنسان حر مختار في نشاطاته المختلفة، وآية ذلك، أن البشر في كل مجتمع وأمة، مهما تباينت مستوياتهم في الحضارة والرقي والثقافة والمعرفة، وفي كل زمان ومكان، ما زالوا يضعون مجموعة من النظم لتدبير أنفسهم، فلولا شعورهم الفطري بالحرية والاختيار لما أوجبوا تحمل المسؤولية على التصرفات والأعمال، بل لكان لكل أحد من اللصوص والمجرمين والفساق والمستبدين أن يحتج بأنه مكره مجبر على ما يقوم به. بل عامة البشر يفرقون بين ما يكون الإنسان فيه حراً مختاراً، وهنا يلزمونه تحمل المسؤولية، وما يكون فيه غير حر مختار، كزمان ومكان الميلاد والهيئة البدنية وما يشبه هذا، فلا يلزمونه

تحمل المسؤولية. فهذا الإجماع البشري حجة عليك أيضاً. وكذلك؛ فإذا كنت تؤمن بالنبوات، فأنت ملزم ـــمن الناحية الموضوعية فضلاً عن الشرعيةـــ بالقول أن الإنسان حر مختار، إذ مجيء النبوات بمنظومة عقائدية وعبادية وتشريعية يعني الاعتراف بأن الإنسان حر مختار، ومن ثم، فهو مسؤول عن تصرفاته ومواقفه وأفعاله وقناعاته.

479. مشكلة الصراع بين الرجل والمرأة

لم يعرف المسلمون خلال القرون المتطاولة مشكلة الرجل والمرأة، بل كانت العلاقة بينهما واضحة بيّنة، كلاهما يعرف معنى كونه رجلاً أو كونها امرأة، وكلاهما يعرف دوره في الحياة، وكلاهما يدرك القواسم المشتركة بينهما في الرؤية الإسلامية، هكذا عاش المسلمون خلال القرون. حتى إذا ما جاء عصر علت فيه الجاهلية العلمانية والنسوية، استوردوا من الغرب ـــضمن ما استوردواـــ مشكلة الرجل والمرأة، وأن المرأة لديها مشكلة عويصة تسمى الرجل، وهو عقبة كأداء في طريقها نحو الإبداع وتحقيق الذات وتنفيذ الطموحات الجبارة التي من شأنها أن تضع مجتمعاتنا في مصاف الدول المتقدمة! وليس عجباً أن تقع مسلمة جاهلة في هذه الفخاخ، وإنما العجب أن تقع فيها مسلمة تقول إنها طالبة علم شرعي! كما أنه ليس عجباً أن تكرر أكاديمية علمانية نسوية التنظير لمشكلة المرأة العويصة، وإنما العجب أن تفعل ذلك أكاديمية تحمل شهادة شرعية!

480. الحياة بين الإيمان والإلحاد

نتعرض لبعض الابتلاء –عافانا الله وإياكم– فتموج النفس بمشاعر مختلطة، بين غضب وثورة، وأسف وحسرة، وقهر وعجز، ثم يذهب الله تعالى بذلك كله بالصبر والاحتساب وبالرجاء في فضل الله مستقبلا في الدنيا والآخرة. إن أدنى ابتلاء مؤلم، ولكن نصبر ونحتسب ونرضى لإيماننا أن الله تبارك شأنه لا يقضي قضاء لعبده المؤمن إلا كان خيراً له، ولإيماننا أن الله تعالى لا يقضي قضاء إلا لحكم عظيمة ومقاصد جليلة، وكذلك لإيماننا أننا لسنا مخلدين في هذه الدنيا الفانية المتقلبة، بل نحن هنا لمدة وجيزة كأنها حين تنظر إلى الأبدية، طرفة عين عابرة. وأنا في مثل هذه المواقف أتذكر الملحد.. ماذا لو كنت ملحداً؟ كيف كنت سأواجه هذه الابتلاءات التي لا يكاد يخلو منها يوم واحد، وأحياناً تكون شديدة قاهرة! كيف كنت

سأتصرف وأنا أرى نفسي وحيداً بلا سند ولا حول ولا قوة! وأنا أرى نفسي يسير بي الزمن في عالم مجهول وإلى غاية مبهمة، لا أدرك ماذا ستكون بعد لحظات فضلاً عن الأعوام القادمة! إنه شعور ساحق، شعور بأن كل شيء هدر، وبأن كل شيء من حولك عبث في عبث، بل حتى حين تفكر في الانتحار تجد قوة نفسية تحول بينك وبين رغبتك، كأن نفسك مطبوعة على حب البقاء والحياة والوجود، فلا تجد سوى الهروب.. الهروب من نفسك، والهروب من التفكير، إنه الهروب بالانغماس في أي شيء ينسيك الحقيقة المرة.. حقيقة أنك دخلت إلى الدنيا مضطراً، وتعيش فيها رغم شقائها مكرهاً، وستخرج منها رغم حبك للحياة مرغماً! ولهذا؛ فإن الايمان بالله تعالى واليوم الآخر، وإن الارتباط بالله تعالى، تعرفاً وتعبداً.. نعمة، نعمة كبيرة جداً، تبارك العمر وتزكي النفس وترتقي بالروح إلى آفاق لا تزال تنفتح رحابة وامتداداً. فاللهم ثبتنا بالإيمان وتوفنا على الإحسان.

481. الكون المتقن ووجود الله تعالى

القول بأن النظريات العلمية في تفسير الكون متغيرة لا يطعن في القول بأن كوننا متقن ومحكم، وبأن هذا الإتقان دلالة على وجود خالق عظيم، قصد أن يكون الكون على هذا النحو، وبهذا الشكل وسائراً في إطار قوانين معينة. كما أنه قول لا يطعن في قيمة البحث العلمي وبذل الجهود في معرفة وتفسير نشأة الكون ومسيرته الممتدة عبر خط الزمن. فالإنسان مهما امتلك من الإمكانيات والآليات يظل قاصراً دون الإدراك المفصل. ولهذا؛ فإن دلالة الإتقان في الكون ثابتة من حيث هو خلق الله تعالى. وعندما قاعدة عقدية هي أن الله تعالى يخلق بالحق وللحق، وهو منزه عن العبث، بل لا يفعل إلا لغايات حكيمة، ومن هنا، فإن عدم إدراكنا لتفاصيل الإتقان في الكون لا ينفي وجوده، فعدم العلم ليس علما بالعدم. وأيضاً؛ فقد قامت حجة الشرع على الإنسان بما يراه من حوله من مشاهد الوجود وصفحاته وأشكاله وأشخاصه، وبديهة العقل لمن سلمت فطرته من التشوه والفساد، تؤكد مبدأ كلياً وهو أن الوجود بمختلف صوره وأشكاله لابد أن يكون له مُوجد، أوجده بعلمه وإرادته وقدرته وحكمته.

482. فتنة سؤال (لماذا)

احذر (لماذا) في تصاريف الأقدار، فإنها تفتح عمل الشيطان!! فكم من شاب له تدين والتزام، ذهب في مذاهب (لماذا) لأنه ظن أنه يستحق حياة مفروشة بالورود والأزاهير: وظيفة راقية، زواجاً مستقراً، معيشة سخية، فلما طال عليه الزمن، أخذ الشيطان يعمل في نفسه عمله!! وكم من فتاة لها اجتهاد في العلم والتدين ولها حظ وافر من الجمال، ذهبت تسترسل مع (لماذا) حول عدم زواجها رغم تقدمها قليلاً في العمر، فلما أرهقها التفكير، وتكاثرت عليها أخبار زواج فلانة وفلانة ممن هن أقل منها علماً وجمالاً واجتهاداً، تسلل الشيطان إلى نفسها نافثاً وسوسته الخفية!! وكم من شخص له بعض الاطلاع والقراءة، انجر إلى (لماذا) حول ما يراه من الآلام والشرور والطغيان والأمراض وغير ذلك، فلما عجز عن تبيّن صورة الحكمة الإلهية في ذلك، أدركه الشيطان فغرس في قلبه بذور الإلحاد!! إن أحد أسباب استغلال الشيطان لسؤال (لماذا) ليعمل عمله في الشباب، هو أن هؤلاء لا يدركون أو يغفلون عن أنهم يعيشون في نظام عالم مركب، وأن الأقدار الإلهية تراعي الكثير من الاعتبارات، فهناك السنن الوجودية الصارمة التي لا تحابي أحداً، وهذه السنن آثارها عامة، إن خيراً وإن شراً، ولا تقتصر على الفاعل المباشر. وهناك طبيعة السياق الزمني والاجتماعي الذي يعيش فيه الشخص. وغير هذا من الاعتبارات التي لا يعلمها كاملة مفصلة إلا الله سبحانه. والمسلم يتفكر في الكون والحياة والتاريخ ومجاري الأمور وتقلبات الشؤون في ذلك كله، لكنه ينطلق من أصول محكمة تعصمه من الفتنة، لكنها تزيده بصيرة بعظمة الحكمة الإلهية.

483. الطعن في الصحابة ﷺ

ما طعن أحد في الصحابة رضوان الله عليهم، ولو تلميحاً، إلا كان في قلبه شعبة من شعب الكفر. انظر قول الله تعالى في الصحابة: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ (الفتح/29)، فقف عند قوله [لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ]، لتفهم أن الطعن في الصحابة دلالة على وجود غيظ منهم في نفس الطاعن، وهذا الغيظ من سمات الكفار. ولهذا كان حب الصحابة وتعظيمهم والثناء عليهم والاستغفار لهم من علامات الإيمان وصدق المحبة للرسول صلى الله عليه وسلم. ولهذا كان الصحابة بوابة الإسلام، فالطاعن فيهم إنما يقصد الطعن في محمد صلى الله عليه وسلم، وهدم الإسلام، إذ هم نقلة الوحي

وأئمة بيانه وتفصيله، فالطعن فيهم وإسقاطهم في النفوس، يلزم عنه بالضرورة إسقاط المنقول عنه، أي محمد صلى الله عليه وسلم، أي الإسلام.

484. الحب قبل الزواج

لا أحب من يقول للشباب: الحب قبل الزواج دليل على قلة الإيمان وضعف الارتباط بالله وذكره وطاعته! ثم يذهبون لتوهين هذا الإحساس الذي يجده الشباب طاغياً عليهم من ذات أنفسهم وليس بفعل مشاهدة الأفلام الرومانسية فهذه فقط تهيجه وتثيره! أتصور أن هذا ضحك على الشباب ومزايدة باردة! بل أحب أن أقول: الحب شعور فطري وغريزة فطرية، وطبيعي جداً أن تشعر بالميل نحو شخص من الجنس الآخر، خصوصاً اليوم حيث كثر الاختلاط رغماً عن الجميع، في الدراسة والشغل والشارع. ولهذا؛ فمبدئياً لا عيب ولا حرج في المشاعر النفسية، ومن حقك أن تِحب وأن تحَب، لكن، نضيف للشباب أن هذه الغريزة والنزعة الأصيلة في النفس أعني الحب والميل للجنس الآخر، لا تبرر لك السقوط. وهذا يعني أنه بما أنك تعيش في سياق اجتماعي مختلط رغماً عنك، وفي فضاء مثير جداً للرغبات، وبما أن الرغبة في الحب والميل للجنس الآخر غريزة قوية، إذن فأنت مطالب بالمجاهدة والمقاومة ضد السقوط، لأن الحب وإن كان معنى جميلاً، يفعم النفس بهجة والحياة سروراً، إلا أنه يجب عليك أن تتذكر أنك تنتمي للإسلام، وبحكم هذا الانتماء يجب عليك حين لا تجد سبيلاً لتفعيل هذه الرغبة القوية وعيشها عملياً مع طرف آخر في إطار الزواج، فالواجب عليك هو الصبر، والاحتساب، لأن الأمر بلاء شديد فلابد فيه من المجاهدة.

485. الانحصار في الشخصية الرمز

كثيرون تراهم معجبين بشخصية فكرية، من القدماء أو المحدثين، ويذهبون في تبني كل أفكارهم وآرائهم كل مذهب، وحتى عندما تتضاعف لديهم الأدلة على ضعف بعض تلك الآراء يتعمدون تجاهلها ويفضلون استمرار تقليد الشخصية الرمز، لأنهم يخافون من اهتزاز صورتها في نفوسهم أو حتى بين المناوئين! والعاقل ليس بينه وبين الحق عداوة، ولهذا يتبع الدليل حيث قاده، حتى وإن خالف (الإمام/المفكر) في بعض آرائه، لأنه يدرك أنه غير معصوم، وطبيعي جداً أن يخطئ هنا أو هناك، كما أنه يدرك بأن التشبث بخطأ (الإمام/المفكر) لا يليق بالعاقل الباحث عن الحق، فضلاً عن المسلم المأمور بالعدل في كل شيء.

وعلى كل حال؛ فأحياناً نحتاج لبعض الشجاعة الأدبية، والإخلاص لله في البحث، فمن يقرأ لشخصية مهما بلغت في العلم والذكاء والتحقيق، ثم لا يكتشف بعض أخطائها، فهو أن يكون غارقاً في التقليد الأعمى، أو أن يكون سجيناً في التقديس الأعمى! فلم يكن قط عالم أو مفكر ليست له أخطاء، والله تعالى إنما العصمة للوحي (القرآن والسنة).

486. غطرسة أمريكا والعقاب المنتظر

سيحكي التاريخ أن أمريكا كانت تعامل دول العالم وشعوب الأرض، معاملة الأستاذ مع التلاميذ أو معاملة الشرطي المتسلط مع الناس أو معاملة الأب المتغطرس مع ابنه القاصر: (إما أن تفعل ما أريد أو ستكون سيئاً يجب معاقبتك/ افعل هذا ولا تفعل هذا فأنا أعلم بمصلحتك منك). فأمريكا تعاقب هذه الدولة أو تلك، أو حتى بعض أفراد هذه الدولة أو تلك ومسؤوليها، وترفع تلك الدولة أو تلك وتشيد بها، حسب ما يبدو لها من الرأي والهوى والمصلحة، حتى إننا اليوم نشهد كيف تعمل أمريكا على نشر الفواحش وتقنينها والترويج لها واعتبارها حقوقاً أساسية للناس، ومع ذلك تجد من مختلف الحكومات الدعم والتأييد والمساعدة! وسيحكي التاريخ أن هذه الدول والشعوب بقيت راضية بوصاية أمريكا عليها عقوداً طويلة، لأنها دول ذليلة وشعوب تافهة تستحق عقاباً ربانياً أليماً.. وكذلك سيكون، وإنما الأمر مسألة وقت فقط، فإذا جاء الأجل المقدور نزل العقاب الأليم.

487. العنوسة في سبيل العلم

أيتها الأخت المدعية الرهنة في سبيل العلم، ما عسى أن تبلغي فيه؟ قد تحظين فيه بنصيب جيد من جهة الحفظ والاطلاع، أما إن قلنا _كما قال أسيادنا العلماء_ بأن العلم هو التحقيق والتحرير، فهذا صعب عسير على كثير من الرجال، فما بالك بك أنت، إذ إنه لا يكون إلا بمجالسة الفحول أبداً ومفاوضة الجهابذة دائماً وتنويع هؤلاء السادة، ويظل الأمر كذلك مدة صالحة من الزمان، ففي العلم معارف لا تكون في الكتب، وإنما تنتقل بين أهله انتقالاً معنوياً عبر المباشرة والاحتكاك، أما الكتب _وإن كثرت_ فهو مجرد عنصر مساعد، رغم أهميته. على أنك إن زعمت أن مبتغاك الله تعالى ومقصدك الجنة، فواجب عليك في قانون الشرع أن تنظري دورك الذي خُلقت له في الأصل الأول، وتحرصي على القيام به

كأحسن ما يكون، وأهل العقل والحكمة مجمعون على أن اشتغالك بالعلم لتبلغي فيه المبلغ الأسنى ليس من وظيفتك الأصلية ولا هو المنتظر منك. ولهذا، اعقلي ــإن كنت عاقلةــ وخذي بحظك من العلم بالله ورسوله، ثم افهمي واجبك الوجودي باعتبارك امرأة، وإذا جاءك (ابن الحلال) توكلي على الله، فجنتك هناك. والله الهادي سواء السبيل.

488. سر سقوط المسلمين

لم ينتصر الاحتلال على المسلمين إلا بعد أن كانوا عملياً متقبلين للاحتلال! هذه القابلية تشكّلت فيهم عبر القرون، من خلال مجموعة من الروافد، وهي: الطغيان السياسي، وعلم الكلام، والتصوف المنحرف، وإغلاق باب الاجتهاد الفقهي. فهذه العناصر فككت الوحدة النفسية والفكرية التي أسسها الإسلام بعقيدته ورؤيته بين جيل الصحابة والرعيل الأول من المسلمين. ثم جاء المنافقون الجدد (العلمانيون، الحداثيون، الليبراليون، النسويات) ليتابعوا مهمة الهدم والتمزيق. والأمم حين تكون ممزقة على المستوى النفسي والفكري، لا يكون لها هدف مقدس تذهب إليه بجميع طاقاتها، لأن هذه الطاقات مهدرة في التفكك والتمزق والأهواء، فتكون لحظة السقوط عندما يكون هناك عدو متماسك نفسياً وفكرياً، وإن كان أساس هذا التماسك فيه باطلاً. ولهذا ما زال الله تعالى ورسوله ﷺ والصحابة وأئمة الهدى يحثون على التزام منهج القرآن والسنة، ولخص ذلك الإمام مالك بقولته الخالدة وقاعدته الذهبية: "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها". ولله عاقبة الأمور.

489. تغيير الأفكار والقناعات

حين نقول بضرورة مراجعة الأفكار بشكل مستمر، فهذا لا يعني إجراء تغييرات كل ساعة. فهذه السرعة نفسها في التغيير تدل على أن صاحبها لا يؤسس أفكاره على مستندات متينة، وليست له شخصية فكرية متماسكة، ولا له إطار مرجعي واضح، بل هو امّعة يقلد غيره تقليداً أعمى، أو مجرد قزم يلهث وراء الشهرة والمكانة! إن تغيير الأفكار لا يأتي فجأة، بل يأخذ وقتاً، قد يطول وقد يقصر، لأن هذه العملية تتم داخل إطار متشابك المعطيات والمبادئ والمفاهيم، وبمساعد روافد نفسية وخبرات خاصة، خصوصاً حين يتعلق الأمر بالانتقال من مرجعية إلى أخرى (مثل: الإسلام/الإلحاد/العلمانية). تكمن القيمة

الموضوعية لمراجعة الأفكار والدخول في عملية التغيير الجوهري حين يقرر المرء ذلك، في: (1) إجراء تغييرات جوهرية على الأفكار سيمس المنظومة الفكرية كلها أو جلها (2) لتغيير الأفكار آثار في واقع الشعور والسلوك. والأمر في هذين يخص مَن ينشد الانسجام في مكونات أفكاره مهما اختلفت متعلقاتها، والمطابقة بين الواقع والفكر. أما ما تراه اليوم من سرعة التغيير والانتقال، فهو عبث عقلي ومجون فكري وهوس نفسي، يدور بين التقليد الأعمى وحب الظهور والشهرة. ولعلنا نجد في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مسلمًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا، ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا﴾.. لعلنا نجد فيه إشارة لما قلت. وتأمل كيف ربط بين تكاثر الفتن (الفكرية والسلوكية) وبين سرعة التغيير والانتقال!

490. من أسباب التقليد الأعمى

من أسباب التقليد الأعمى والضلال البعيد: الاغترار بالألقاب الفخمة والشعارات الهائلة! والحق حق أبداً، كذلك كان وكذلك يكون، لا يُغيّره ضجيج مبطل ولا تهويل منحرف، فمَن عرفه لم تستفزه الألقاب والشعارات! ولابد لتحديد الحق من مرجعية معيارية، إذ ليس أحد من المذاهب والفرق والاتجاهات والفلسفات إلا وهو يعتقد أنه على الحق، وذلك لأن الإنسان فُطر على محبة الحق والنزوع إليه، وإن أخطأ سبيله وضل عن طريقه. ولما لم تكن هناك إلا (المرجعية الإلهية) و (المرجعية الأهوائية)، كان لزاماً على الذي يحب الخير لنفسه والسعادة في عاقبته بعد وفاته، أن يكون الوحي الرباني، قرآناً وسنة، مرجعيته العليا، منها يستقي عقيدته، ويبني أفكاره، ويؤطر رؤيته، وإليها يحاكم كل قول وكل شعار وكل إنسان. وقد أمر الله تعالى بهذا في مواضع شتى من القرآن. والله سبحانه قطع الأعذار والمبررات، فقد بيّن بياناً واضحاً شافياً، كل ما يحتاج إليه الإنسان من المسائل والدلائل، في العقيدة والسلوك والأحكام، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: ﴿إنَّهُ ليس شيءٌ يُقَرِّبُكُمْ إلى الجنةِ إلَّا قد أَمَرْتُكُمْ بهِ، وليس شيءٌ يُقَرِّبُكُمْ إلى النارِ إلَّا قد نَهَيْتُكُمْ عنهُ﴾، وقال الصحابي أبو ذرؓ: «لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً». فابحث عن الحق فهو أمامك، وإنما تدخل القبر وحدك وتُسأل وحدك.

491. مجالات معرفة الله تعالى

قد أحاط النظر في القرآن بأن مجالات المعرفة بالله تعالى ترجع إلى: (الوحي الإلهي)، فما جاء به من البيان والآداب والأحكام والعلوم والمعارف دلالة ساطعة على أن المتكلم به ومنزله يستحيل أن يكون بشراً أو مخلوقاً إذ كل مخلوق بالضرورة محدود، فلابد إذن من أن مصدر الوحي إلهي يتجاوز الإنسان والكون والعالم، متصف بالصفات المطلقة الكمال، اللانهائية العظمة. (التفكر في الذات والعالم)، فما زال القرآن الكريم يحث على النظر والتأمل وتقليب العقل في صفحات الوجود ومشاهد الكون وكائنات الحياة وأشياء الأرض والسماء. لأن في طبيعة العقل وأساس الفطرة ما يوجب أن يكون لذلك كله إله خالق ورب مدبر، له الأسماء الحسنى والنعوت العليا. (عرض القرآن حشداً واسعاً من قصص الماضين)، من الأنبياء والصالحين، والكفار والمشركين، وكيف كانت الحضارات والشعوب وما آلت إليه نهاياتهم، وهي أيام يشبه بعضها بعضا، فكان فيه البرهان على أن هناك سنناً حاكمة مطردة لا تحابي أحداً، ولا يملك الإنسان تغييرها أو الإفلات منها، وفي ذلك دليل قاطع على أن واضعها فوق الإنسان . وكما ترى، فإن القرآن يوّسع دائرة مصادر التعرّف على الله تعالى وجلال أسمائه وكمال صفاته، فترتوي الروح وتستنير النفس ويهتدي العقل، فيجد النور واليقين والطمأنينة، ومن ثم يظل الإنسان القرآني مترقياً أبداً في معرفة الله تعالى والتقرب إليه، وهذا ما يضفي على الحياة معناها وسموها وقداستها. فيا خيبة من حصر معرفة الله في جدل بارد عقيم! ولكنها العقوبة الإلهية الباطنة لمن ترك منهج القرآن وراح يلهث وراء مناهج الأهواء، ينفخها بالشعارات والتهويلات!!

492. الأخلاق الإلحادية

لا يفتأ الملحد يعزف على فكرة (هناك ملحدون أخلاقيون، وهناك مؤمنون فاسدون، ولهذا، فلا علاقة للأخلاق بالإيمان أو الإلحاد)! وهذه جعجعة بلا طحين، وكلام ليس تحته معنى. لأن أساس المشكلة ليس في وجود ملحد أخلاقي أو مؤمن غير أخلاقي، وإنما في (هل طبيعة الإلحاد تقتضي الأخلاق؟) وهذا ما يأخذ بخناق الملاحدة الذين يدركون معنى الإلحاد ومعنى الأخلاق! فإذا كان الإلحاد رؤية مادية للذات والعالم، فلا شك أنه لن يكون أي معنى للأخلاق ضمن هذه الرؤية، ولا أي مبرر للأخلاق في إطار هذه الرؤية. لأن الأخلاق قيم تتجاوز المادة، من أسسها التأجيل في الإشباع، التضحية بالرغبة، التفضيل للمعاني فوق مادية. وقد يقال: فلماذا إذن هناك ملاحدة أخلاقيون؟ والجواب أن الأخلاق الإلحادية ترجع

إلى (أصالة الفطرة)، فالرب سبحانه وتعالى قد خلق الفطرة الإنسانية على الحق والخير والنبل والجمال، والفطرة لا يمكن أن تتغير في الإنسان تغيراً نهائياً وإنما يمكن أن تنحرف ويتراكم عليها الفساد والضلال، ومع ذلك تبقى أصولها قائمة. ولهذا تجد حتى أعتى المجرمين في حياته الخاصة يلتزم ببعض القيم والأخلاق. (جذور التربية)، فكل الناس في كل زمان ومكان يستحيل أن ينشؤوا هملاً بلا تربية ولا توجيه ولا تأطير، بل الجميع يحرص آباؤهم ــحتى وإن كانوا في غاية الوثنية والمادية والشركــ على صبغ نفوسهم بمجموعة من القيم والمبادئ، لها صلة وثيقة بالأخلاق النبيلة والقيم الجميلة. وما من شك في أن ما يتلقاه الطفل في البيت يؤثر عليه ويظل منصبغاً به ما امتدت به الحياة. (قيود المجتمع)، كل مجتمع، قديماَ وحديثاَ، كيفما كان مستواه في الحضارة والتمدن، مرتفعاَ عالياَ أو منخفضاَ ساقطاَ، له منظومة من القيم والمبادئ يحرص على إلزام أعضائه بها، لكي ينظم بها شؤونه ونشاطاته وعلاقاته، وإلا سقط في قبضة الفوضى الشاملة، وهذا لم يكن ولا يكون أبداً، لأن طبيعة الإنسان تمنع ذلك. ولا شك أن للقيم الاجتماعية سلطة قاهرة على نفوس أفراده، يظل تأثيرها وتوجيهها اللاشعوري مصاحبا للفرد أبداً. (طلب الشهرة)، لا أحد من البشر إلا وهو يحب أن تكون له المنزلة عند الآخرين، وهذه الرغبة نابعة عن نزعة أصيلة في النفس البشرية وهي نزعة الاعتراف، أي الرغبة في أن يعترف الآخرون بك. وإنما يختلف الناس في البحث عن إشباع هذه النزعة (الاعتراف/الشهرة) بحسب الرؤية الوجودية التي ينتمون إليه، فالمؤمن يطلبها عند الله وملائكته والصالحين من عباده، والملحد يطلبها عند المخاليق المهازيل مثله. ومن ثم، فالشهرة دافع قوي وله سلطة قاهرة على الإنسان، ومحاسن الأخلاق في التعامل أحد أبرز مفاتيح الشهرة والاعتراف. والمقصود التنبيه على استحالة أن يكون الملحد أخلاقيا انطلاقا من الرؤية الإلحادية المادية، فلو التزم الملحد بالأسس الإلحادية في حياته الخاصة والعامة لما أمكنه أن يكون أخلاقياً، والنتيجة لكانت حياته ومن يتعاملون معه، جحيماً وكابوساً فظيعاً، لأنه سيكون مخلوقاً مرعباً في سلوكياته وعلاقاته.

493. حقيقة النسوية

النسوية فكر قائم على أصول فلسفية إلحادية، كالفردية (أي الفرد هو مرجع نفسه)، والدنيوية (أي الدنيا هي المقدس الأسمى)، وكذلك احتقار الشريعة لأنها بالنسبة لهن ظلمت المرأة (المحجبات منهن لا يقلن الشرع ظلم، لأنهن بذلك يسقطن في الإلحاد، بل يقلن الفقهاء عبر التاريخ ظلموا المرأة، وهو يؤدي

لنفس النتيجة في نهاية المطاف!)، وأيضاً تعظيم شأن المرأة كأنها مركز الكون والمقدس النهائي الذي يجب أن تدور حوله المرأة، وكذلك فالرجل بالنسبة لهن (الأب، الزوج، الأخ) شر مطلق، فهو السبب في حرمان المرأة عبر القرون من تفجير طاقاتها وتحقيق ذاتها، وحرمانها من الشعور بالكرامة والسمو، وأيضاً يجب على المرأة أن تتمرد على الزواج والأسرة فهما قيود اخترعها الرجل ليحكم قبضته على المرأة ويجعلها أمة تصلح فقط للفراش والمطبخ والإنجاب. لكن، عادة في تمرير الفكر النسوي لا يتم الحديث عن الأصول الفلسفية الكامنة فيه، لأنه سيتم اكتشاف حقيقة النسوية، وأنها في الحقيقة مذهب إلحادي وزندقة صارخة، وإنما يتم تمرير خطاب المساواة ورفض وصاية الرجل واتهام الفقهاء بعدم اتباع حقيقة الإسلام، ويتم توهين عقيدة التسليم لله ولرسوله، ولهذا تجدها محجبة أو منقبة ومعها شهادة في الدراسات الشرعية وربما حاملة القرآن، ومع ذلك تراها تجاهد في رفض التعدد والترويج للتمرد على التعدد مع بعض اللمسات الشرعية على هذا الخطاب، كالقول بأن النبي عليه الصلاة والسلام لم يعدد على خديجة، وأن الإسلام احترم مشاعر المرأة والتعدد يخالف هذا المبدأ الإسلامي.. إلى غير هذا، ومن هنا، فليس كل امرأة نسوية، بل قد تجد المرأة قليلة الأدب شرسة الأخلاق لا تحترم الزواج والأسرة، ولا تبالي بالأب والأهل، فهذا الصنف موجود من قديم الدهر، والأمر فيه يرجع لقلة التربية والجهل والعناد والتمرد، حتى وإن كانت تجهل النسوية ومعناها وأصولها الفلسفية. أما النسوية فلها أصول فلسفية أولها وآخرها الزندقة والإلحاد.

494. من سمات جيل الصحابة

من يتأمل حياة الصحابة والرعيل الأول، ويقف عند مقالاتهم ومواقفهم، سيخرج بنتيجة في غاية الأهمية، وهي أن من السمات البارزة والمركزية لهذا الجيل، سمة التسليم لله ولرسوله. هذه السمة تبرز في: التسليم في العقيدة، والتسليم في الأحكام، والتسليم في القدر. والتسليم أخو الإيمان واليقين، بقدر ما يعظم هذان في العقل والقلب يعظم التسليم لله ولرسوله. وهذا الارتباط منطقي جداً، فلا يمكن الدخول في السلم كافة كما أمر الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾، إلا بقدر ما معك من الإيمان واليقين، ولا يمكن أن يكون معك من الإيمان واليقين إلا بقدر ما معك من التسليم. ولهذا؛ فإن عنصر التسليم من أكبر أسباب سمو جيل الصحابة والرعيل الأول، وصلاحهم وفضيلتهم عند الله تعالى. أما من جاء بعدهم، فتجد تراجع الإيمان واليقين، وسبب ذلك تراجع التسليم للقرآن والسنة، ومرد ذلك انغماس

كثيرين في الجدل العقيم واتباع الأهواء والعصبية، وأيضاً الذوبان في بوتقة الشهوات الدنيوية واللهاث وراء ملذاتها وطموحاتها.

495. من الأخطاء الخطيرة في الزواج

أحد الأخطاء "القاتلة" التي تفتح أبواب المشاكل والصدامات بين الأزواج، ومن ثم، قد تؤدي إلى الطلاق في نهاية المطاف: ظن الزوج أن زوجته مثل كل النساء، وظن الزوجة أن زوجها مثل كل الرجال! نعم، هناك قواسم مشتركة بين كل الرجال، كما أن هناك قواسم مشتركة بين كل النساء، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها، لكن، هناك أيضاً حقيقة مهمة، وهي طبيعة شخصية هذا الزوج بالذات أو هذه الزوجة بالذات! شخصية الإنسان "الرجل والمرأة" تتشكل داخل إطار مجموعة من العناصر والعوامل والروافد، وهذا يتم عبر السنين، منها البيئة الأسرية، الثقافة، الخبرات، وغير ذلك، ولهذا نجد الشخصيات أنماطاً وألواناً وأنواعاً، والخطأ هو التغاضي عن هذه الحقيقة! ولهذا يُنصح الزوجان بأهمية الحرص على فهم طبيعة شخصية الطرف الآخر، بدءً من أول يوم يجتمعان فيه تحت سقف واحد، لأنه حين يعرف الزوج شخصية زوجته، هنا يسهل عليه أن يحدد أسلوب التعامل معها "الشدة/ اللين/ مزيج منهما"، وحين تفهم الزوجة طبيعة شخصية زوجها هنا تعرف مفاتيح قلبه، فيسهل عليها احتواؤه والتعامل معه في مختلف الأحوال.

496. منهج القرآن في تحبيب الآخرة

إذا استقر الإيمان واليقين في القلب، أنتج (التجافي عن الدنيا)، و (الإنابة إلى الآخرة)، و (الاستعداد للموت). والعبد كلما كان حظه من الإيمان واليقين أقوى وأرسخ وأوسع، كان تجافيه عن دار الغرور وطموحه إلى دار الخلود، أعظم وأكثر. ثم إنك إذا نظرت في القرآن بخصوص هذا المعنى، ستجد أنه توسل لترسيخ هذا المعنى بالتالي: (كثرة الحديث عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وكماله وجلاله)، ليمتلئ القلب هيبة وتعظيماً ومحبة وشوقاً إلى لقائه، ولك عبرة من نفسك، أليس إذا تردد على مسامعك مدح كمال شخص، تجد من نفسك رغبة في لقائه ورؤيته ومحادثته. (كثرة الحديث عن الدنيا وفنائها وتقلباتها بأهلها)، فهي لا تستقر أبدا على حال، بل لا تزال تخدع المغترين بها والعاشقين لها بضروب من الخداع والوهم، فكم من ملك مستبد ذهب، وكم من حضارة طاغوتية سقطت، وكم من ظالم متغطرس نُكب.

(كثرة الحديث عن الأنبياء والأولياء والصالحين)، وكيف عاشوا دنياهم حذرين من مكرها، زاهدين في شهواتها، مشتغلين بطاعة ربهم والسعي في مرضاته وتثبيت شرائعه في واقع الناس، ورغم ذلك فقد تعرضوا للبلاء والتضييق بحكم سنن الله تعالى في حياة البشرية. (كثرة الحديث عن الجنة ونعيمها، وعن النار وعذابها)، وكلاهما أبدي بلا نهاية، مستمر بلا انقطاع، فالجنة فيها ما تشتهي النفس وتلذ العين ويطرب القلب، مما لا يخطر على بال أحد من الخلق، والنار فيها من المعاناة والعذاب الرهيب ما يستحيل على بشر تصوره. فاللهم ارزقنا قوة الإيمان وبرد اليقين وشمول العافية وحسن التوفيق، حتى لا نبالي بالدنيا وأهلها وشهواتها.

497. موضة الثقافة

إذا كنتَ من المكثرين من المطالعة، فاحذر الوقوع في فخ "موضة الثقافة"، أعني أن تطلب الاتساع في القراءة لمجرد نيل لقب مثقف واسع الاطلاع. نعم، اليوم هناك معززات جمّة للسقوط في قبضة موضة الثقافة، أدناها وسائل التواصل المختلفة، لكن، يجب عليك المجاهدة، فإن الله تعالى لا يبارك إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم. إن الواجب عليك أن تحرص _شديد الحرص_ على بناء شخصيتك الفكرية المستقلة، وهذا يعني ضرورة أن يكون لديك منهج، إذ بلا منهج ستكون كحاطب ليل، ومقلداً صغيراً، والمنهج لا يتحصل بمجرد القراءة وتنوع الاطلاع، بل لابد مع ذلك من أمرين: تأمل ما تقرأ، بمعرفة منطلقات مذاهب الأفكار وسياقاتها ومآلاتها. وتحديد مرجعية معيارية عليا تكون ضابطة وحاكمة لمدخلاتك الفكرية. وإذ كنتَ مسلماً، فالواجب عليك _بعقد الإيمان_ أن تكون مرجعيتك المعيارية هي الوحي، قرآناً وسنة، لتكون هي المصدر الأعلى الذي تستقي منه أصولك وقواعدك وإطار رؤيتك وتكوين مفاهيمك، أما أن تستقي أصولك من فلسفات أخرى، قديمة وحديثة، تضفي عليها لمسات إسلامية، فأنت هنا حتى لو ملأت الدنيا ضجيجاً، فإن قيمتك لا تتجاوز حقيقة أنك مقلد أعمى!

498. التدين المعلمن

لبست الحجاب، أو النقاب، لكنها تحت ضغط العلمانية الجاهلية المتهمة لها بالتخلف بسبب الحجاب، النقاب والالتزام.. وضغط المميعين الهلاميين الذين يؤكدون لها بما أنها محجبة، منقبة إذن فكل

شيء تمام! هنا، انطلقت لتثبت ذاتها، لتبرهن أنها محجبة، منقبة لكنها ناجحة وسعيدة ومستمتعة وليست متشددة ولا متخلفة ولا رجعية.. فأخذت تمازح الزملاء والأصدقاء، تتبادل معهم التعليقات المختومة ب (ههههه)، أخذت تعرض صورها بأشكال حجاب/ نقاب مختلفة، وفي وضعيات شتى، قرب البحر والنهر، بين الأشجار والجبال، وهي تسوق السيارة، وهي تلتقط الصور هنا وهناك، وهي تلعب مع صديقتها المحجبة/ المنقبة كذلك، وإذا كانت متزوجة لا مانع من عرض صورها مع زوجها الملتزم، جالسين ظهراً لظهر على الشاطئ مثلاً، أو حتى وهي بين أحضان زوجها الطيب الرائع للبرهنة على أن لحيته وتدينه لا يمنعه من الرومانسية والاستمتاع بالحياة! هذه المشاهد موجودة في مختلفة وسائل التواصل المعروفة. لكن.. كل ما سبق ذكره مجرد ضحك على النفس، وتلبيس إبليس! فالفتاة الحيية، الناضجة، ليست كذلك، لأنها لا تحتاج لهذه الحركات المهووسة لكي تثبت أنها محجبة ناجحة أو بأن الالتزام لا ينفي الاستمتاع بالحياة! ولأنها تعي جيداً أن القضية ليست لباساً معيناً بقدر ما هو مضمون، ومن هنا فالحجاب/النقاب وعي وسلوك وتقوى. أما ما تقوم به أولئك فهو نَفَس علماني ليبرالي في جلباب تقول بأنه شرعي!!

499. الإسلام ديانة معيارية

الإسلام ديانة معيارية. أي إنه يتضمن منظومة معايير للعقيدة والفكر، للفعل والسلوك، للعلاقات والنشاطات، للنظم والقوانين. ولهذا كان التسليم للوحي ركناً مركزياً في الإسلام، بحيث بقدر ما تدخل في التسليم للوحي ترتقي في معنى كونك مسلماً. ومن ثم، لا يمكن من الناحية العقلية قبل الشرعية، أن ترفض التسليم لله ولرسوله، والخضوع لمنظومة الأحكام الشرعية، من منطلق الهوى والاستحسان وتغير العصر، ومع ذلك تظل محتفظاً بصفة الإسلام. إن الإسلام مرجعية معيارية، تتلازم فيه العقيدة والشريعة، فالأحكام الشرعية ذات أصول عقدية، فيكون التشكيك في الحكم الشرعي تشكيكاً ضمنياً في العقيدة. وهذا المعنى (التسليم لمعيارية الوحي) أحد أكبر الحقائق الغائبة عن تفكير كثير من الشباب والبنات المسلمين، فتجدهم يرفضون الحكم الشرعي تحت ضغط الواقع المعاصر بما يموج به من شبهات وأفكار واتجاهات، دون أن يشعروا بأي تناقض بين قولهم "أنا مسلم"، وبين "أنا أشكك في قيمة هذا الحكم وموضوعيته"، وهذا نتيجة الجهل والغفلة وضعف الإيمان. والواقع أن المنافقين/المنافقات الجدد ممن يتصدر لتشكيل عقول الشباب

والبنات، يرفضون الكلام عن قضية معيارية الإسلام التي تتفرع عنها ركيزة التسليم للوحي، عقدياً وتشريعياً، لأنه سيهدم عليهم جهودهم الآثمة بين الشباب والبنات.

500. اتباع السنة معيار الإسلام

﴿مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي﴾، هذا القول النبوي، معيار المسلم في العقيدة والعبادة والسلوك والأحكام. وقد أكده الرسول صلى الله عليه وسلم بحديث آخر فقال: ﴿قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ﴾. وهذا التصريح النبوي يؤيده تصريح الله تعالى بقوله: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. القرآن موجود، والسنة موجودة، وآثار الصحابة والتابعين موجودة، فلا يترك هذا ويذهب يستقي عقيدته وتصوراته من هنا وهناك إلا ضال رضي لنفسه الشقاوة أو جاهل مغموس في التقليد الأعمى. فالله ورسوله لم يتركانا حتى رسما لنا سبيل الحق وطريق الصواب ومنهج الوسطية والاعتدال في الاعتقاد والأحكام والآداب، فكل شيء خالف الوحيين وما كان عليه الرعيل الأول لا نبالي به، ولا تغرنا الألقاب ولا الشعارات.

هذا تمام كتاب تأملات،

والحمد لله رب العالمين

